عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

"تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح

لعبد الرزاق الكاشانيّ(ت730هـ): دراسة وتحقيق"

لينا كامل محمود ارشيد

رسالة الماجستير

القدس – فلسطين

1443هـ- 2022م

"تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح

لعبد الرزاق الكاشانيّ(ت730هـ): دراسة وتحقيق"

لينا كامل محمود ارشيد

بكالوريوس إدارة — جامعة بيرزيت — فلسطين

ماجستير إدارة تربوية — جامعة بيرزيت — فلسطين

المشرف: الأستاذ الدكتور مشهور الحبازي

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة من كلية الدراسات العليا في جامعة القدس

1443هـ- 2022م

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

إجازة الرسالة

"تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح

لعبد الرزاق الكاشانيّ(ت735هـ): دراسة وتحقيق".

اسم الطالبة: لينا كامل محمود ارشيد

الرقم الجامعي: 21720318

إشراف: الأستاذ الدكتور مشهور الحبازي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2022/9/17م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور مشهور الحبازي التوقيع:
2. ممتحنًا داخليًا: الدكتور أحمد داود دعمس التوقيع:
3. ممتحنًا خارجيًا: الدكتور شفيق عياش التوقيع:

القدس – فلسطين

1443هـ- 2022م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لكلّ مَنْ ساعدني ودعمني

الطالبة لينا كامل ارشيد

إقرار

أقرُّ أنا معدّة الرسالة بأنّها قدّمت لجامعة القدس؛ لنيل درجة الماجستير، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّ الإشارة له حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة، أو أي جزءٍ منها لم يُقدّم لنيل أيّة درجة عليا لأيّة جامعة، أو معهد آخر.

التوقيع:

لينا كامل محمود ارشيد

التاريخ: 2022/9/17م

شكر وعرفان

الشكر لله تعالى

وللمشرف: الأستاذ الدكتور مشهور الحبازي

وللأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة

ولكلّ الأساتذة الأفاضل في البرنامج

ثمّ لكلّ مَنْ علمني وساندني ودعمني

وزملائي

الطالبة لينا كامل ارشيد

الملخص

تهدف هذه الرسالة إلى تحقيق ودراسة مخطوطة بعنوان: "تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح" لمؤلفها عبد الرزاق الكاشاني المتوفى سنة (ت730هـ)، واختصت بعلم الأخلاق وتطبيقاته في: قيادة وحكم النفس والأهل والمجتمع.

وتظهر أهمية الرسالة باعتبارها تحقيقا لمخطوط له خصوصية ومذاق خاص في مناقشة علم الأخلاق، إذ تأثرت صياغة المخطوط وأسلوبه بمعتقد وذوقه وفلسفته المبنية على ولائه لآل البيت، عليهم السلام، ودمجه بالتصوف والترفع عن الدنيا والمحبة والفناء. وقد تمكّنت الباحثة من الحصول على أربع نسخ للمخطوطة، واعتمدت نسخة مكتبة جامعة برينستون أصلًا.

وانتهجت الباحثة في تحقيقها هذا الكتاب ودراسته المنهج التكامليّ، فأفادت من المناهج: التاريخيّ، و الوصفيّ، والتحليليّ.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- علم التحقيق وكتجربة أولى للباحثة هو علم دقيق على إلى كثير من الصبر والجهد.
- أن المخطوطة المُحققة اختصت بموضوع علم الأخلاق اقتداء بالرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وآل البيت عليهم السلام والحكماء بذوق صوفي، لحاجة المجتمعات الإسلامية لها في ذلك الزمان، نتيجة الفساد المجتمعي الناتج عن نزاعات المسلمين فيما بينهم وتعرضهم للاحتلال المغولي والصليبي.

- أهمية المقالة الأولى التي تعنى بالرياضة النفسية، ودورها في اكتساب الفرد الفضائل، ونبذ الرذائل كون المجتمع الفاضل يبدأ من الفرد.
- سوء النظرة في زمن المؤلف للأهل أي الزوجة، وكيفية التعامل معها في المقالة الثانية؛ إذ لا تناسب الزمن الذي نعيشه والمستجدات التي حصلت منذ زمن المؤلف حتى يومنا هذا.
- إيجاد الحلول للمجتمعات الفاسدة لحكمها في المقالة الثالثة يساير فسادها ولا ينفذ مشيئة الله تعالى، تعالى، بواجب ترقّي الأمم ليحكمها خليفته في أرضه.

وبناء عليه، توصي الباحثة بإعداد دراسات تطبيقية تناسب العصر في: التهذيب والرقي الذاتي، وتعزيز تطبيقها في المجتمعات العربية والإسلاميّة، وإعداد دراسات تحليلية ونقدية عن المرأة، وأحوالها في زمن المؤلف ومقارنتها اليوم، وتحليل ما قدّمه المؤلف في الباب الثالث عن أنواع المجتمعات وكيفية الحكم فيها ومقارنة ذلك مع توصيف أحوال البشرية اليوم المحكومة من المنظومة السياسية المسيطرة، والتي تعتمد الديمقراطية واختيار الناس ونتائجها على أرض الواقع.

Editing the Manuscript Entitled "Tazkiyat Al-Arawah ‘An Mawani’ Al-Iflah" by its author, Abd Al-Razzaq Al-Qashani.

Edited and studied by: Lina Kamel Irsheid.
Supervised by: Professor Mashhour Al-Habbazi.

Abstract

This thesis is editing a manuscript entitled "Tazkiyat Al-Arawah ‘An Mawani’ Al-Iflah" by its author, Abd Al-Razzaq Al-Qashani, who passed away in the year 730 AH.

The importance of the thesis appears as the manuscript edited and studied has a peculiarity and a special taste in the discussion of ethics, as the manuscript’s formulation and style were influenced by the author’s belief, philosophy and taste based on his loyalty to the family of Al- Muhammad, peace be upon them, and his integration with mysticism and transcendence of divine love and annihilation.

In achieving this thesis, the researcher adopted the descriptive analytical approach, as she relied on four clear copies of the manuscript (choosing the main to be the one of the library Princeton University), documenting verses, extracting hadiths, documenting sayings, personalities, and poems and attributing them to their speakers, and clarifying vague terms.

Among the most important results it reached:

- Editing Manuscripts as a first experience for the researcher, is a precise science that requires a lot of patience and effort.

- The edited manuscript specialized in the subject of ethics, following the example of the Holy Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and the family of Ahl Al-Bayt, peace be upon them, and the wise men with a Sufi taste, due to the need of Islamic societies for it at that time, as a result of societal corruption resulting from the conflicts of Muslims among themselves and their exposure to the Mongol and Crusader occupation.

- The importance of the first article that deals with self-discipline and purification, and its importance in the individual's acquisition of virtues and the renunciation of vices, since a virtuous society begins with the individual.
- The bad view of the woman, i.e. the wife, and how to deal with her in the second article, as it does not fit the time in which we live and the developments that have taken place since the time of the author until the present day.
- Finding solutions for corrupt societies to rule in the third article goes along with their corruption and does not carry out the will of God Almighty with the duty to promote nations to be ruled by his Caliph in his land.

Accordingly, the researcher recommends preparing applied studies appropriate to this time and age in self-politeness and discipline and enhancing their application in Arab societies, preparing analytical and critical studies on women and their conditions in the author's time and comparing them today, and analyzing what the author presented in Chapter Three on the types of societies and how to rule them and compare that with a description of the human population today governed by the dominant political system chosen by people through elections and democracy and its consequences on the ground.

المقدمة:

اعتنت هذه الرسالة بتحقيق مخطوطة بعنوان: "تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح" لمؤلفها عبد الرزاق الكاشانيّ (ت735هـ)، التي بحثت في علم الأخلاق وتطبيقاته على مستوى الفرد والعائلة والمجتمع، ليصبغ الجميع بالفضيلة، ويكونوا مجتمعا فاضلا في دولة يسودها العدل ويحكمها خليفة من الله، تعالى.

استند المؤلف في كتابة مؤلفه على ما ورد في كتاب: "أخلاق " لنصير الدين الطوسيّ (ت672هـ)، وقام بتقسيم مؤلفه إلى: مقدمة، وثلاث مقالات رئيسة مقسّمة إلى أبواب وفصول، وخاتمة.

أما المقدمة، فتكلمت بشكل عام عن: علم الأخلاق وضرورته، والمقالة الأولى اختصت برياضة النفس حتى ارتقائها إلى أعلى مقام، والفضائل محكومة بالميزان بينما الرذائل تكون بين إفراط وتفريط مع بعض المعالجات لأمراض النفس. والمقالة الثانية اختصت بالتطبيقات الأخلاقية على مستوى المجتمع الصغير من العائلة والمعلمين والأصدقاء والخدم، والمقالة الثالثة اختصت بسياسة الخدم، وتضمّنت: أنواع الحكام، وأفضلهم مقاما، وأنواع المجتمعات ومَنْ يحكمها.

أما الخاتمة، فتضمّنت أهم النتائج والتوصيات وتحفيزات للفرد للوصول إلى أعلى مقامات التهذيب والفضيلة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في: ضرورته التطبيقية على أرض الواقع، وبخاصة في المجتمعات العربية؛ فالأخلاق أهم من العلوم. إذ إن العلوم حيادية إما أن تُستَخدم للخير أو للشر. أمّا الأخلاق، فتقف على مدى الانضباط الأخلاقي لمُستخدم هذه العلوم. والشجرة المعوجة منذ النشأة من الصعب تقويمها. فالبشرية اليوم

طاغية فيها الأنانية وعبادة الذات والمنفعة الفردية. وكما أنتم يولى عليكم. فالبشرية اليوم في الأصقاع المختلفة من الأرض يحكمها حُكّام ظالمين جلسوا على كراسيهم بانتخاب البشر لهم، والنتائج على أرض الواقع مؤلمة لما يعانيه البشر والكوكب بشكل عام.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب عديدة، وأهمّها: أنّ أحدًا من الباحثين أو الدّارسين لم يقم –فيما أعلم– بتحقيق هذا الكتاب ونشره، أو دراسته ودراسة حياة مؤلّفه، وأهميّة الموضوع الّذي يتناوله هذا الكتاب وهو:"الأخلاق" ودورها في بناء المجتمع، وحاجة المجتمعات البشرية إليها في العصر الّذي نعيش، وأنّ تحقيق هذا الكتاب سيُضيف كتابًا جديدًا للمكتبة العربيّة الإسلاميّة، والبشريّة. فضلًا عن الأسباب الخاصة بالباحثة، وهي: الاهتمام بعلم الأخلاق والتربية، والرّغبة في تحقيق التّراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط.

منهج البحث:

اتبعت في تحقيق هذه المخطوطة المنهج التكامليّ، فأفدت من المناهج: التاريخيّ، والوصفيّ، والتحليليّ. واعتمدت على أربع نسخ واضحة للمخطوطة في التحقيق، تم اعتماد واحدة منها كنسخة أصل، وقمت بتوثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وتوثيق الأقوال وترجمة الأعلام والأشعار ونسبتها إلى قائليها، وتوضيح المصطلحات المبهمة.

خطة البحث:

وقد جاءت هذه الرسالة في قسمين هما: القسم الأوّل: الدراسة، وفيها: تمهيد عن عصر المؤلّف، ثمّ سيرة المؤلّف عبد الرازق القاشانيّ (ت 735هـ) ثمّ دراسة كتاب:"تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح". والخاتمة. والقسم الثاني: التّحقيق، وفيه: وصف نسخ المخطوطة، ومنهج التّحقيق، وصور من نسخ المخطوطة، ثمّ النّص المُحقّق، ثمّ مسرد المصادر والمراجع.

القسم الأول: الدراسة.

- **تمهيد:**
- **سيرة عبد الرزاق الكاشاني:**
  - **اسمه.**
  - **شيوخه.**
  - **مذهبه.**
  - **مؤلفاته.**
- **دراسة كتاب "تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح":**

1. منهج المولف في تأليف كتابه.

2. مضمون الكتاب ومحتواه:

أ. المقدمة.

ب. المقالة الأولى.

ت. المقالة الثانية.

ث. المقالة الثالثة.

ج. الخاتمة.

ح. المصادر التي اعتمدها المؤلف في تأليف كتابه

القسم الأول: الدّراسة.

-تمهيد.

في زمن مؤلف المخطوطة عبد الرزاق الكاشاني، شنّ المغول حملات شرسة على العالم الإسلامي فسيطروا على إيران عام (628هـ)، وزحف جيش هولاكو إلى بغداد ودمرها عام (656هـ)[1].

فتك هذا الاجتياح بسكان المدينة ومنشآتها العمرانية، وحرق ونهب المكتبات ومراكزها الحضارية، كما خرّب الجوامع والمساجد والمشاهد كجامع الخليفة ومشهد موسى الكاظم والمدارس كالمدرسة التاجية ببغداد، وامتدت يده إلى قتل كثير من العلماء، والمتصوفة وأسرهم، وذلك من أجل القضاء على تراثهم الفكري والعلمي. قام علماء القاهرة والشام بإغاثة من نجا من علماء العراق، وحاولوا تجديد المجد الإسلامي من خلال بذل الجهد في التأليف والتصنيف لإصلاح ما أفسده المغول. أما من بقي من العلماء والزهاد الصوفية في العراق، قبعوا تحت اضطهاد الاحتلال المغولي، وتأثرت عائلاتهم إما بالقتل أو السجن، ومنهم من قدّم أموال للمغول للنجاة من القتل، ومنهم من ذهبت مؤلفاتهم وإجازاتهم، ومنهم من تعرّض للتنكيل بتهمة مكاتبة ملوك مصر والشام. ونتيجة للاحتلال المغولي انحسر العلم والتأليف في المناطق التي كانت تحت سيادته. وأثار هذا الاحتلال الحزن العميق والجزع الشديد في أنحاء البلاد الإسلامية واهتز وجدان المسلمين لهذا الحدث الجلل.[2]

تأثرت الحياة الاجتماعية في بلاد المسلمين ومنها العراق ممّا حصل تأثرا عميقا، ونهتم هنا في أربيل المحافظة التي نسخت فيها المخطوطة المحقّقة لمؤلفها عبد الرزاق الكاشاني. كان يعاني المجتمع في أربيل من الفقر الشديد مما دفع بعضهم إلى الاستجداء، وكان كثير منهم في السجون. ومنهم من عانى من تفكك

[1] ينظر: الذهبي، دول الإسلام، 121/2. وفي: فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، م2 275/1.
[2] ينظر: عبد الستار مطلك وعبد المنعم حامد، مجلة مداد الآداب، م5 482/5-527.

أسري وانخلاع الخلان والأهل عنه. فعانت الحياة الاجتماعية من عدم الاستقرار وعدم الشعور بالأمان، وضياع القيم الإنسانية المهمة كالوفاء والصدق، وتغليب المصلحة الخاصة على الجماعية، وخصوصا من قبل المسؤولين والموظفين في ذلك الوقت. ولهذا كان الشعراء والوعاظ يدعون إلى مواجهة الحياة وقسوتها من خلال تهذيب النفوس على الصبروالتأمل والزهد[1].

سادت الخلافات وحالة عدم الاستقرار والتنازع الأمة الإسلامية بأكملها. حيث انتشرت الفتن والمؤامرات وتعددت الحروب بين المسلمين فيما بينهم. عاد هذا التفكك لاختلاف الأيوبيين فيما بينهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي. فاستقلت الشام عن مصر، واستقلت الحجاز واليمن عن الشام ومصر، وقسّمت الشام نفسها إلى إمارات متعددة متحاربة، فانفصلت حمص عن حلب ودمشق، وكذلك انفصلت فلسطين والأردن.[2]

ومن جانب آخر كان الصليبيون يقومون بحملات صليبية متتالية على مصر وبلاد الشام. والصليبيون في إسبانيا والبرتغال وفرنسا يشنون الحروب على الأندلس[3].

وبسبب هذه الاضطرابات السياسية والاجتماعية وانتشارها على مدى واسع في ذلك الزمن الصعب على المسلمين، انتشرت الاتجاهات الفكرية المختلفة وانتعش التصوف والوعظ.[4]

وصل التصوف الإسلامي في جميع البلاد العربية والإسلامية إلى مكانة عالية وبالأخص في القرن الخامس الهجري وما تلاه، نظرا لما امتلكه من نفوذ روحي وقاعدة شعبية واسعة. مما أثار انتباه المؤسسة السياسية في ذلك الزمان وتحركت لاحتضانه ودمجه في المؤسسة حتى تُدعم من خلاله وتسيطر بذلك على

[1] ينظر: أحمد الفلاحي، مجلة جامعة القدس المفتوحة، م1 42/167-180.
[2] ينظر: أبو معاذ الليبي، منتديات ستار تايمز الالكترونية.
[3] ينظر: راغب الحنفي وراغب السرجاني، مجلة مداد الالكترونية، 8-11-2007.
[4] ينظر: علي القاسمي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م77 4/-720719.

الناس وتستعين به في مواجهة المعارضين وسياسة الدولة بيسر. ومثال على ذلك كانت السلطنة السلجوقية وبعد زوال نفوذها في بغداد بقي التيار الصوفي محتفظا بمكانته مع العباسيين[1].

وتميّز التصوف الفلسفي في القرنين السادس والسابع الهجريين بتأثره بالفلسفة اليونانية وخصوصا فلسفة الإشراق وأفلاطون وغيرهما. وبعد هذه المرحلة أصيب التصوف بنوع من التدهور فلم يضف جديدًا بعد القرن السابع الهجري، واقتصر على شروح وترديد ما كتبه المتصوفة السابقون[2].

-سيرة عبد الرزاق الكاشانيّ

للأسف هناك القليل مِمّا كتب عن مؤلف هذه المخطوطة رغم إسهاماته في تأليف العديد من الكتب.

-اسمه:

هو: عبد الرزاق بن كمال الدّين، الكاشانيّ، ويُلقّب بجمال الدّين، ويُكنّى بأبي الغنايم. لم تذكر المصادر والمراجع الّتي تمكّنت من الاطلاع عليها سنة مولده[3]. والصّحيح في نسبته هو:"الكاشانيّ" بالكاف وليس بالقاف؛ لأنّه يُنسب إلى مدينة "كاشان" في بلاد ما وراء النهر، وعلى بابها وادي أخسيكت[4].

-شيوخه:

حصّل الكاشانيّ ثقافة لغويّة وإسلاميّة وصوفية واسعة، بثلاث طرق وهي:

1-الأخذ عن علماء عصره.

درس الكاشانيّ علوم اللّغة والشّرع، والتصوّف على كبار علماء عصره، ومنهم:

---

[1] ينظر: في رياض راضي، مجلة لارك للفلسفة والإنسانيات والعلوم الاجتماعية، م1 23/124-163.
[2] ينظر: عفاف مصباح، مجلة كليات التربية في جامعة الزاوية، 14/1-23.
[3] ينظر: علي القاسمي، عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م77 4/719.
[4] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/430.

– نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني[1].

2–صحبة علماء الصّوفية في عصره، والتتلمذ على أيديهم، ومنهم:

– كان مريدا للشيخ نور الدين عبد الصمد القنطنزي (ت699هـ) [2].

3–القراءة الذاتيّة.

كان الكاشانيّ شغوفًا بالعلوم المختلفة وبخاصّة علم التّصوف، فلجأ الكاشانيّ إلى دراسة كثير من كتب علماء التصوّف والإسلام، فتتلمذ على كتب الشّيخ محيي الدّين بن عربيّ (ت638 هـ)، كما درس أشعار الشّاعر الصوفيّ عمر بن الفارض(ت632 هـ).

مذهبه:

هو شيعي متصوف له تأويلات وتفسيرات صوفية للقرآن الكريم[3].

مؤلفاته:

غاية المؤلف عبد الرزاق الكاشاني من كتاباته هي غاية دينية روحية لإبراز الأولوهية وصفاتها وعلاقتها بالإنسان، فهو يؤمن بإمكانية تجلّي الأولوهية بأسمى معانيها في الإنسان[4]، وبالتالي يتجلى الحق فيه، ويصبح جديرا بالخلافة في أرضه. وقد ترك لنا تسعة مؤلّفات في: علوم الأخلاق والأدب، والتفسير، والتصوّف، وهي[5]:

[1] ينظر: علي القاسمي، عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م77 4/719.
[2] ينظر: علي القاسمي، عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م77 4/719.
[3] ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص527.
[4] ينظر: مديحة مرسي، الألوهية عند عبد الرزاق القاشاني، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع 21 4/184.
[5] ينظر: علي القاسمي، عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م77 4/722-723.

1. شرح كتاب منازل السائرين للهروي الحنبلي، شرح كتاب صوفي في الفلسفة الإسلامية للهروي (ت481هـ)، وفيها رسم المؤلف دستورا للسلوك الإنساني.
2. شرح كتاب فصوص[1] الحكم لابن عربي وهو كتاب صوفي يتحدث في الألوهية والحقائق الوجودية وأسرار الأنبياء والرسل.
3. تأويلات القرآن، كتاب تفسير للقرآن الكريم بذوق صوفي.
4. اصطلاحات صوفية، كتاب فيه معاني لبعض المصطلحات الصوفية.
5. كشف الوجوه الغر في معاني نظم الدر، كتاب في التصوف ويشرح القصيدة التائية لابن الفارض (ت632 هـ).
6. رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، كتاب يشرح معاني بعض المصطلحات الصوفية.
7. تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح، وهو كتاب في علم الأخلاق.

[1] فصوص بمعنى جواهر.

-دراسة الكتاب.

1-منهج المؤلف في تأليف كتابه:

اتبع المؤلف الأسلوب الاستدلالي من خلال:

1. الاقتباس من آيات من القرآن الكريم، والأحاديث النّبويّة الشّريفة، والاستدلال بها على آرائه.
2. الاستدلال بأقوال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
3. الاستدلال بأقوال لحكماء من العرب والمسلمين وغيرهم.
4. الاستدلال بأبيات شعرية.

كان المؤلّف صاحب منهج يقوم على المنطق في معالجة موضوعات المخطوطة كلّها، إذ بدأ بمقدمة تعريفية عن علم الأخلاق وضرورته، ومن ثمّ انتقل إلى خبايا وصفات النفس البشريّة في المقالة الأولى، وكيفية تهذيبها وإكسابها الفضائل، وإبعادها عن الرذائل، وكيفية معالجة هذه الرذائل. وفي المقالة الثانية فصّل في كيفية التعامل القويم مع الدائرة الصغيرة التي تخص كلّ فرد، من خلال إضفاء ما تمّ تعلّمه في المقالة الأولى لتفعيله عمليا في الدائرة الأولى من: الأهل والأقارب والأصدقاء والمعلمين والمعاونين. ومن ثم انتقل إلى الدائرة الأوسع وهي المجتمع، وفصّل في كيفية أن يكون المجتمع قويمًا، وكيف يجب أن يكون الحاكم الفاضل العادل وكيف تكون مدينته وكيف يكون الحاكم الفاسد الظالم وكيف تكون مدينته وأنواعها.

2-مضمون الكتاب ومحتواه:

يتكوّن الكتاب من: مقدّمة، وثلاث مقالات، وخاتمة، ويمكن توضيح مضمونها على النّحو الآتي:

-المقدّمة.

المقدمة جاءت في المبادئ وفيها سبعة فصول تناولت أساسيات علم الأخلاق، والنفس، وكمال وشرف الإنسان، ووصوله غاية السعادة وهي الخير والنفع لذاته دون غرض.

إنّ كمال الإنسان متوقف على مدى قدرته على التحلي بأكبر قدر ممكن من الصفات الإلهية، أي أن يكون صورة الله المصغرة غير المُطلقة على الأرض، ويبقى فقيراً للحي الذي لا يموت. وكي يصل الإنسان إلى هذه المرتبة العالية من الكمال ويكون مؤهلاً لمبتغى الله تعالى في خلافته في الأرض، فيكون الحاكم العادل المنصب من الله والمسؤول بحسن التصرف في سياسة الأرض والخلائق، لا بد له من علم ينتفع به بالعلم والعمل لتحقيق هذا.

علم الأخلاق هو علم يستطيع به الإنسان بلوغ هذه المراتب العليا من الكمال، ومن لم يستطع الوصول لها لن يكون مؤهلا لتحقيق الغاية الإلهية ويسود الفساد والظلم. وأول ما يطبق هذا العلم على النفس، فيزكي نفسه من الشهوات والرغبات الدنيا ويسمو بها بالفضائل والغايات والمعارف الإلهية.

ومن ثم يتوسع التعلم والتطبيق ليشمل مجتمعه الصغير من العائلة والمعلمين والعاملين والأصدقاء أو ما يسمى بسياسة المنزل، ومن ثم يتوسع أكثر ليصل المجتمع والمدينة فيسمى سياسة المدن.

وفائدة علم الأخلاق عظيمة إذ به يصل الإنسان إلى تحصيل مَلَكة جميلة تمكنه من التحكم بأفعاله، فتبعده عن ما هو شر وتدفعه للخير والجميل. وبالتالي فإن هذا العلم أدرى ما يكون بماهية النفس البشرية وكيفية التعامل معها للتحكم في الأفعال. والنفس هي شيء ليس بمادي ولا جسماني، لكنّها جوهر داخلي تُدرك

المعقولات والمحسوسات، والجسد يُعدّ كالآلة لها. والإنسان كُرّم من الله تعالى لامتلاكه النفس الناطقة القادرة على هذا الإدراك والتمييز ليكون أعلى مرتبة من سائر الخلق.

وبإمكان هذه النفس الناطقة أن تسمو وتسمو لتدرك الحقائق والمعارف الإلهية وتحقيق أعلى مرتبة ألا وهي الوحدة فيصبح الله تعالى سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وهذا ما يسمى بالحكمة النظرية، ومن الممكن لها السمو حتى تتملك أشرف الصناعات والحرف وهذا ما يسمى الحكمة العملية. وهذا يتطلب من الإنسان معرفة ذاته، وقواه وملكاته ونقاط ضعفه حتى يتميز بالقوي ويعزز الضعيف ويحسن السلوك ليصل إلى السعادة.

-المقالة الأولى:

وتشمل ثلاثة أبواب. الباب الأول في بيان الأخلاق وأنواعها، والثاني في تدبير النفس بتربية الفضائل، والثالث في رد ومعالجة أمراض النفس. وكل باب تمت تغطيته في فصول.

الخُلُق ما هو إلا مَلَكة، وهذه الملكة هي التي تمكن الإنسان من التحكم في أفعاله. فهذه الملكة قادرة على تحقيق الميزان في قوى النفس المختلفة المتصارعة والتي منها تنبع الرغبات والشهوات والغايات، وتجعلها متناغمة متسالمة فيما بينها فلا إفراط ولا تفريط. والتأتي بهذه الحكمة الأخلاقية يؤول إلى صفاء الذهن، وجودة الفهم، والذكاء، وحسن التصور، وسهولة التعلم، والحفظ والتذكر.

ومن الفضائل التي تلزم النفس التحلي بها هي الشجاعة بأنواعها، التي تتضمن كبر النفس عن الصغائر والتفاهات، وعظم الهمة، والثبات، والثقة بالنفس في المخاوف، والحلم عند ثورة الغضب، والسكون وعدم الطيش، والعفة وترك الانتقام، والتواضع، والشهامة، واحتمال الكد، والتراحم والتواد والتعاطف.

وفضيلة أخرى هي العفة، وتتمثل بالحياء، والصبر على مصارعة الهوى، والسكون عند هيجان الشهوات، واكتساب المال بكرامة وإنفاقه بالمحمود، والقناعة، والوقار، والمسالمة، والرفق، ومحبة كل ما يكمل النفس، وملازمة الأعمال الجميلة، وتقدير الأمور بما يكون بخدمة المصالح العامة، والسخاء.

أما العدالة، فتكون في الصداقة، والألفة، والوقار، والتودد للأفاضل، ومبادلة الإحسان بمثله، وحسن الشراكة، وحسن القضاء دون المنّ، وصلة الرحم، والشفقة، وإزالة المكاره عن الناس، وإصلاح ذات البين، والانقياد لأمر الله والتسليم له، والرضا، والعبادة في تعظيم الله وأهله والالتزام بشريعته.

أمّا الرذائل، فهي كل ما وقع على مواضع الإفراط والتفريط على ميزان الفضيلة. فالفضيلة هي المركز وهي المحمودة، والرذائل تكون أطرافها إما إفراطًا أو تفريطًا وكلاهما مذمومان. فمثلا العدالة هي الفضيلة وهي في المركز، أما إفراطها فهو الظلم، وفي مقابله تفريطها وهو الانظلام. فالظالم والمظلوم هما الأضداد بينما الفضيلة في الأصل.

وقد تشتبه الرذائل على أنها فضائل، ويعرف هذا من خلال معرفة غاية القيام بالفضيلة. فإن كانت لذاتها فخير، أما إن كانت لتحقيق مآرب وشهوات دنيا فرذيلة. مثلا السخاء إن كانت غايته المن على الناس والتسلط عليهم فهذا رذيلة.

ويكون اكتساب الفضائل بتقويم النفس بالرفق واللطف بداية، وإن كانت عسرة القبول فبالزجر والعنف حتى تتقوم دون اليأس. ومن ناحية أخرى تشجع النفس على مصاحبة أهل الفضيلة والعلم ومهاجرة أهل الرذيلة والشر. هذا بالإضافة إلى توظيف النفس في وظائف نظرية وعملية تلهها عن الكسل والخمول، فالنظرية مثلا كالتفكر في المعارف الحقيقية والغايات السامية، والعملية كالعبادات والتطوعات. وتدريب هذه النفس على محاسبة نفسها على الحسنات والسيئات، والشكر على الحسنات والندم والتوبة على السيئات.

أمّا وإن حصل ووقع الإنسان في مرض الرذيلة فيتوجب العلاج، والذي يبدأ بمعرفة تفصيلية عن هذه الرذيلة، وتعزيز الإنسان ودفعه للتحلي بالفضيلة التي هي بالمركز ومؤالفة أصحابها والتفكر بها. وإن تعذّر فبدفعه إلى الرذيلة التي تقابلها على الميزان فتقهر واحدة الأخرى حتى يعتدل. وإن لم ينجح هذا فبالعقوبة والأعمال والتحديات المجهدة حتى يتحصل الشفاء. ومن هذه الأمراض التي تحتاج المعالجة الحيرة، والجهل البسيط والمركب، والغضب، والافتخار، والجبن، والخوف، والحرص، والبطالة، والحزن، والحسد وغيرها.

-المقالة الثانية:

المقالة الثانية وهي في سياسة المنزل وتشمل سبعة فصول.

بالضرورة هناك حاجة للإنسان إلى منزل يحفظه، وفيه المسكن والراحة وفيه يتحقق بقاء نوع الإنسان بالإثمار. فالعائلة تحتاج إلى منزل يجمعها، ويحفظ الأولاد وبالتالي يكون المنزل مؤسسة تحتاج إلى سياسة وتدبير، يسوسها رب المنزل تتضمن الأهل والأولاد والأبوين والعاملين المعاونين.

والمنزل هو أحد سُبل تحقيق الوحدة، من خلال تحقيق التآلف الوجداني بين الساكنين، حتى يصبحوا جسدًا واحدًا وهم أعضاؤه، ورب الأسرة طبيب ورئيس من جهة، وعضو من جهة أخرى.

فالمنزل يحتاج إلى تدبير إما من خلال ميراث أو العمل بصناعة. والمدخل يحتاج إلى حسن تدبير حتى لا يكون هناك تقتير أو إسراف وتتحقق مصالح الجميع.

ويستكمل الباب في طرق وأساليب وآداب التعامل مع الأهل أو الزوجة، والأبوين بمراعاة الحقوق والواجبات، والأولاد من خلال تدبير تأديبهم وتعليمهم والترويح عنهم واختيار المعلمين الأفاضل لهم لتعليمهم الفضائل من

جهة والصناعات من جهة أخرى وفقا لقدراتهم وميولهم واحتياجاتهم، وتعليمهم آداب الذوق والسلوك في المأكل والمشرب والكلام والمجالسة، وسياسة الخدم بحسن اختيارهم ورعاية احتياجهم ومطالبهم وحسن متابعة وتقويم أعمالهم ومداراتهم.

-المقالة الثالثة:

وهي في تدبير المدن، وتقع في سبعة فصول.

هناك بالضرورة حاجة للتمدن، ويحتاج إلى غيره ليكمله ويسد نواقصه. وهذه الحاجة تخلق ضرورة التعاون وتحقيق المصلحة النافعة للكل، واجتماعهم يحتاج إلى مدينة، والمدينة تحتاج إلى رئيس، يُدبّر هذا الاجتماع ويحقق المطالب والمنافع العادلة للجميع، ويوحد المجتمع ويستخدم سياسة الردع والعقاب إن لزم.

وأفضل الرؤساء في المجتمع الفاضل هو خليفة الله في أرضه المحقق كماله، المنصب من قِبَل الله المُشرّع الألهي الملك الحاكم العادل الفاضل. وهذا الاجتماع الفاضل بالتأكيد بحاجة إلى موارد ومال تحتاج إلى حسن سياسة وتدبير. ولابد لهذا الحاكم أن يكون قادرًا على السيطرة على النفوس من أن تؤول إلى أهوائها في الأنانية والمصلحة الذاتية مما يولد نيران الظلم والفساد والفرقة والنزاعات.

وما كان هناك احتياج إلى العدالة إلا لفقدان المحبة. فالمحبة تولد وحدة طبيعية بينما العدالة تولد وحدة صناعية بحسن الإدارة والسياسة. والمحبة تنشأ وتتعزز بالمعاملات والمخالطات من أجل الخير والنفع دون غرض وإنما لذات النفع والخير.

والمقالة تفصّل في أنواع المحبة. فالأفضل منها جميعا محبة الله، ومن ثم محبة المعلم للمتعلم، ثم الأب للولد، ثم المحسن للمحسن إليه. والحاكم العادل عليه أن يعرف مراتب المحبة ليتمكن من القيام بالعدالة فلا تؤثر محبة على محبة أخرى. وفي المقابل عليه أن يعرف العداوة وأسبابها وخواصها.

أمّا أقسام المجتمعات فأفضلها المدينة الفاضلة التي تضم أقوامًا لا يريدون إلا اكتساب الخيرات واجتناب الشرور ويسعون للوحدة والتناغم. ولا يكون حاكمها إلا خليفة الله في أرضه، وإلا آلوا إلى أنفسهم وفسدوا.

بالإضافة إلى تقسيم المجتمع إلى خمسة أركان. الأول من الأفاضل العارفين بحقائق الأشياء. الثاني من الفقهاء والوعاظ والخطباء والكتاب. والثالث من المُراعين لمصالح المجتمع والمُؤدين بعدالة كالأطباء. والرابع من الجيش. والخامس من الجالبة للأرزاق كالتجار والحرفيين.

وإن لم توجد المدينة الفاضلة، كانت هناك المدينة الفاسدة ولها مراتب. الأولى الضرورة، والثانية النذالة، والثالثة الخسة، والرابعة الكرامة، والخامسة التغلب، والسادسة الحرية، والسابعة الفاسقة.

وسياسة المدينة الفاضلة هي الإمامة التي غايتها تكميل الخلق وإيصالهم السعادة لذاتها. وأما المدينة الفاسدة بمراتبها فسياستها التغلبية التي تقوم على السلطة والاستعباد والأنانية وتؤول إلى الشقاوة.

وتشمل المقالة أيضا آداب الخدم والأتباع مع الحكام. كما وفصلت في فضيلة الصداقة التي هي نوع ومتطلب للعدالة وأساس لمجتمع المدينة الفاضلة. وأهمية الصديق وكيفية التعامل معه وكيفية اختباره واختياره، وفي المقابل كيفية التعامل مع الأعداء إن وجدوا.

-الخاتمة:

وتضمنت جملة من التوصيات بأسلوب صوفي للمتأدب، والتشديد عليه بالإصرار لبلوغ غايته وتحقيق أقصى درجة من الكمال يستطيع إنسان أن يصلها من أجل توليه السياسة الفاضلة العادلة وتحقيق الوحدة والسعادة لذاتها على مستوى الفرد والمنزل والمدينة.

3- المصادر الّتي اعتمدها المؤلّف في تأليف كتابه:

اعتمد عبد الرزاق الكاشانيّ على عدد من المصادر المهمة، وهي:

-المصادر الدّينية

حيث اعتمد المؤلف على اقتباسات من آيات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأقوال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

-المصادر غير الدّينية

أهمها لحكماء وفلاسفة وأبيات شعر.

القسم الثاني: التحقيق

أولا: التحقق من عنوان المخطوط ومؤلفه ووصفه:

1. **التحقق من عنوان المخطوطة.**
2. **التحقق من اسم المؤلف.**
3. **التحقق من نسبة العنوان للمؤلف.**

ثانيا: نسخ المخطوطة.

ثالثا: وصف نسخ المخطوطة.

1. **نسخة مكتبة جامعة برينستون.**
   - **الوصف الداخلي.**
   - **الوصف الخارجي.**
2. **نسخة مكتبة فاتح.**
   - **الوصف الداخلي.**
   - **الوصف الخارجي.**
3. **نسخة مكتبة آية صوفيا.**
   - **الوصف الداخلي.**

- الوصف الخارجي.

4. نسخة مكتبة كوبريلي:

- الوصف الداخلي.

- الوصف الخارجي.

رابعا: صور من نسخ المخطوطة الأربعة.

خامسا: منهج الباحثة في التحقيق:

1. توثيق آيات القرآن الكريم
2. توثيق الأقوال.
3. التعريف بأعلام الأشخاص والأماكن.
4. توثيق الأشعار.
5. شرح معاني الكلمات والمصطلحات.

القسم الثاني: التحقيق.

أولًا–التحقق من عنوان المخطوطة ومؤلّفه ووصفه:

1–التّحقق من عنوان المخطوطة:

تمّ التحقق من صحة العنوان من خلال الآتي:

– مقدّمة الكتاب، قال: "إذ أعلى المقاصد إنّما يُبلَغُ بأجل الذرائع، وأشرف المطالب لا يُدرك إلا بأعز القرائع. وسميتها: "تزكية الأرواح عن موانع الإفلاح"، وطويتها على: مقدمةٍ، وثلاث مقالات، وخاتمةٍ، مستمدّاً التوفيق من حضرة وليّ التّحقيق".

– ورد العنوان نفسه على أربع نسخ للمخطوطة.

– ورد بالعنوان نفسه في: كتابي: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"[1]، و "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"[2].

– ورود بالعنوان نفسه في كتابي: "مختارات من المخطوطات العربية النادرة– تركيا[3]، و "كتاب الذريعة"[4].

–ورود في عدة مواقع إلكترونية تعنى بالمخطوطات بهذا العنوان، ومنها: موقع مكتبة جامعة "برينستون"، و"الرقّ المنشور".

[1] ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 402/1.
[2] ينظر: اسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين 566/1.
[3] ينظر: رمضان شيشن، مختارات من المخطوطات العربية النادرة تركيا، 694/1-695 مخطوطة رقم (1289).
[4] ينظر: آقا بزرك الطهراني، الذريعة، 171/4 مخطوطة رقم (849).

2-التّحقق من اسم المؤلف:

تمّ التّحقق من اسم المؤلف الذي ورد في عدة كتب، لكنّه لم يرد بسلسلة نسب واحدة، وذلك لعدم تحقّق المؤلّفين من الاسم، وحصول لبس عندهم بين لقبه ولقب والده، ولبس في نسبته إلى بلده"كاشان"، فقد نُسب إليها بطريقين وكلاهما صحيح، وهما: الكاشاني والكاشي. كما نسب إلى "قاشان" بالقاف، القاشانيّ والقاشي. وهو غير صحيح؛ لأنّه لا توجد مدينة باسم "قاشان" كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحمويّ[1]. وقد ورد ذكره في كلّ من:

1. كتاب:"الأعلام" ، ذكره باسم عبد الرزاق (جمال الدّين) بن أحمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشي)[2].
2. كتاب:"معجم الفلاسفة" باسم كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني[3].
3. كتاب:"الأعلام بتصحيح كتاب الأعلام" باسم عبد الرزاق الكاشي[4].
4. كتاب:"مختارات من المخطوطات العربية النادرة- تركيا" باسم كمال الدين عبد الرزاق بن جمال الدين أحمد الكاشي[5].
5. كتاب:"هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين" باسم عبد الرزاق بن جمال الدين بن أحمد كمال الدين بن أبي الغنايم الكاشي[6].
6. وورد في موقع: "الرق المنشور" باسم عبد الرزاق بن جمال الدين بن أحمد كمال الدين بن أبي الغنايم الكاشي.

---

[1] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 430/4.
[2] ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ، 350/3.
[3] ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص527.
[4] ينظر: محمد الرشيد، الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام، ص78-79.
[5] ينظر: رمضان شيشن، مختارات من المخطوطات العربية النادرة تركيا، 694/1-695 مخطوطة رقم (1289).
[6] ينظر: إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 567/1.

7. ورد في "تصنيف مكتبة برينستون" باسم عبد الرزاق القاشاني وعلى نسخة المخطوطة في صفحة أولى للعنوان تزكية الأرواح للسجستانيّ، وفي الصفحة الثانية للعنوان باسم أبي الغنايم عبد الرزاق السجستانيّ.

3-التّحقق من نسبة العنوان للمؤلف:

تمّ تأكيد نسبة عنوان المخطوطة للمؤلف في:

1. مكتبة جامعة برينستون.
2. موقع الرق المنشور.
3. كتاب: "مختارات من المخطوطات العربية النادرة – تركيا".

جاء اللبس من كتاب هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، حيث نسب الكتاب إلى: "أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري"[1]، وهذا من غير الممكن؛ إذ إن الصنعاني بحسب ترجمة المؤلف هو: المحدث اليمني من رواة البخاري ووفاته كانت عام (211هـ)، لكن الكاشي أو الكاشاني شيعي متصوف وتوفي ترجيحًا عام(730هـ).

كما جاء اللبس أيضا من كتاب "الذريعة" حيث نسب الكتاب إلى نصير الدين الطوسيّ (ت672هـ)، وهذا اشتباه لأنّ الطوسي له مؤلفه أخلاق ناصري[2]. بالإضافة إلى ما ورد في كتاب كشف الظنون حيث لم يستطع المؤلف أن يقف على مؤلف المخطوطة[3].

[1] ينظر: اسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 566/1.
[2] ينظر: آقا بزرك الطهراني، الذريعة، 171/4 مخطوطة رقم (849).
[3] ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 402/1.

ثانيًا–نسخ المخطوطة:

تمكّنت من الحصول على أربع نسخ من مخطوطة الكتاب، وهي:

1. النسخة الإلكترونية في موقع مكتبة برينستون التي تم اعتمادها للتحقيق كنسخة أصل، وهي مجانية ومتاحة للجميع وكاملة وواضحة.
2. ثلاث نسخ مختلفة في موقع الرق المنشور، واحدة في مكتبة الفاتح، والثانية في مكتبة آيا صوفيا، والثالثة في مكتبة كوبريلي. الثلاث نسخ كاملة، وتمّ اقتنائها بمقابل ماديّ.

ثالثًا–وصف نسخ المخطوطة

1. نسخة مكتبة جامعة "برنستون":

هي النسخة الإلكترونية المطروحة للعامة مجانًا من خلال مكتبة جامعة برينستون، ورمزت لها بالرمز (ب) وتمّ اعتمادها أصلًا ؛ لسببين:

الأول: أنها نسخت أقرب ما يكون إلى وفاة المؤلف. إذ توفي الكاشاني في (735هـ)، وتمّ نسخ هذه النسخة من المخطوطة (746هـ).

الثاني: اسم الناسخ واضح وهو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن الشهرازوريّ، كما يسهل تحميلها بسهولة على أي جهاز وطباعتها ورقيا.

أ-الوصف الخارجي:

1. الصفحة الأولى والثانية كانتا بيانات مكتبة جامعة برينستون عن المخطوطة، وقد كتب اسم المخطوطة باللغتين العربية والإنجليزية، واسم المؤلف، وبعض الأسطر من بداية المخطوطة باللّغة العربية. وتضمنت البيانات الوصف الداخلي للمخطوطة باللغة الإنجليزية.
2. تصوير غلاف المخطوطة.

ب-الوصف الداخلي:

1. عدد الورقات 113 ورقة.
2. 26 X 17 سم طول وعرض الورقة.
3. المخطوطة كاملة وغير ناقصة.
4. المخطوطة واضحة، وموضوع كل مقالة مفهوم تماما.
5. يوجد في عدد من الصفحات كلمات مطموسة أو غير واضحة وهي لا تزيد على ثلاث أو أربع كلمات في أي موضع، والأكثر يكون كلمة أو اثنتين فقط. وهذا لا يؤثّر على فهم النصوص.
6. هناك ثلاث صفحات داخل المخطوطة تم تصويرها بطريقة خاطئة مما حجب محتوى ما يقارب عشرة أسطر من كل صفحة.
7. يوجد في نسخة المخطوطة التعقيبة الّتي تشير إلى الصفحة التي تليها.
8. المخطوطة مرتبة وكلّ قسم منها مُعنون بخط أسود كبير توضح الأقسام الرئيسة ثمّ الأبواب ثمّ الفصول الفرعية.
9. تمّ نسخ المخطوطة في عام (746هـ) وهذا قريب من عام وفاة مؤلف المخطوطة عام(735هـ).

10. اسم الناسخ هو: أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن الشهرزوري من أربيل.

11. الناسخ لم يضبط النّص إلّا في مواطن قليلة، ولا توجد علامات ترقيم.

8. المخطوطة مكتوب بخط النسخ، وبالحبر الأسود المائل إلى البني مع استخدام اللون الأحمر للعناوين.

9. استخدم الناسخ عبارة" صلعم" للصّلاة على الرسول محمد، صلّى الله عليه وسلّم، وقد قمت بتعديلها أول مرّة وردت في المتن والإشارة إلى ذلك في الحاشية، ثم واصلت التعديل في كلّ المخطوطة دون توثيق ذلك في الحاشية.

10. قام أحد القرّاء أو المنتفعين من المخطوطة بمحو عبارة: "عليه السلام" المضافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في كثير من صفحات المخطوطة، وكتب في الفراغ بخط مختلف عبارة: "رضي الله عنه".

11. يوجد على الحاشية عدد من صفحات المخطوطة كلمات توضيحية لما ورد في المتن، أو إشارة لإضافة كلمات في المتن، وهي مكتوبة بخط مختلف عن خط المخطوطة.

2. نسخة مكتبة الفاتح ، ورمزت لها بالرمز: "ف":

النسخة متاحة من خلال موقع الرق المنشور الإلكتروني، وهي نسخة مخطوطة مكتبة الفاتح في اسطنبول التي حملت تصنيف رقم (2545). تم الحصول عليها مجانا بمساعدة مكتبة الجامعة مشكورة.

نسخت في عام (758هـ) في حلب المحروسة وناسخها محمد بن الكافي الشيرازي.

النسخة كاملة وواضحة وتم الاستعانة بها في إكمال ما كان مطموس وناقص وغير واضح في النسخة الأصل. وتم توضيح ذلك في الحاشية.

أ-الوصف الخارجي:

1. الصفحة الأولى تصنيف للمخطوطة أنها للتصوف وأنها وقف "حلبي زادة مولانا درويش محمد" كتبه محمد بن خضر بن الحاج حسن.
2. الصفحة الثانية كانت تتضمن تصنيف المخطوطة في مكتبة فاتح، وكتب عليها عنوان المخطوطة والمؤلف بشكل صحيح، ليعدل فوق المؤلف بخط مختلف معلومات خاطئة عن مؤلف آخر. وهناك إشارة على الهامش الأيمن من الصفحة تنفي هذا التعديل وتوعزه لنصير الدين الطوسي والذي هو خطأ أيضا. كما كتب على الصفحة الثانية بعض العبارات عن رسم المخطوطة ومالكها وبعض الأختام والأقوال.
3. تصوير غلاف المخطوطة.

ب-الوصف الداخلي:

1. عدد الورقات 99 ورقة.
2. 15 X 11 سم طول وعرض الورقة.
3. المخطوطة كاملة وغير ناقصة.
4. المخطوطة واضحة، وموضوع كل مقالة مفهوم تماما.
5. لا يوجد في نسخة المخطوطة التعقيبة الّتي تشير إلى الصفحة التي تليها.

6. المخطوطة مرتبة وكلّ قسم منها مُعنون بخط أسود كبير توضح الأقسام الرئيسة ثمّ الأبواب ثمّ الفصول الفرعية.
7. تمّ نسخ المخطوطة في عام (758هـ) وهذا قريب من عام وفاة مؤلف المخطوطة عام (735هـ) لكن نسخة مكتبة جامعة برينستون أقرب.
8. لا يوجد توثيق لناسخ هذه النسخة من المخطوطة.
9. الناسخ ضبط النصّ نوعا ما، واعتمد على النقطة "." كعلامة ترقيم فقط.
4. المخطوطة مكتوب بخط النسخ، وبالحبر الأسود مع استخدام اللون الأحمر للعناوين.
5. استخدم الناسخ عبارة "صلّى الله عليه وسلّم" بعد اسم الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مواضعها.
6. كتب الناسخ عبارة "عليه السلام" المضافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في مواضعها.
7. يوجد على الحاشية عدد من صفحات المخطوطة كلمات توضيحية لما ورد في المتن، أو إشارة لإضافة كلمات في المتن ومعاني لبعض المفردات في المتن بنفس خط الناسخ ولكن بخط أصغر.
8. كتب الناسخ في الصفحة الأخيرة بعد الانتهاء من نسخ المخطوطة العبارة التالية: "والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وكان الفراغ من نسخته نهار الأحد تاسع شهر جمادى الأول من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية". ثم في عبارة أخرى: "بلغ الغرض وتم مع نسخة صحيحة منقولة من نسخة ...[1] تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته، فصححت بقدر الإمكان والله المستعان، وذلك في العشر الأول من شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بحلب المحروسة، والحمد لله أولا وآخرا والصلاة على سيدنا محمد

[1] في ف: اسم غير واضح بمقدار ثلاث كلمات.

وآله وصحبه باطنا وظاهرا، وكتب هذه الأسطر ...[1] رحمه الله محمد بن الكافي الشيرازي، بيض الله عسرة أحواله وأورق أغصان آماله بالنبي المصطفى وصحبه وآله".

3. نسخة مكتبة آيا صوفيا ويرمز لها "أ":

النسخة متاحة من خلال موقع الرق المنشور الإلكتروني، وهي نسخة مخطوطة مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول والتي حملت تصنيف رقم (1727).

لم يرد توثيق عام النسخ، لكن في الصفحة الأولى كتب في أعلى الهامش الأيسر عبارة: "من كتب الواثق بالولي الصمد والمنعم عبد العزيز بن علي بن محمد المنجم، متعه الله به وبسائر كتبه ومتصفحاته إن شاء الله العزيز في الخامس والعشرين من محرم سنة سبع وأربعين وسبعمائة".

النسخة كاملة وواضحة.

أ-الوصف الخارجي:

الصفحة الأولى هي صفحة العنوان وفيها تصنيف للمخطوطة أنها للتصوف وأنها وقف حرس السلطان مع أختام ولم يتم توثيق مؤلف المخطوطة عليها.

ب-الوصف الداخلي:

1. عدد الورقات 67 ورقة.
2. 16 X 6.5 سم طول وعرض الورقة.

[1] في ف: غير واضح بمقدار كلمة.

3. المخطوطة كاملة وغير ناقصة.

4. المخطوطة واضحة، وموضوع كل مقالة مفهوم تماما.

5. يوجد في نسخة المخطوطة التعقيبة الّتي تشير إلى الصفحة التي تليها.

6. المخطوطة مرتبة وكلّ قسم منها مُعنون بخط أسود كبير توضح الأقسام الرئيسة ثمّ الأبواب ثمّ الفصول الفرعية.

7. لا يوجد عام لنسخ المخطوطة ولكن تم امتلاكها كما تم توثيقه في صفحة العنوان وضمها لمكتبة "عبد العزيز بن علي بن محمد المنجم" في عام (747هـ) وهذا قريب من عام وفاة مؤلف المخطوطة عام (735هـ) بينما كان عام نسخ نسخة مكتبة جامعة برينستون(746هـ).

8. لا يوجد توثيق لناسخ هذه النسخة من المخطوطة.

9. الناسخ ضبط النصّ ، واعتمد على النقطة "." كعلامة ترقيم فقط.

10. المخطوطة مكتوب بخط النسخ، وبالحبر الأسود مع استخدام اللون الأحمر للعناوين.

11. استخدم الناسخ عبارة "صلّى الله عليه وسلّم" بعد اسم الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مواضعها.

12. كتب الناسخ عبارة "عليه السلام" المضافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في مواضعها.

13. نادرا ما يوجد حواشي في المتن وإن وجد تكون للإشارة لبعض الكلمات في المتن.

14. كتب الناسخ في الصفحة الأخيرة بعد الانتهاء من نسخ المخطوطة العبارة التالية: "تم الكتاب بحمد الملك الوهاب والصلاة على محمد خير خلقه صاحب المنبر والمحراب وعلى آله وأصحابه خير آل وأصحاب".

4. نسخة مكتبة كوبريلي ويرمز لها "ك":

النسخة متاحة من خلال موقع الرق المنشور الإلكتروني، وهي نسخة مخطوطة مكتبة كوبريلي والتي حملت تصنيف رقم (1271).

لم يرد توثيق عام النّسخ بشكل واضح، لكن في الصفحة الأولى كتب في الهامش الأيسر في وسط الصفحة عبارة ليست مكتملة: "قد بلغ هذه المجموعة ... كاتب هذه الأحرف... وأضعفهم سعد الله بن ... في ربيع الآخر لسنة ستة وثمانين وثمانمئة ...".

النسخة كاملة وواضحة.

أ-الوصف الخارجي:

1. الصفحة الأولى هي صفحة العنوان وفيها تصنيف للمخطوطة وأنها من كتب للإمام المحقق أبي القسم الحسن بن محمد بن الفضل، وعليها أختام وأبيات شعر.
2. تصوير لغلاف النسخة.

ب-الوصف الداخلي:

1. عدد الورقات 18 ورقة.
2. 15.5 X 9.5 سم طول وعرض الورقة.
3. المخطوطة كاملة وغير ناقصة.
4. المخطوطة واضحة، وموضوع كل مقالة مفهوم تماما.
5. لا يوجد في نسخة المخطوطة التعقيبة الّتي تشير إلى الصفحة التي تليها.

6. المخطوطة مرتبة وكلّ قسم منها مُعنون بخط أسود كبير توضح الأقسام الرئيسة ثمّ الأبواب ثمّ الفصول الفرعية.

7. نسخت في عام (886هـ).

8. لا يوجد توثيق كامل لناسخ هذه النسخة من المخطوطة. مكتوب على الصفحة الأولى ولم يكتب في الصفحة الأخيرة.

9. لا يوجد ضبط للنصّ ، ولا علامات ترقيم.

10. المخطوطة مكتوب بخط النسخ، وبالحبر الأسود مع استخدام اللون الأحمر للعناوين.

11. استخدم الناسخ عبارة "صلّى الله عليه وسلّم" بعد اسم الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مواضعها.

12. كتب الناسخ عبارة "عليه السلام" المضافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في مواضعها.

13. نادرا ما يوجد حواش في المتن وإن وجد تكون للإشارة لبعض الكلمات في المتن.

14. كتب الناسخ في الصفحة الأخيرة بعد الانتهاء من نسخ المخطوطة العبارة التالية: "تمت الرسالة بحمد الله الذي له الملك المطلق والبقاء الأبدي المحقق وهو المستحق لحقيقة الحمد والثناء والمستاهل لكلية الشكر والمدح والبهاء والعلو والسلام على سيد الأنبياء وآله وعترته الأئمة الطاهرين البر من الأتقياء اللازمة ... دائمة إلى يوم الدين ...".

رابعًا– صور من نسخ المخطوطة الأربعة.

1–صور من نسخة مكتبة جامعة "برنستون"، ورمزها "ب":

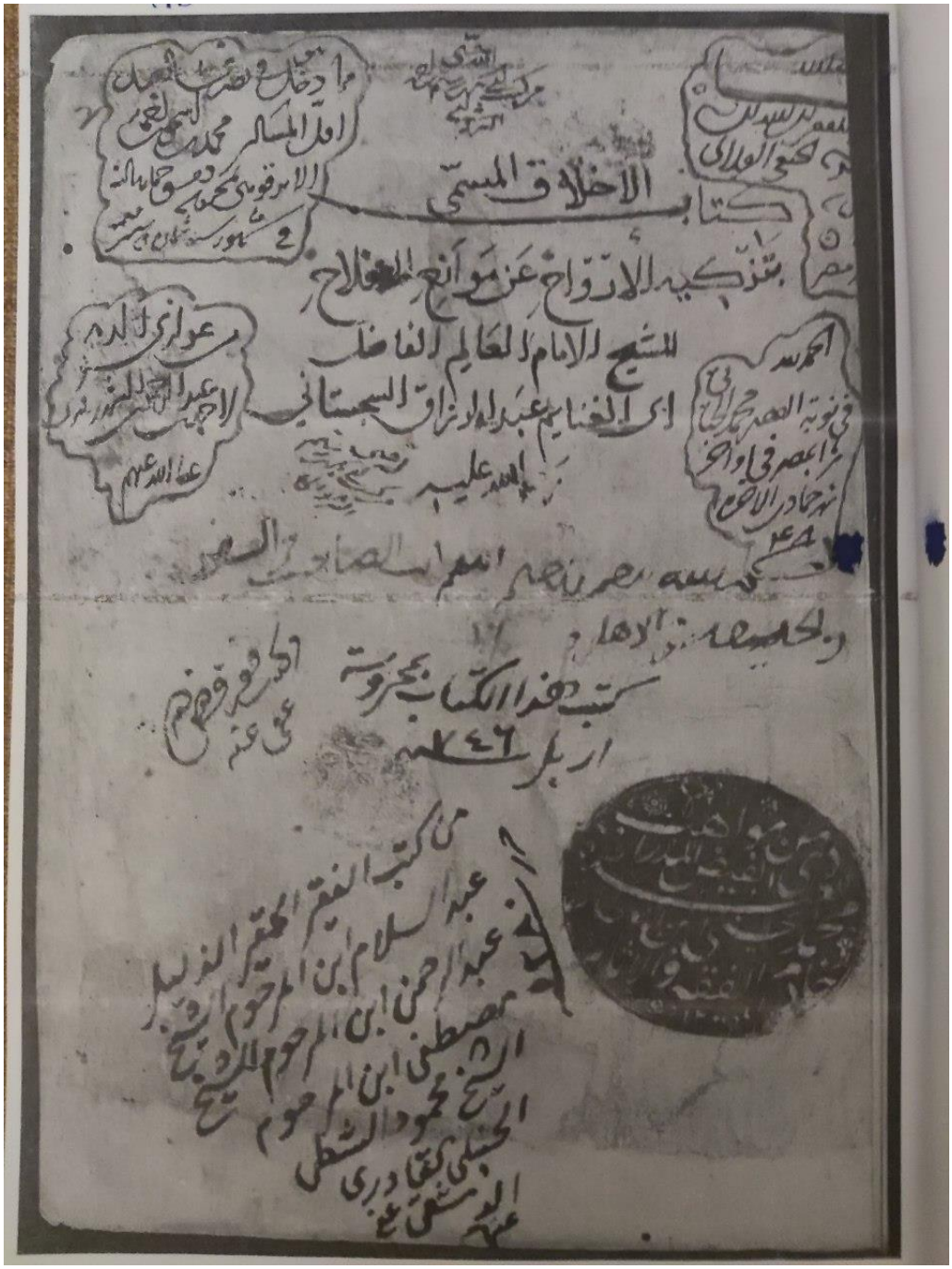

صورة (1): صفحة العنوان، من نسخة (ب).

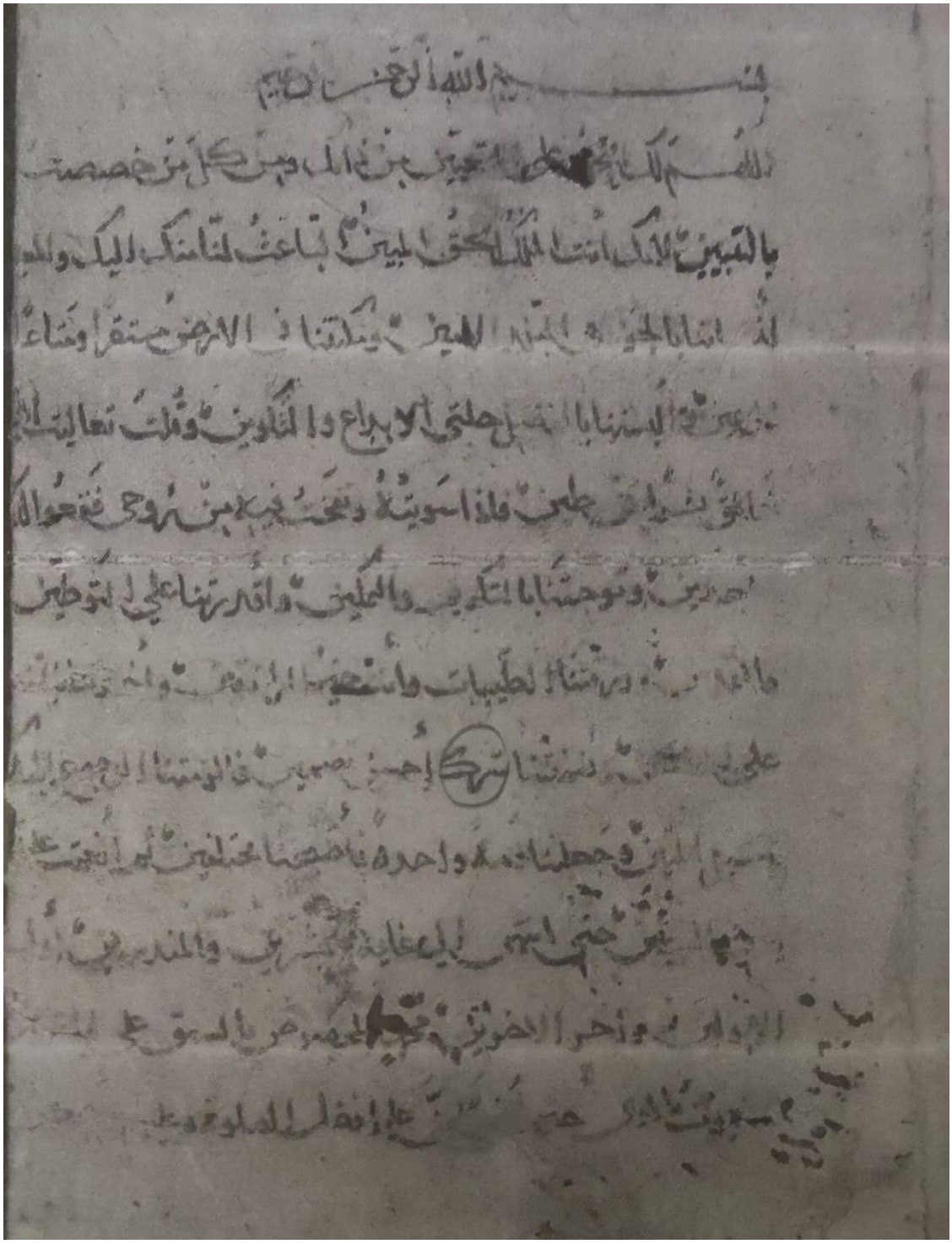

صورة (2): الصفحة الأولى من نسخة (ب).

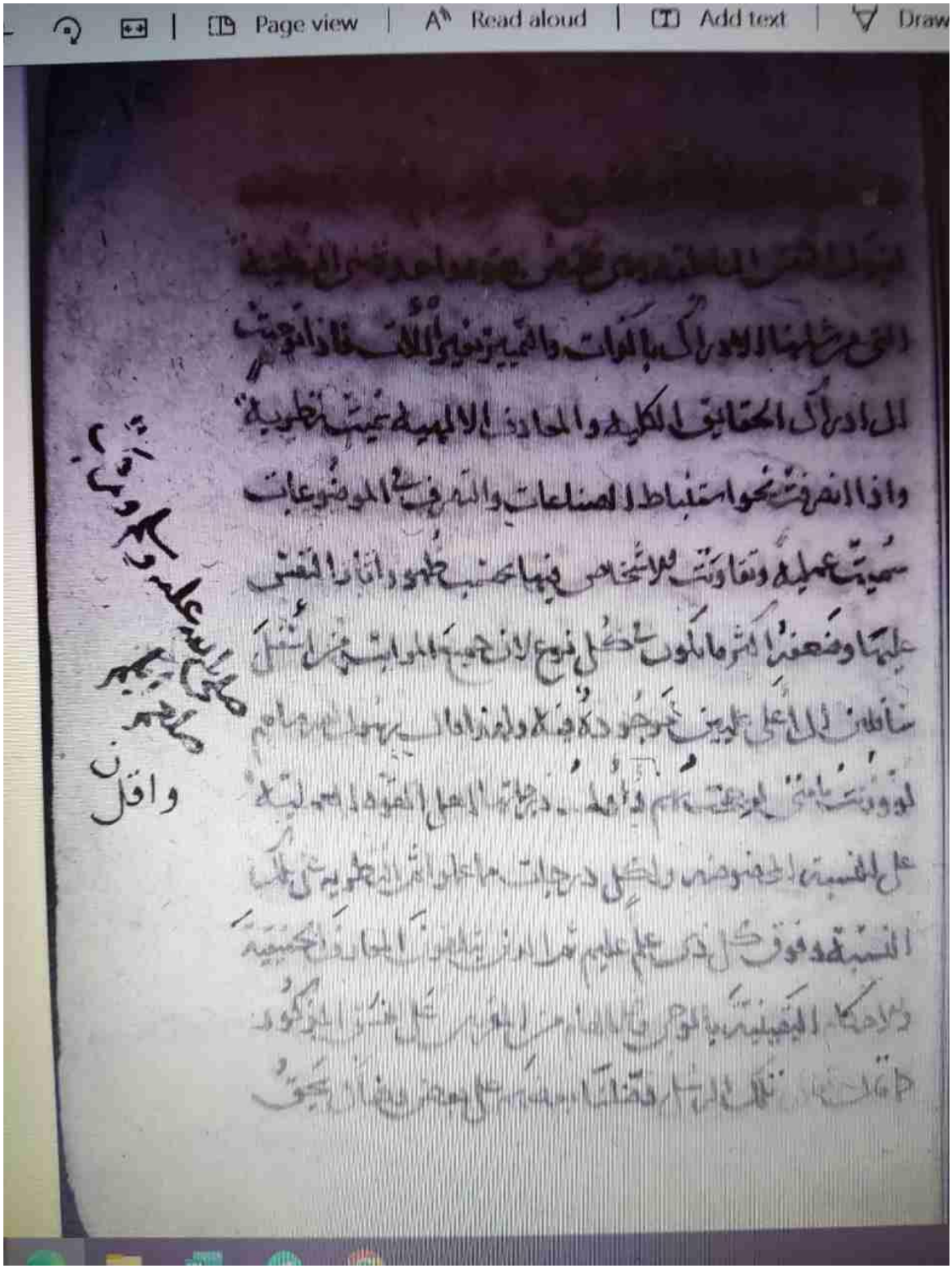

صورة (3): الصفحة رقم (25) من نسخة (ب).

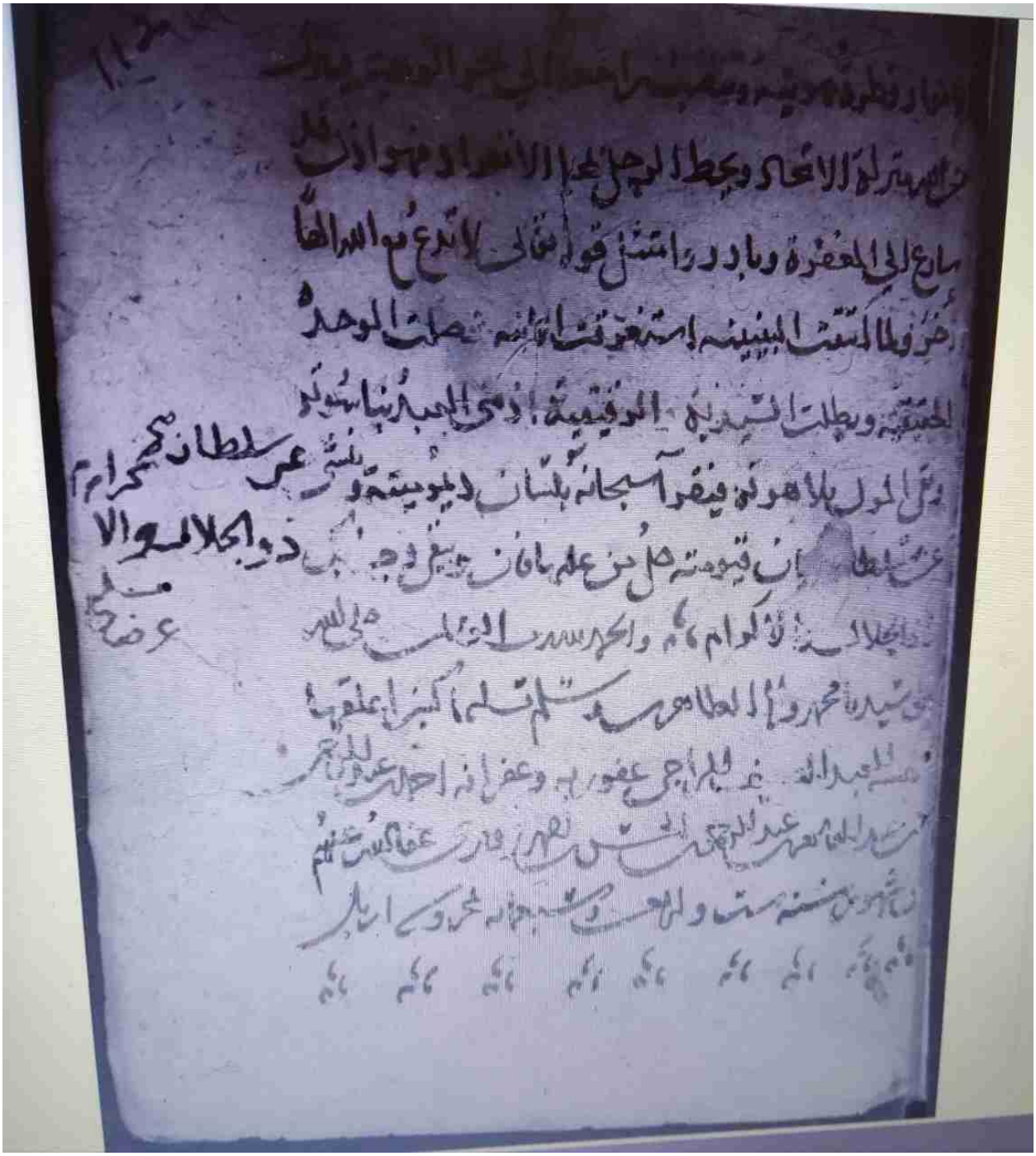

صورة (4): الصفحة الأخيرة من نسخة (ب).

2–صور من نسخة مكتبة "الفاتح"، ورمزها "ف":

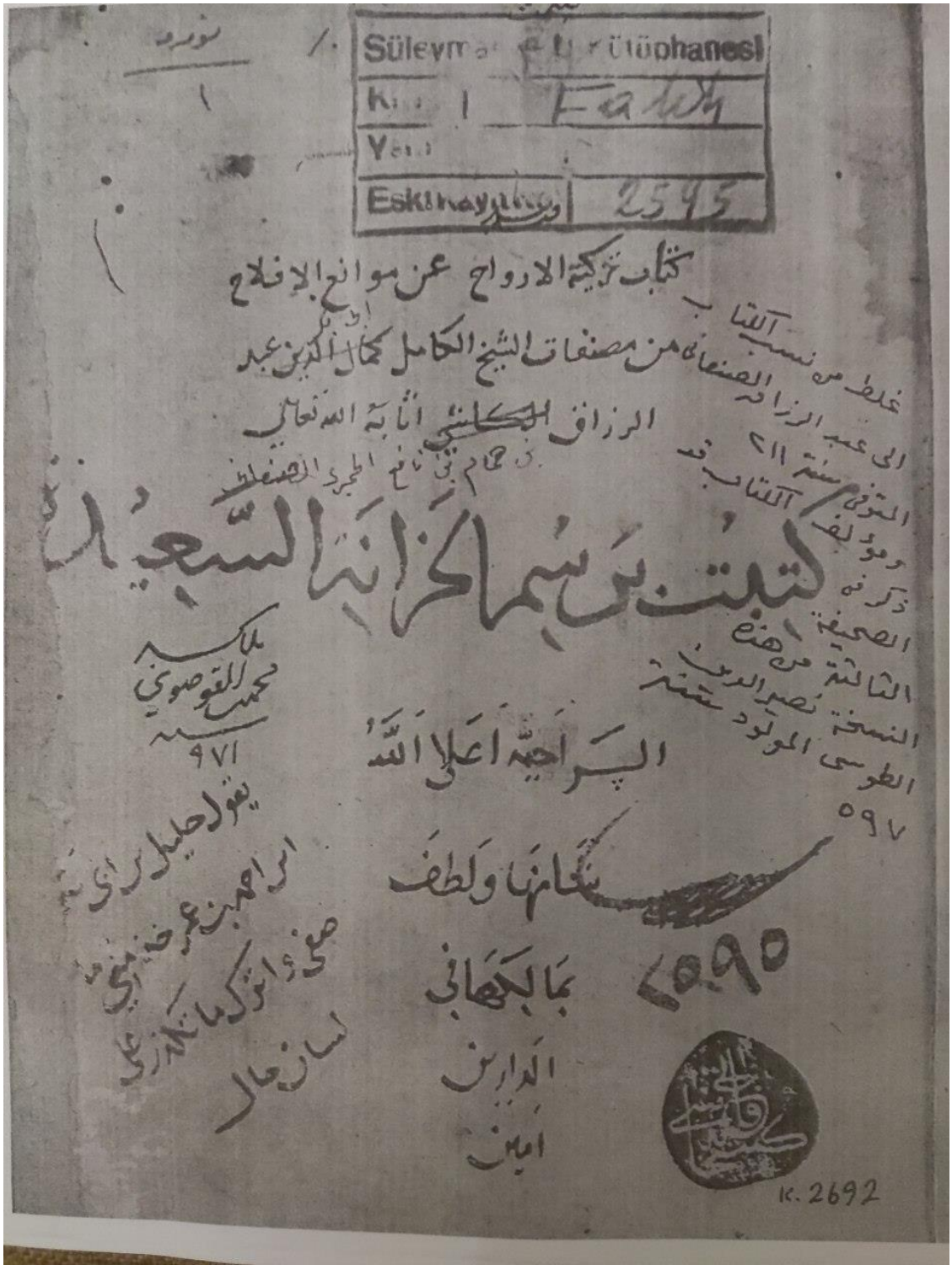

صورة (1): صفحة العنوان من نسخة "ف".

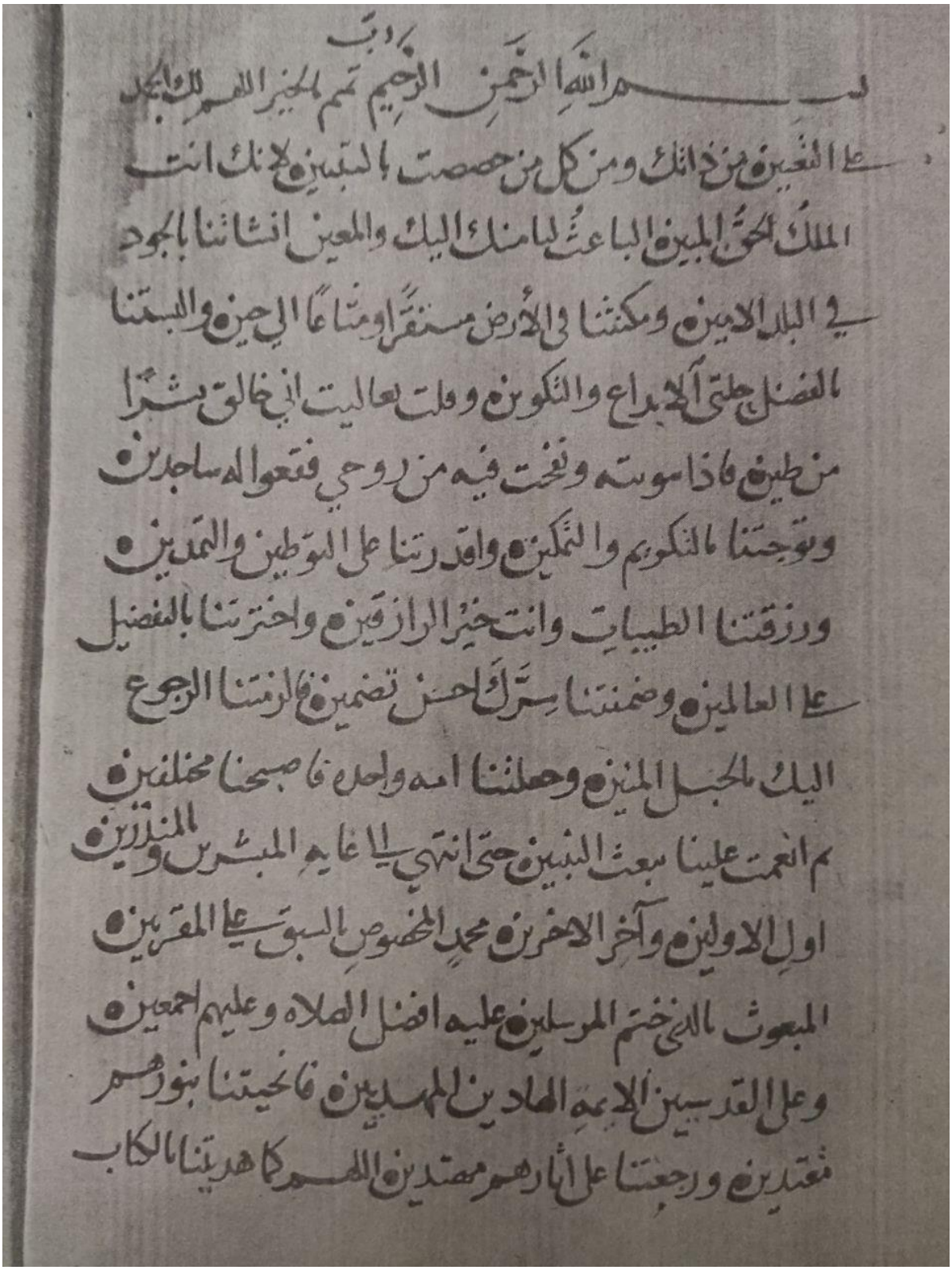

صورة (2): الصفحة الأولى من نسخة (ف).

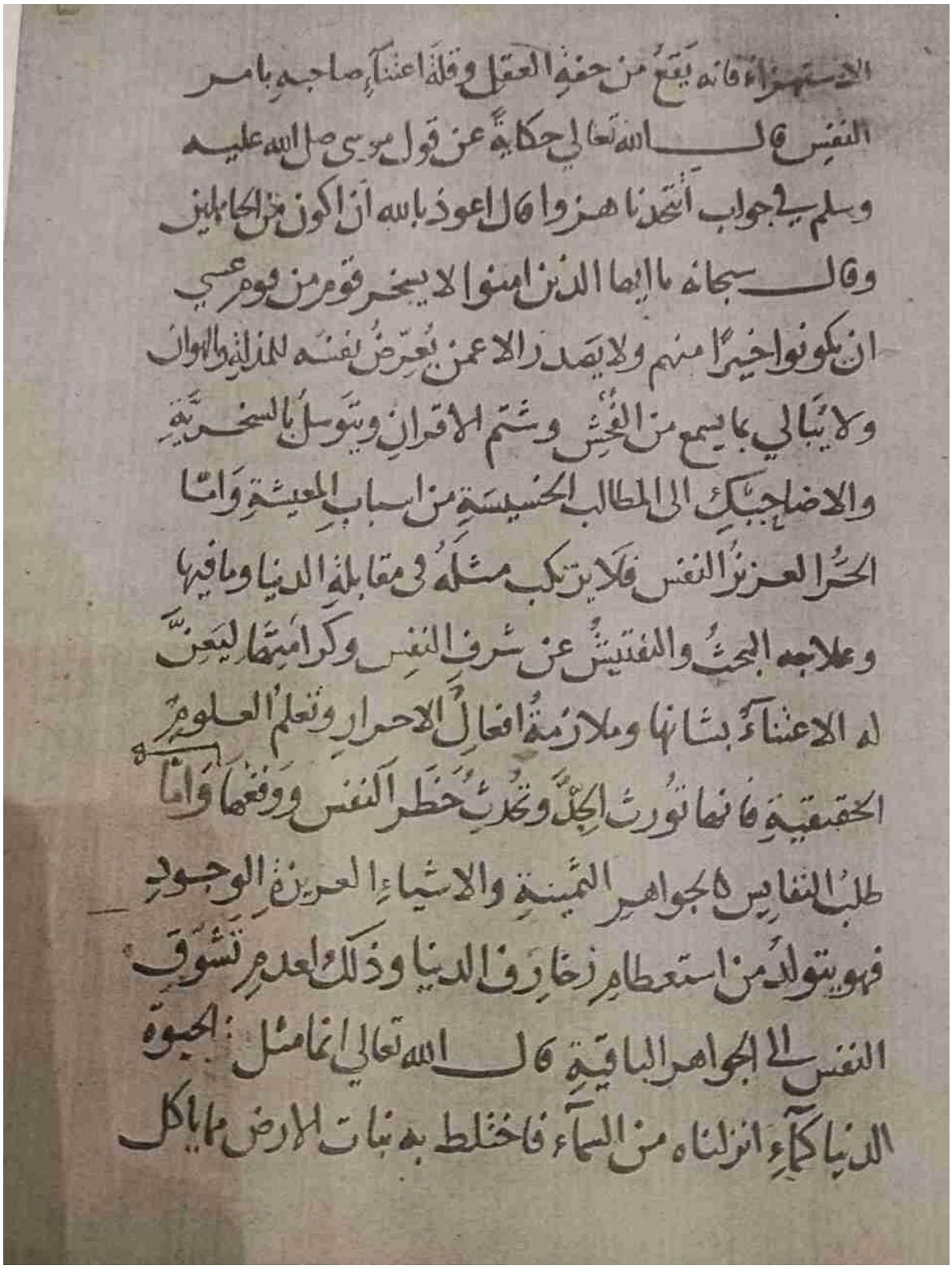
الاستهزاء فانه ينبع من خفة العقل وقلة اعتناء صاحبه بامر
النفس قال الله تعالى حكاية عن قول موسى صلى الله عليه
وسلم في جواب اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
وقال سبحانه يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا يصدر الا عمن يعرض نفسه للمذلة والهوان
ولا يبالي بما يسمع من الفحش وشتم الاقران ويتوسل بالسخرية
والاضحاك الى المطالب الخسيسة من اسباب المعيشة واما
الحر العزيز النفس فلا يرتكب مثله في مقابلة الدنيا وما فيها
وعلاجه البحث والتفتيش عن شرف النفس وكرامتها ليعتني
له الاعتناء بشانها وملازمة افعال الاحرار وتعلم العلوم
الحقيقية فانها تورث الجد وتحدث خطر النفس ورفعها واما
طلب النفايس من الجواهر الثمينة والاشياء العزيزة الوجود
فهو يتولد من استعظام زخارف الدنيا وذلك لعدم تشوق
النفس الى الجواهر الباقية قال الله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل

صورة (3): صفحة رقم (40) من نسخة (ف).

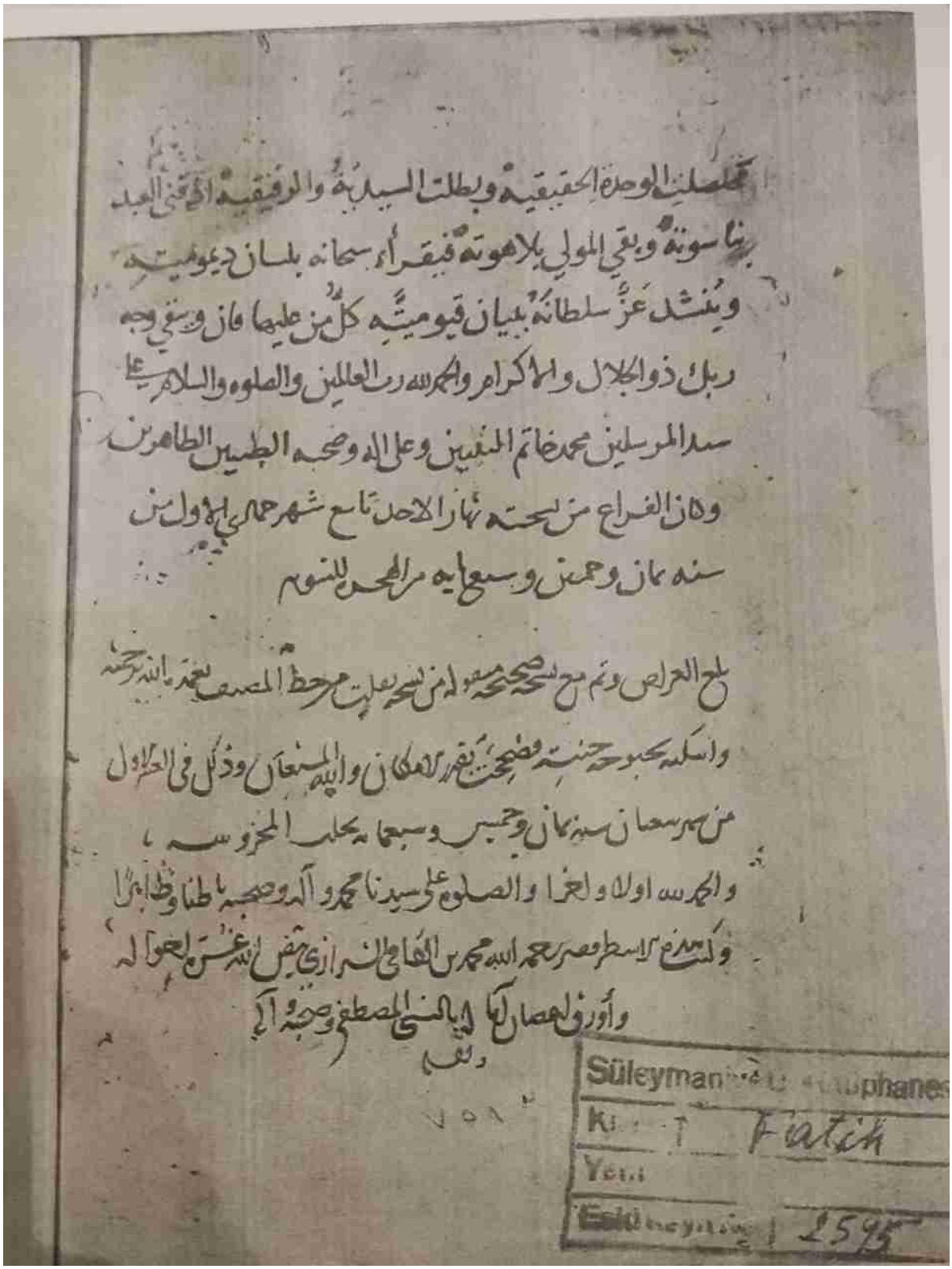

صورة (4):الصفحة الأخيرة من نسخة (ف).

3-صور من نسخة مكتبة "آيا صوفيا"، ورمزها (أ).

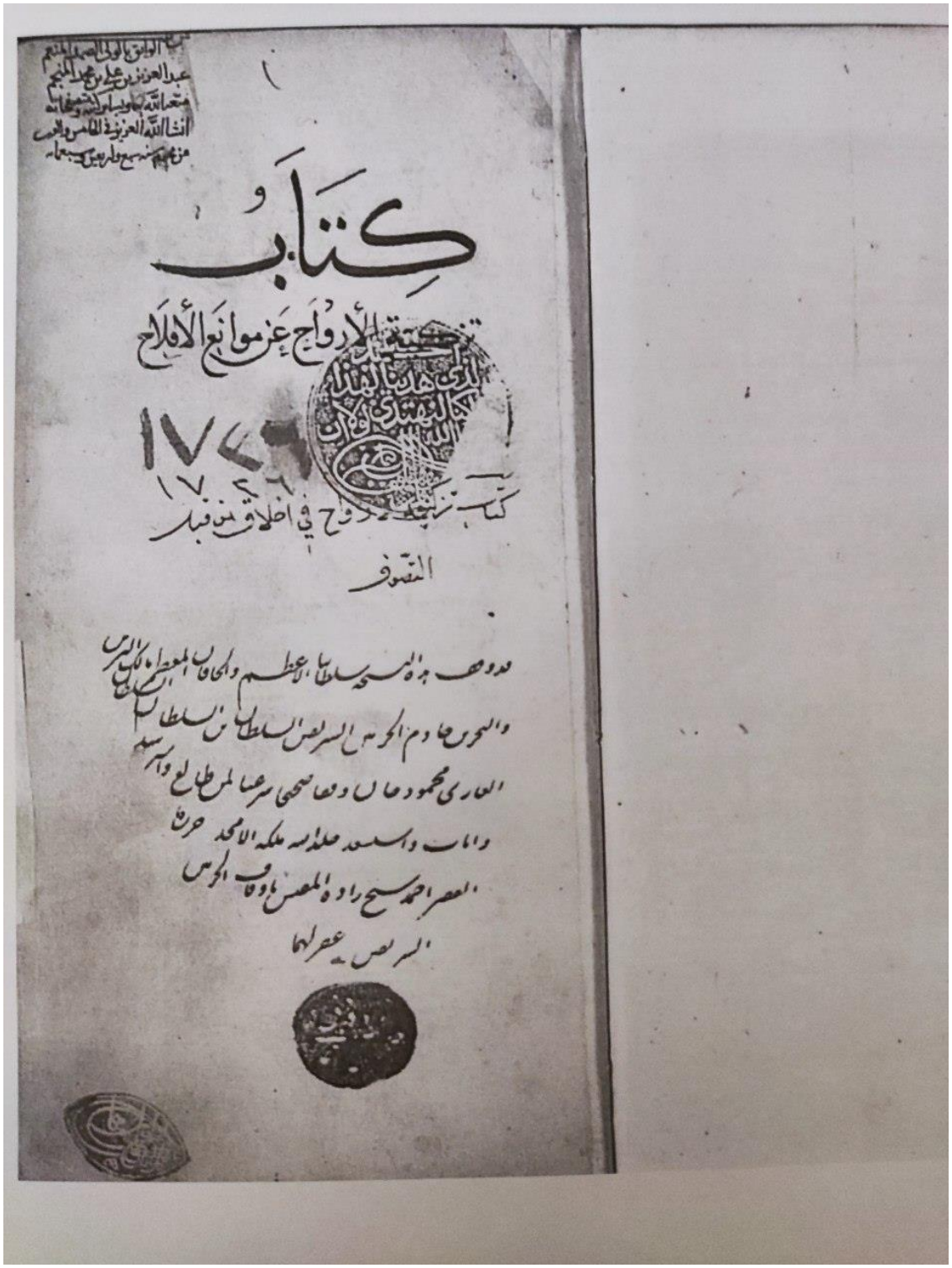
كتاب
تحفة الأرواح عن موانع الأفلاح
١٧٤٦
المتصوف

صورة (1): صفحة العنوان من نسخة (أ).

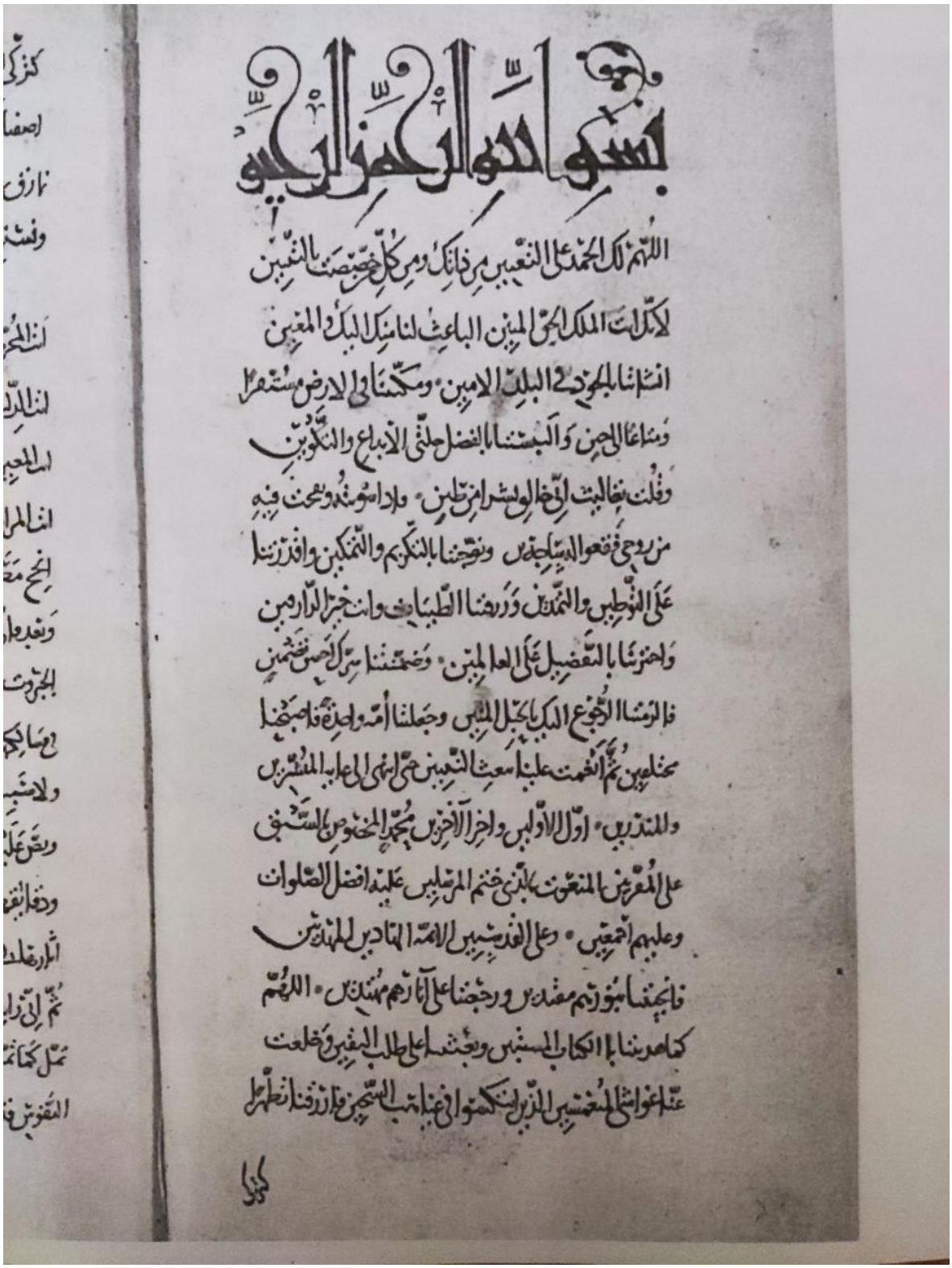

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد على النعيم من ذاتك ومن كل ما خصصت به المنعمين
لك الملك الحق المبين الباعث لنا منك البلاء المعين
انشأنا الجود في البلد الامين ومكننا في الارض مستقرا
ومتاعا الى حين وابتدأنا بالفضل على الانام والتكوين
وقلت بعالمك الى خالق البشر من طين واذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين ونفخنا بالتكريم والتمكين وافدرتنا
على التوطين والتمدن وزودنا الطيبات وانت خير الرازقين
واخترتنا بالتفضيل على العالمين وضمنتنا سر كل حصن حصين
فالزمنا الرجوع اليك بالحبل المتين وجعلنا امة واحدة فاصبحنا
مختلفين ثم انعمت علينا ببعث النبيين حتى انتهى الى اعلاهم المبشرين
والمنذرين اول الاولين واخر الآخرين محمد المخصوص بالسبق
على المقربين المنعوت بالنبي خاتم المرسلين عليه افضل الصلوات
وعليهم اجمعين وعلى الفرضيين الائمة الهادين المهديين
فانجبتنا بنوتهم مقتدين ورجحنا على آبائهم مهتدين اللهم
كما اصرتنا بالكتاب المسنون وبعثتنا على طلب النفيس والمخلوق
عنا عواشي المغتنين الذين انكمشوا في غياهب السجين فارزقنا نظرا

كذا

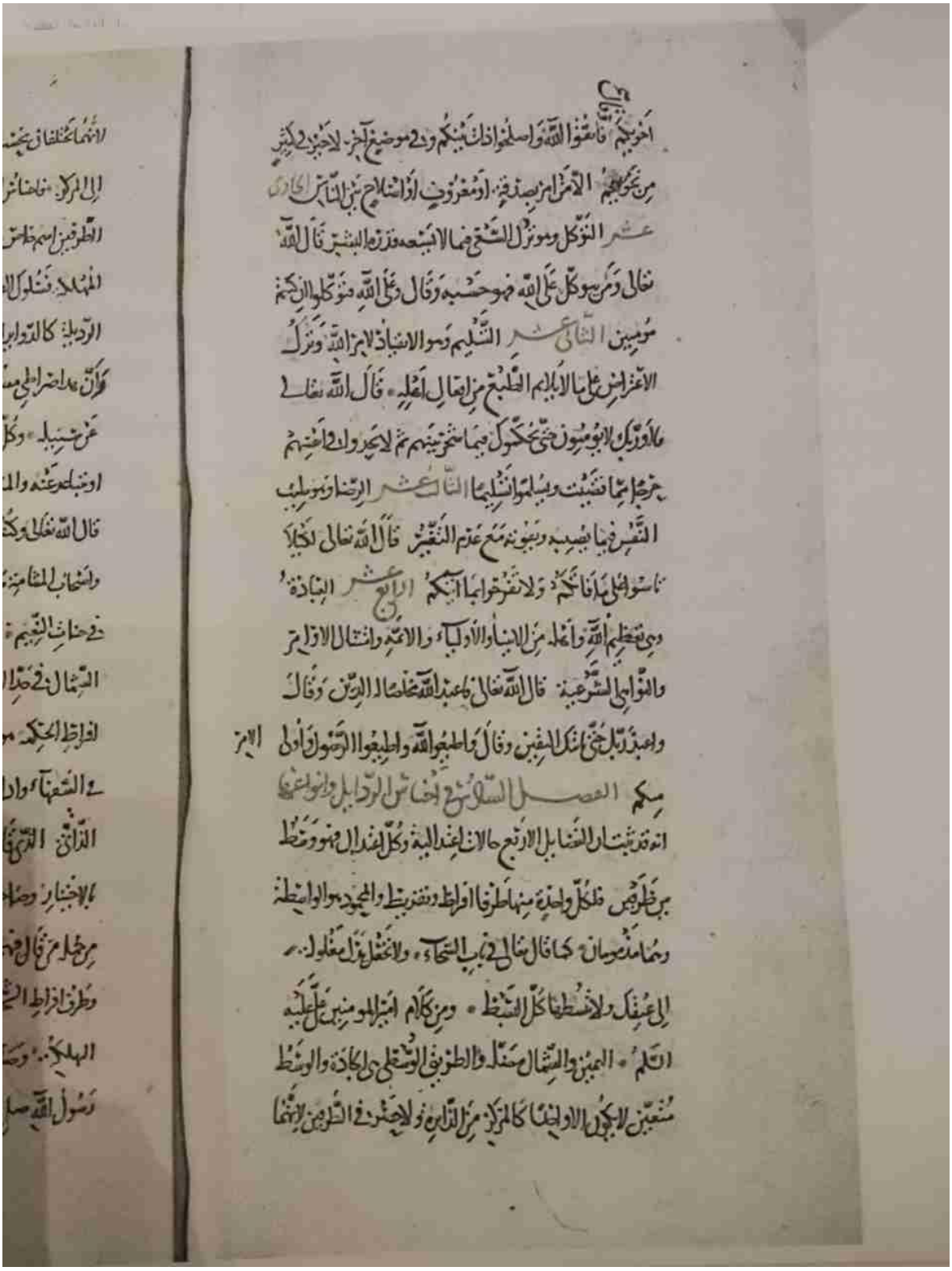

صورة (3): الصفحة رقم (37) من نسخة (أ).

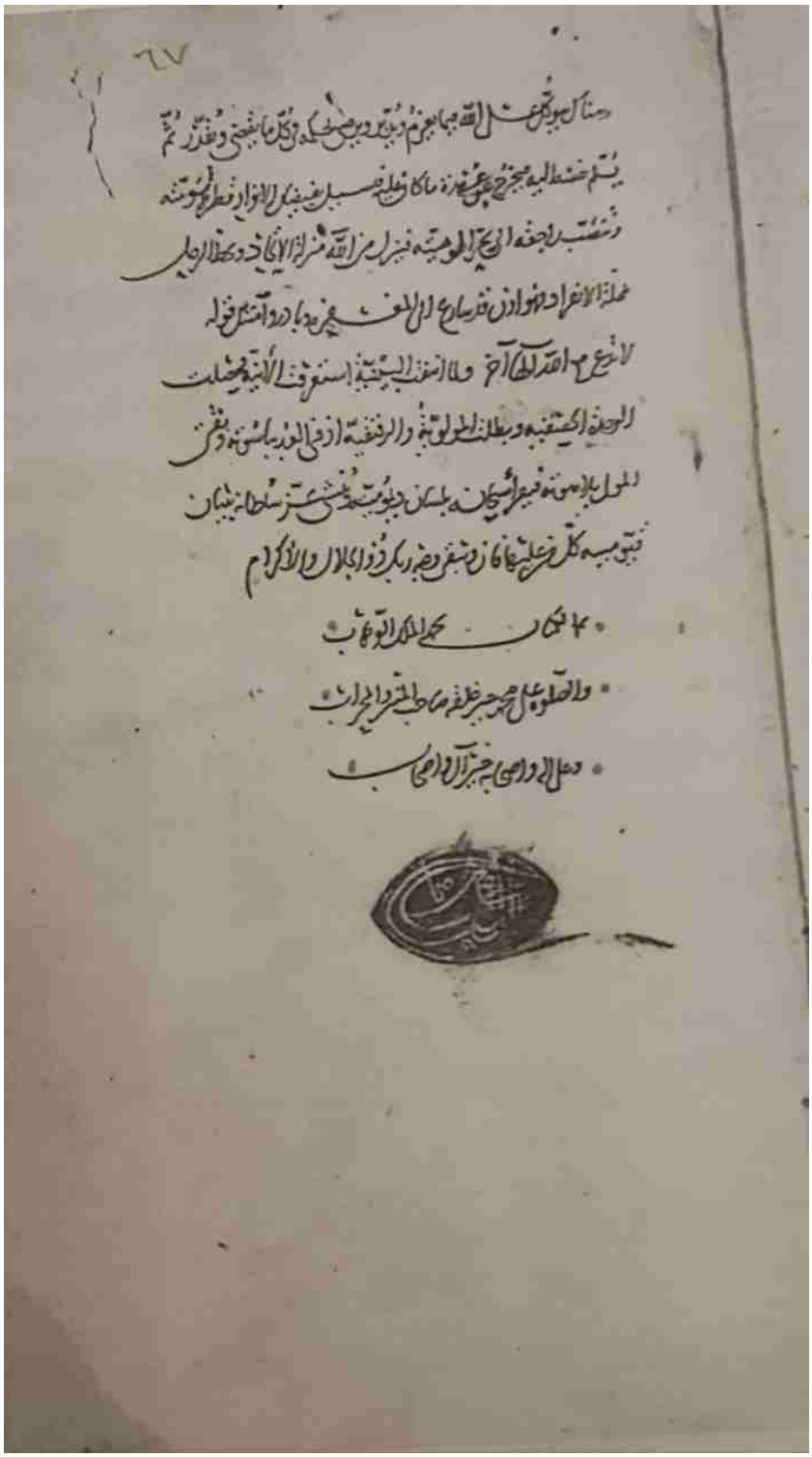

صورة رقم (4): الصفحة الأخيرة من نسخة (أ).

4–صور من نسخة مكتبة "كوبريلي":

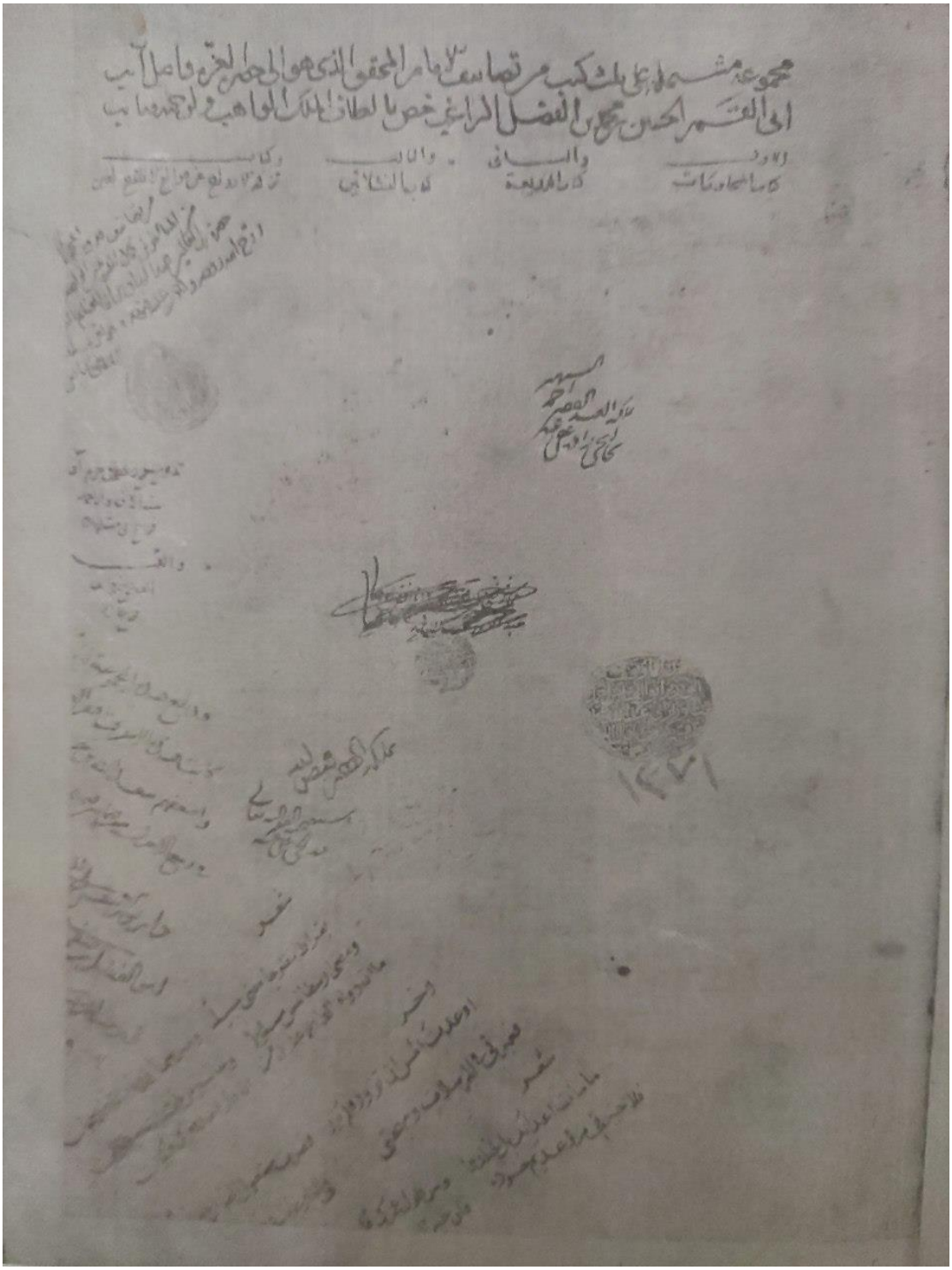

صورة (1): صفحة العنوان، نسخة (ك).

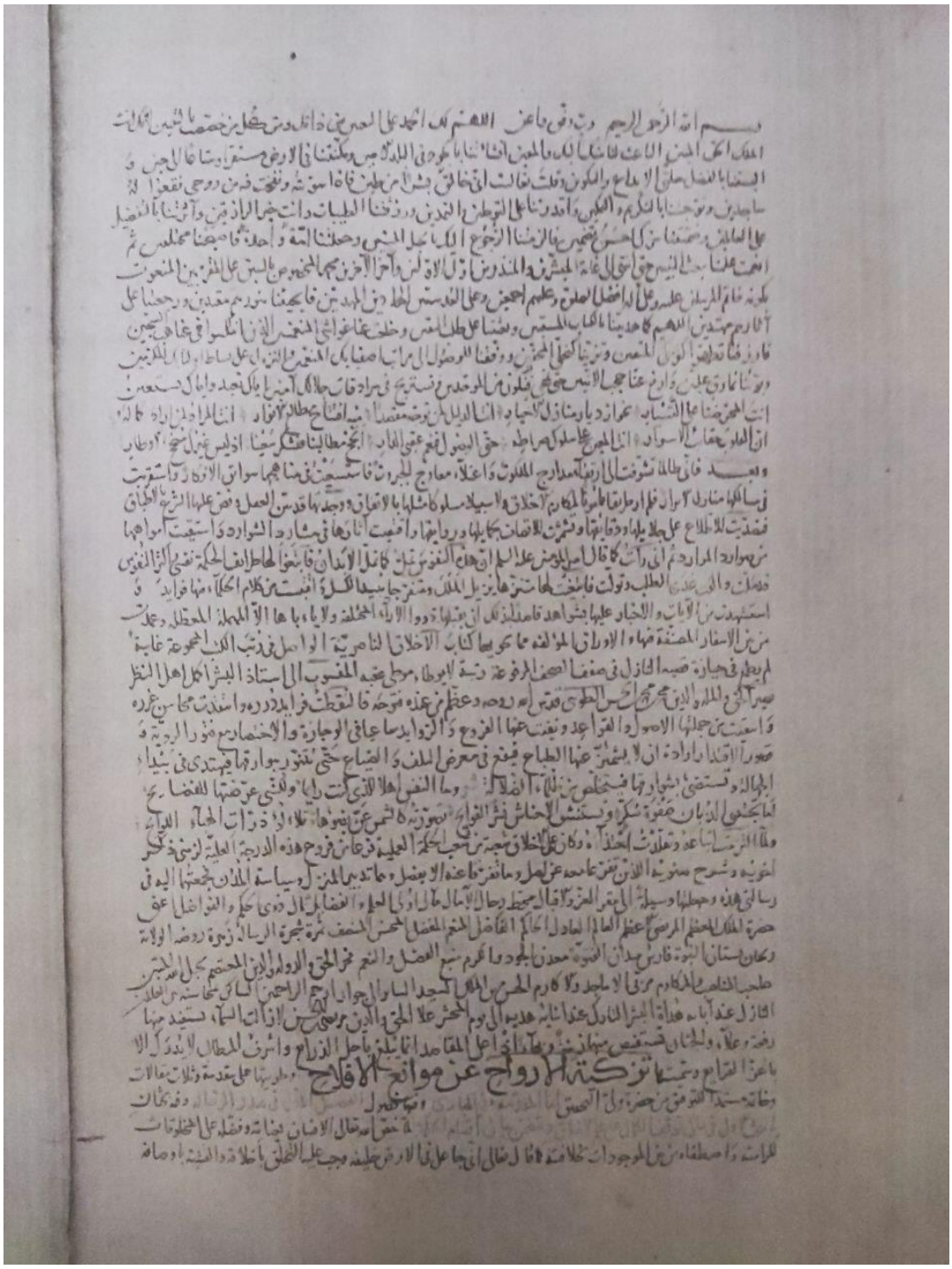

صورة (2): الصفحة الأولى نسخة (ك).

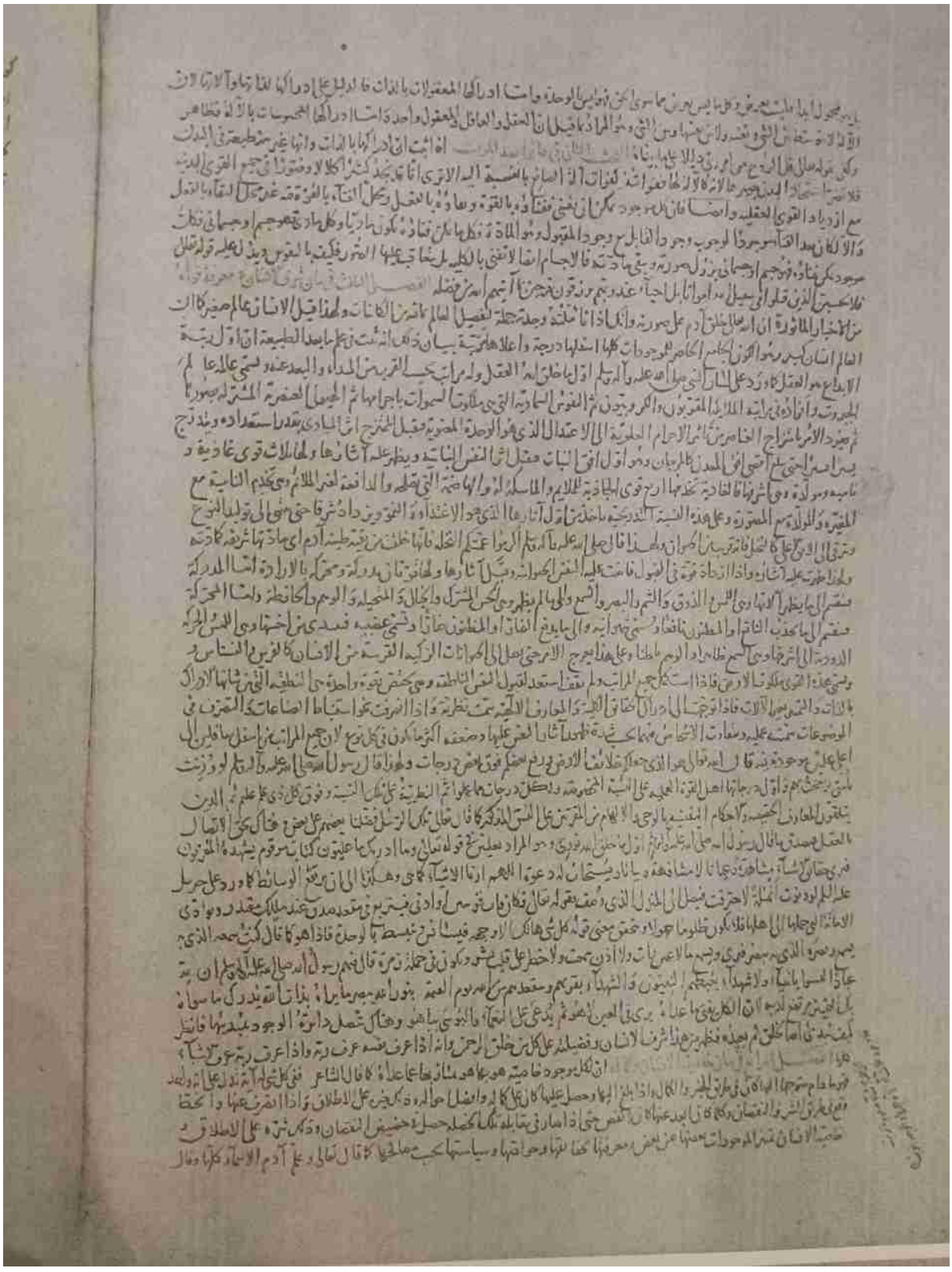

صورة (3): الصفحة رقم (3) من نسخة (ك).

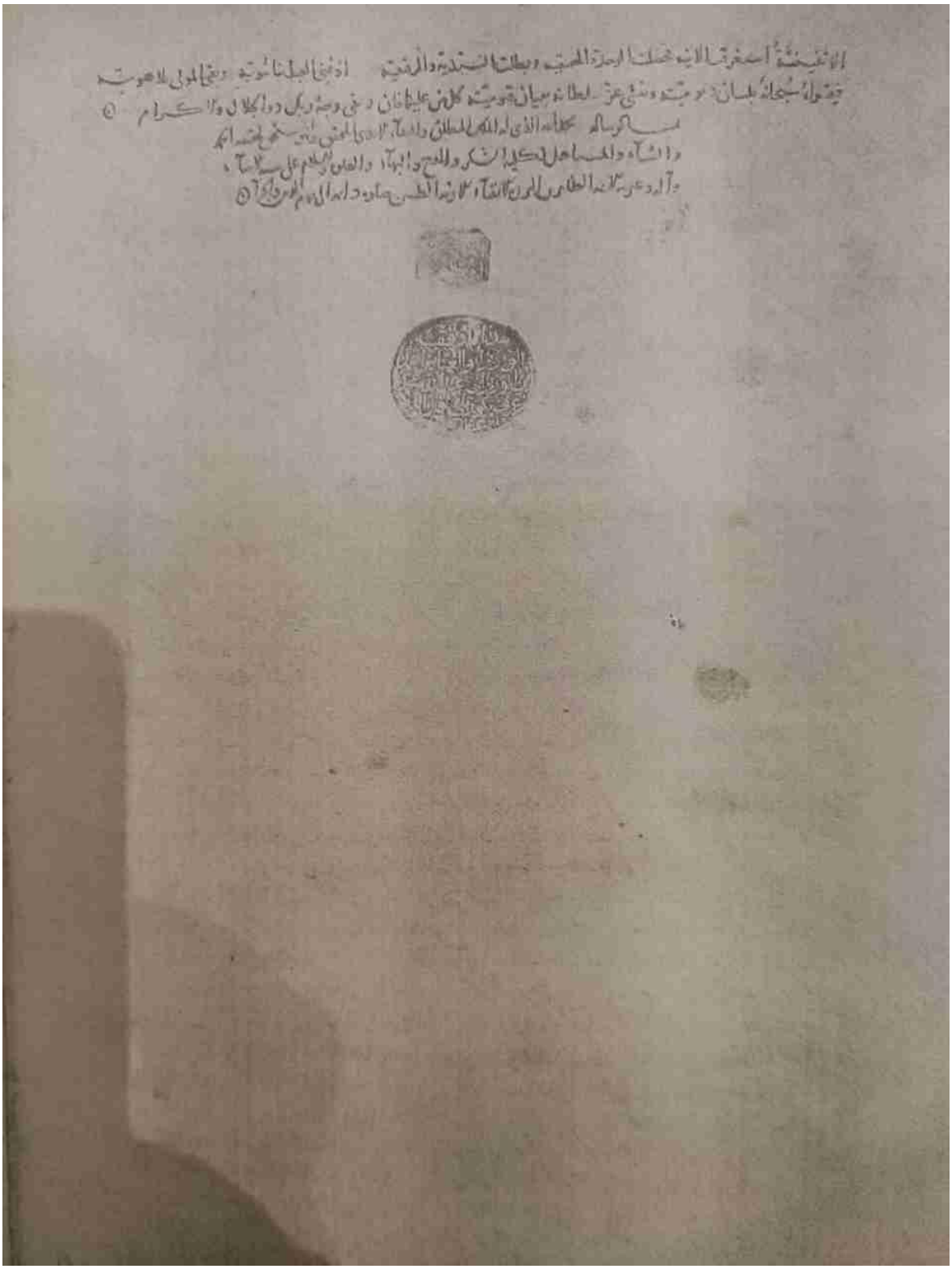

صورة رقم (4): الصفحة الأخيرة من نسخة (ك).

خامسًا–منهج الباحثة في التحقيق:

اعتمدت الباحثة المنهج العلمي المتّبع في تحقيق المخطوطات، الّذي يقوم على الخطوات الآتية:

1- توثيق آيات القرآن الكريم:

اعتمد المؤلف كثيرًا على القرآن الكريم والسّنة النبويّة الشريفة؛ لإثبات آرائه، فاقتبس كثيرًا من الآيات، والأحاديث وقد قمت بتوثيقها جميعها في الحاشية حسب المنهج العلميّ، وفي الأحاديث اعتمدت أولًا على صحيح البخاري ومسلم، ثمّ على مسند الإمام أحمد بن حنبل، ثمّ السّنن (الترمذي، وأبي داود، والنسائيّ)، ثمّ على مصنف الشيخ الألبانيّ، وهناك كثير من الأحاديث لم أجدها في كتب الأحاديث السابقة بل هي موجودة في كتب شيعيّة، وذلك؛ لأنّ المؤلف شيعيّ. وقد قمت بتوثيقها حسب الأصول العلميّة.

2–توثيق الأقوال:

معظم الأقوال كانت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتمّ توثيقها اعتمادًا على كتاب: "نهج البلاغة وشرحه" وإن تعثر إيجادها فيهما، تم توثيقها من كتاب "ميزان الحكمة" للريشهري وكتاب "بحار الأنوار" للمجلسي.

كما تضمنت المخطوطة أقوال من أنبياء وحكماء وعلماء تم الرجوع إلى مصادرها في أمّهات الكتب وتوثيقها في الحاشية، وإن لم يتم إيجاد توثيق لها يشار لذلك.

3-التعريف بأعلام الأشخاص والأماكن:

تم التعريف في الحاشية بالأعلام الواردة في متن المخطوطة عند أول ورودها. وتضمن ذلك ترجمة بسيطة لنصير الدين الطوسي وللملك المرتضى. وكذلك ترجمة مختصرة لبعض المؤلفين والشعراء وهم أبو الفيض الكتاني ولابزون العماني وجعفر بن ورقاء.

4-توثيق الأشعار:

تم وزن الأشعار الواردة في المخطوطة، ونسبتها إلى ناظميها وتوثيقها في الحاشية من دواوينهم، وإن لم توجد في الدواوين تمت الاستعانة بمصادر شعرية أخرى وردت فيها.

5-شرح معاني الكلمات، والمصطلحات:

ورد في متن المخطوطة بعض الكلمات والمصطلحات التي تحتاج توضيح، فقمت بتوضيحها من مصادرها الأساسية ما أمكنني ذلك.

6-وقد كتبت نص المخطوطة وفق قواعد الإملاء الحديثة؛ فوضعت علامات الترقيم المناسبة، وضبطت الكلمات الّتي رأيت أنّها بحاجة إلى ضبط، وبما أنّ ترقيم المخطوط على الورقة وليس الصفحة، وللورقة وجه وظهر، فقد أشرت إلى بداية وجه كل ورقة وظهرها، فوجه الورقة رمزت له بالحرف(أ)، وظهرها بالحرف(ب)، وبداية الوجه من الورقة الأولى رمزت لها(1/أ)، وبداية ظهرها رمزت لها(1/ب)، وهكذا.

[1]كتاب[2] الأخلاق المسمّى

بتزكية الأرواح عن موانع الإفلاح[3]

[4]للشيخ الإمام العالِم الفاضل[5]

أبي الغنايم عبد الرزاق السجستانيّ

رحمة الله عليه[6]

[7]كتب هذا الكتاب بمحروسة[8] [9]أربل سنة 746[10]هـ

---

[1] في ب: توجد قبل هذه الصفحة، صفحة غلاف كتب عليه:"تزكية الأرواح" للسجستانيّ. وبجانبها الأير كتب: من... فراغ بمقدار كلمة، ثمّ "لحضرة خادم ... فراغ بمقدار كلمة، العلماء محمد بن سعيد النووي، ثم أسفل العنوان يوجد كلام مطموس بمقدار ثلاثة أسطر، ثم توقيع وخاتم غير واضحين. ثم أسفل ذلك بمقدار ثلاثة أسطر كتب على الجانب الأيمن من الصفحة:" اعلم أنَّ هذا الكتاب الشريف قد جمع فأوعى، رحم الله امرءًا أمعن فيه النظر وتأمل فوعى. والسجستاني هو: إسحق بن أحمد السجزي أو السجستاني(ت361هـ)، أحد دعاة الباطنية الإسماعيلية في المشرق الإسلامي، نشط في دعوته للإسماعيلية حتّى أصبح صاحب سجستان، وله عدة كتب منها كتاب:"معرفة الأرواح" أو "الأرواح". ينظر: أبي الفداء، المختصر في أخبار الدول، 25/2؛ الزركلي، الأعلام، 293/1.

[2] في ب: كتب على الهامش الأيسر كلمات في أربعة أسطر: وأدخل في مصر من العبد أوّل ... (غير واضح بمقدار كلمة) محمد بن إسحق ... (غير واضح بمقدار كلمة) الأبرقومي بمحروسة دمشق ... (غير واضح بمقدار كلمتين) في شهور سنة ثمان من ... (غير واضح بمقدار كلمتين)

[3] في ب: كتب على الهامش من الأعلى في الوسط كلمات في ثلاثة أسطر: الله حسبي، من كتب ... (غير واضح بمقدار كلمتين) رستم بك بن ... (غير واضح بمقدار كلمة).

[4]في ب: كتب على الهامش الأيمن في خمسة أسطر: الحمد لله، في نوبة العصر ... (غير واضح بمقدار كلمة)، شبرا بمصرفي أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ...(غير واضح بمقدار كلمة).

[5] في ب: كتب على الهامش الأيسر في ثلاثة أسطر: من ... (غير واضح بمقدار كلمتين) إلى ... (غير واضح بمقدار كلمة) عبد الرحمن الشهرقمري.

[6] في ب: كتب بجانب هذه الكلمة في ثلاثة أسطر: الله حسبي، من كتب ... (غير واضح بمقدار كلمتين) رستم ... (غير واضح بمقدار كلمة) هكذا نسب الكتاب إلى السجستانيّ، ولم أجد ذلك في أيّ من المصادر الّتي عُدت إليها، والصّواب هو نسبت إلى الكاشانيّ. ولعلّ النسبة آتية من كون كاشان إحدىمدن إقليم سجستان.

[7] في ب: كتب فوق هذه الكلمات: حسبي الله الرحمن الرحيم، اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل

[8] في ب: كتب بجانب هذه الكلمة كلام في سطرين: وكتب ...(كلمة غير واضحة) عفى عنه.

[9] في ب: ختم بكلام في خمسة أسطر: من مواهب هدي الفيض المدرار ... (غير واضح بمقدار كلمة) محمد الحسيني بن ...(غير واضح بمقدار كلمة) خادم الفقه والآثار.

[10] في ب: كتب أسفل هذه الكلمة كلام في ثمانية أسطر: من كتب الفقير الحقير الذليل عبد السلام ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن ابن المرحوم الشيخ مصطفى ابن المرحوم الشيخ محمود الشطي الحسيني القادري الدمشقي عفى عنهم.

(ق1/ب) بسم الله الرّحمن الرّحيم.

اللّهم لك الحمد على التعيين من ذاتك، ومن كلّ من خصّصت بالتبيين؛ لأنّك أنت الملك الحقّ المبين، الباعث لنا منك إليك والمعين، (أنشأتنا)[1] بالجود في البلد الأمين، ومكّنتنا في الأرض مستقرّاً ومتاعاً إلى حين، وألبستنا بالفضل حلّتي الإبداع والتكوين، وقلت تعاليت ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2]، وتوَّجتنا بالتكريم والتّمكين، وأقدرتنا على التوطين والتمدين، ورزقتنا الطّيبات وأنت خير الرازقين، واخترتنا (بالتفضيل)[3] على العالمين، (وضمنتنا)[4] سِرّك أحسن تضمين، فألزمتنا الرّجوع إليك بالحبل المتين، وجعلتنا أمةً واحدةً، فأصبحنا مختلفين، ثمّ أنعمت علينا (ببعث)[5] النبيين، حتّى انتهى إلى غاية المبشّرين والمنذرين[6] ، أوّل الأوّلين وآخر الآخرين، محمّد المخصوص بالسّبق على المقرّبين، (المبعوث بالذي ختم المرسلين)[7] عليه أفضل الصّلاة وعليهم أجمعين، (ق2/أ) وعلى القُدسيين الأئمّة الهادين المهديين، فأنجيتنا بنورهم مقتدين، ورجعتنا على آثارهم مهتدين.

اللّهم كما هديتنا بالكتاب المستبين، وبعثتنا على طلب اليقين، وخلعت عنّا غواشي المنغمسين، الّذين انتكسوا في غياهب السجين، فارْزقنا تطهّرًا كتزكّي المتّقين، وتزيّناً كتحلّي المحقّين، ووفّقنا للوصول إلى مراتب

1 في ب: مطموس.
2 سورة ص، 38/71-72.
3 في ب: مطموس.
4 في ب: مطموس.
5 في ب: مطموس.
6في ب: يوجد مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن طمس بمقدار كلمتين مكتوبتين بشكل رأسي من الأعلى إلى الأسفل.
7 في ب: مطموس.

أصفيائك المنعّمين، والنّزول على بساط أوليائك المُكرَمين، وبوّئنا نمارق[1] عليين، وارفع عنّا حجب الأنّيين حتّى نُمحّى[2]، فنكون من الموحّدين، ونستريح في سُرادقات جلالك آمنين، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3].

أنتَ المحرّضنا على التّسيار نحو ازديار منازل الأخيار شعر[4]

أنتَ الدّليلُ لِمَنْ توجّهَ مَقصداً منهُ افتتاح مطالع الأنوار [البحر الكامل].

أنتَ المعينُ على سُلوكِ صِراطهِ حتّى الوُصولِ، فنعمَ عُقبى الدّار

أنتَ المُرادُ لِمَنْ أرادَ كمالَهُ إنَّ القُلوبَ حقائبُ الأسرارِ

أنْجِحْ مطالبنا، فيُشْكَرُ سَعيُنا إذْ ليسَ غيرُكَ مُنجحُ الأوْطارِ

(ق2/ب) وبعد؛

فإنّي طالما تشوّقت إلى ارتقاء مدارج الملكوت، واعتلاء معارج الجبروت، فاستسعيت[5] في مناهجها سَوابق الأفكار، واستقرأت في مسالكها منازل الأبرار. فلم أر طريقًا مأمونًا لمكارم الأخلاق، ولا سبيلًا مسلوكًا مثلها بالاتّفاق. ووجدتّها قد بيَّن العقلُ حقائقها، ونصَّ عليها الشّرعُ بالإطباق. فتصديتُ للاطّلاع على جلائلها ودقائقها، وتشمّرتُ للاتّصاف بجمائلها وروايقها، واقتفيت آثارها في مشارد الشَوارد[6]، واستقيت أمواءها من صَوارد الموارد[7].

---

[1] نمارق: جمع نمرق وهي الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها.
[2] نُمحّى أي نفنى.
[3] سورة الفاتحة، 5/1.
[4] لم أعثر على شاعر الأبيات فيما وصل إليه بحثي.
[5] في ب: كتب تحت هذه الكلمة: أي أطوف. وبجانبها كلمة: "صح". وهو المعنى اللغوي للكلمة.
[6] الشوارد: الغرائب والنوادر.
[7] الموارد جمع مورد: المصدر والمنبع.

ثمّ إنّي رأيت كما قال أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[1]: "إنّ هذه النّفوس تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة"[2]، فإنّ نفسي أكثر النّفوس قدْ ملّت، وألقت عُدد الطَلب وتولّت، فابتغيتُ لها متنزّهًا يُزيلُ الملَ، ومتفرّجًا يبيدُ الكسلَ، واقتبستُ من كلام الحكماء، فيها فوائد، واستشهدتُ من الآيات والأخبار عليها (بشواهد)[3]، قاصدًا بذلك أن يقبلها ذوو الآراء المختلفة ولا يأباها إلّا المُهْملة (ق3/أ) المعطّلة.

وعمدتّ من بين الأسفار المصنّفة فيها والأوراق المؤلّفة مِمّا يحويها كتاب "الأخلاق النّاصرية"[4] الواصل في رتب الكتب المجموعة، غاية لم يطمع في حيازة قصبه النّازل في صفف الصّحف المرفوعة، رتبة لا يوطّأ موطىء عقبه المنسوب إلى أستاذ البشر، أكمل أهل النظر، نصير الملّة والحقّ والدين، محمّد بن محمد بن الحسن الطوسي[5] قدّسَ اللهُ روحهُ وعظّم من عنده فتوحهُ. فالتقطتُ فرائد دررِه، وانتقدتُ محاسنَ غُررِه، وانتقيتُ من جُملتها الأصول والقواعد، ونفيت عنها الفروعَ والزوائد، ساعيًا في الوجازة والاختصار، مع فتور الروِية وقصور الاقتدار، إرادةً أن لا يشمئز عنها أكثر الطبّاع ، فيقعْ في معرض التلف والضّياع، حتى تتَنوّرَ ببوارقها، فتهتدي في (بيداء)[6] الجهَالة، وتستضيءُ بشوارقها، فتتخلّص من ظلماء الضّلالة.

وما النّفسُ أهلًا للّذي كنت رائمًا ولكنّني عرَّضتُها للفضائحِ شعر[7]:

أمَا مُجْتني الذّبان صَفوةَ سُكرٍ وتستنشقُ الأخياشُ نشرَ الفوائحِ [البحر الطّويل].

---

[1] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[2] في: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، 246/18. ورد كما يلي: "إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة".

[3] في ب: مطموس

[4] في: حاجي خليفة، كشف الظنون 202/1: نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة ألّف أخلاق ناصري وبين فيه أخلاق أهل السلوك وسيرهم وقواعدهم . ويتكون كتاب: "أخلاق ناصري" من ثلاثة أقسام هي :الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المدن. وقد اعتمد الطوسي في الجزء الأول من كتابه على كتاب "تهذيب الأخلاق" لأبي علي مسكويه ، والجزء الثاني في تدبير المنزل على فيثاغوري مجهول، والجزء الثالث في سياسة المدن على آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي.

[5] **النصير الطوسي هو**: محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، عاش ما بين (597 و672 هـ)، فيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالارصاد والمجسطي والرياضيات. علت منزلته عند (هولاكو) فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس قرب نيسابور، وابتنى بمراغة قبة ومرصدا عظيما، واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان (هولاكو) يمده بالأموال. وله كتب جليلة. ينظر: الزركلي، الأعلام، 30/7.

[6] في ب: طمس بمقدار كلمة.

[7] لم أعثر على شاعر الأبيات فيما وصل إليه بحثي.

(ق3/ب) لَصَورتهُ كالشَّمسِ عزَّ بضوئها تَلألؤُ ذرات الهباءِ اللوائحِ

ولمّا التزمتُ اتّباعهُ وتقلّدت احتذاءَه، وكان علمُ الأخْلاق شُعبة من شُعب الحكمة العمليّة، وفرعًا من فُروع هذه الروضة العَليّة، لزمني ذكر أخويه، وشرح صنويه، اللّذين تفرّعا معهُ عن أصل، وما تفرّقا عنهُ إلّا بفصل، وهُما "تدبير المنزل" وَ"سياسة المُدن". فجمعتها إليه في رسالتي هذه، وجَعلتُها وسيلةً إلى مقرّ العزّ والإقبال، محطّ رحال الآمال، محلّ حصول الأماني، محكّ نقود المعاني، مآل أولي العلم والأفاضل، مثال ذوي الحكم والفضائل، أعني حضرة الملك المعظّم، المرتضى الأعظم، العالم العادل، الحاكم الفاضل، المنعّم المفضّل، المُحسن المُنصف، غرّة شجرة الرّسالة، زَهرة رَوضة الولاية، ريحان بستانَ النّبوة، فارس ميدانَ الفتوّة، معدن الجود والكرم، منبع الفضل والنّعم، فخر الحقّ والدولة والدّين، المعتصم بحبل الله المتين، صاحب المناقب والمكارم، مربّي الأماجد والأكارم، (ق4/أ) قطب الأعالي، فلك المعالي، الحسن بن الملك السّعيد، الأعظم عند الله، المكرّم السّائر بمعارفه إلى جوار أرحم الرّاحمين، السّاكن بمحاسنه بين العالمين، النّازل عند آبائه هُداة البشر، التّارك عند أبنائه هديه إلى المحشر، علا الحق والتألّه والدين، مرتضى بن الحسن الحسيني[1]، لا زالت السماء تستفيد منها رفعةً وعلاء، والجنان تستفيض منها زينةً وبهاءً. إذ أعلى المقاصد إنّما يُبلَغُ بأجلّ الذرائع، وأشرف المطالب لا يُدرك إلّا بأعز القرائع. وسميتها: "تزكية الأرواح[2] عن موانع الإفلاح"، وطويتها على: مقدمةٍ، وثلاث مقالات، وخاتمةٍ، مستمدّاً التوفيق من حضرة وليّ التّحقيق.

[1] **مرتضى الحسيني هو**: محمد بن محمد بن زيد العلويّ الحسينيّ، أبو الحسن، عاش ما بين(405 و480 هـ). ولد ببغداد، وبها نشأ وتعلّم، وبرع في علم الحديث، وسكن آخر عمره سمرقند وكثر ماله، وكان كثير الصدقات، سجنه صاحب بلاد ما وراء النهر، وصادر أمواله، . ينظر: حاجي خليفة، سلم الوصول، 293/5.

[2] في ب: كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش الأيسر في سطرين عبارة: "مطلب في اسم الكتاب".

المقدّمة

ففي المبادئ وفيها فُصولٌ

الفصلُ الأوّلُ

في صدد الرّسالة

وفيه بحثان:

البَحثُ الأَوّلُ

في بيانِ توقّفِ الكمال على علمِ الأخلاق

ويتضمَّنُ بيانَ أقسامِ الحكمةِ، لمّا خصَّ اللهُ، تعالى، الإنسانَ بعنايته وفَضله (ق4/ب) على المَخلُوقات لِكرامته، واصطفاهُ من بين الموجودات لخلافته. كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وجب عليه التَخلُّقُ بأخلاقه والتشبّهُ بأوصَافه. لأنّ الحكيم لا يَستخَلف السّفيه، والعالمُ لا يستنيبُ الجَاهل. ولهذا قالَ رسولُ الله،

[1] اقتباس من سورة البقرة، 30/2.

صلى اللهُ عليه وسلم: "تخلَّقوا بأخلاق الله"[1]. وقيل: "الفلسفة هي التّشبّه بالإله"[2]. وَمَن لم يُكمل إنسانيتهُ بالعلم والحكمة، ولم يترقَّ عَن سائر المُكوّنات بالرّتبةُ، ولم يَستحق أن يُفوّضَ إليه أمرَها وتدبيرها، ويجعل في يده التصرفُ فيها وتسخيرها، لأنهُ لا يتمكنُ من إمضاء أمر المُستخلف، وإنفاذ حكمه فيها، فتضَطربُ أحوالها، ويقع الخللُ في نظامهَا.

إذا كان الغرابُ دليلَ قومٍ سيهديهم طريقَ الهالكينا شعر[3]:

[البحر الوافر].

وذلك إنّما يتمُّ بعلمٍ وعمل، وهما بمنزلة الصُّورة والمادّة. فكما أنَّ وجود الصُّورة بدون المادّة مُتعذّرٌ، وبقاء المادّة (ق5/أ) بغير الصُّورة ممتنعٌ، فكذلكَ حُصولُ العلم بغير عملٍ ضائع، ووجودُ العملِ بلا علم محالٌ. قال أمير المؤمنين، عليّ (رضي الله عنه)[4]: "العلمُ مقرونٌ بالعمل، فمَنْ عَلِم عَمِل، والعلمُ يهتِفُ بالعمل، فإن أجابهُ وإلّا ارتحل"[5]. وكلاهما ينقسم إلى ما هُوَ مقصودٌ بالغرضِ وإلى ما هو مقصودٌ بالذّات.

أمَّا القسم الأولُ من العلمِ، فهوَ بيانُ كيفيّة حركاته الإراديّة من جهة تأديتها إلى صلاح المَعاش والمعاد. وهو إمّا أن يختصّ بنفسه أوّلًا، والأوَّل علمُ الأخلاق، والثّاني إمّا أن يكون مشتركًا بينهُ وبين مَنْ يُشاركه في المنزل، أو بينَهُ وبين مَنْ يشاركه في المدينة؛ والأوّلُ علمُ "تدبير المنزل"، والثّاني "علمُ سياسة المدن".

وأمّا القسمُ الثاني، فهو تصوُّرُ حقائق الأشياء على ما هي عليه، وتحقّقُ أحكامها المُطابقة لما في نفس الأمر، وتلك الأشياء إمّا أن تكون مُفارقةً عن المادّة أو لا، والثّاني، إمّا أن لا تكون المادةُ (ق5/ب) شرطُ

---

[1] في: الغزالي، إحياء علوم الدّين، 50/3. ورد: "حسن الخلق خلق الله تعالى".
[2] في: الفارابي، مبادئ الفلسفة القديمة، ص 13: الغاية التي يقصد إليها تعلم الفلسفة: "وأما الغاية التي يقصد إليها في تعلم الفلسفة فهي معرفة الخالق تعالى، وأنه واحد غير متحرك، وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء، وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته وعدله. وأما الأعمال التي يعملها الفيلسوف فهي التشبه بالخالق بقدر طاقة الإنسان".
[3] لم أعثر على شاعر البيت فيما وصل إليه بحثي.
[4] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[5] في: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، 284/19.

تعقلها أو تكون. والعلمُ بالأول هُو الإلهي، وبالثاني الرّياضي، وبالثّالث الطبيعيّ. فأقسام الحكمة ستةٌ، ثلاثةٌ منها عمليّةٌ وثلاثةٌ علميّةٌ.

وأمّا القسم الأوّل من العلم، فهو سياسةُ الإنسان قواهُ في استخراج خاصيّته إلى الفعل. والثّاني، هو تحرّيه صلاح النّوع في الدّارين بحيثُ يصدرُ عنهُ الأفعالُ الإلهيةُ المقصودة لذاتها، وذلك خلافةُ الله الّتي قال فيها لداوود عليه السلامُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[1]. والأوّل يسمّى التّزكية وهُوَ موقوفٌ على علم الأخلاق. قال أمير المؤمنين، علي (رضي الله عنه)[2]: "ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة"[3]، وإليها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[4].

والقسمُ الثّاني، من العلم يُسمَّى "التَّحلية"، وهُوَ المشارُ إليه بقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[5]. فقصر الهُدى والفَلاح (ق6/أ) على الموصوفين بهما بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[6]. والتّحلية لا تكونُ إلّا بعد التّزكية الموقوفة على العلم بها. والموقوف على الموقوف على الشّيء موقوفٌ على ذلك الشّيء. فالهدى والفلاحُ اللّذان لا كمال إلّا بهما موقوفان على علم الأخلاق.

---

[1] اقتباس من سورة ص، 26/38.

[2] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[3] في: محمد الطبري، بشارة المصطفى، 51/1. وفيه: "يا كميل لا تأخذ إلّا عنّا تكن منّا، يا كميل ما من حركة إلّا وأنت محتاج إلى معونة فيها إلى معرفة".

[4] سورة البقرة 3/2.

[5] سورة البقرة 4/2.

[6] سورة البقرة 5/2.

البحثُ الثّاني

في بيانِ أجْزائه

يجبُ على طالب كلّ علم أن يعلمَ ما لله منهُ، ومَا هو؟ وفيم؟ ومن أينَ وكيف يُحصَّلُ؟ حتّى يمكَّنُ له الطلبُ ويسهلُ. والأوّلُ فائدتهُ، والثّاني حقيقتُهُ، والثّالث موضوعُه، والرّابع مبادئُه، والخامسُ مسائلهُ.

أمّا الفائدةُ، فهوَ أن تحصلَ لنفس الإنسان ملكةً تصدرُ معها الأفعال الإراديّة عنها، جميلةٌ طبعًا، ولأنَّ الإنسانَ من مبدأ أمره إلى منتهى نَشره مُحتاج إلى مزيد تربيةٍ لبدنه، وفضل تقوية لأعضائه ليبلغ إلى حدٍّ يتمكّنُ بها عندهُ من استكماله، (وقّر عليه)[1] خطوة الحيوان، وخَلّي بينَهُ وبين التّمتّع منها بالإمعان، ورخّص في تناولها بحسب الإمكان، فاعتادت (ق6/ب) نفسه باللَّذاتِ الحسيةِ، والشَهوات البهيمية البدنيّة. ورُبّما خالت كمالهُ فيها، واطمأنَّت إليها، فاشتدّ الافتقارُ إلى ما يصرفه إلى أفعَاله الّتي تخصُّه، ويحذرهُ عمّا يشينهُ، ويدنّسهُ وهوَ هذا العلمُ.

وأمّا الماهيةُ، فهو علمٌ بأحوال النّفس الإنسانية من جهة صدور الأفعال الإرادية عنها، جميلة أو غير جميلة.

وأمّا الموضوعُ، فهُو من كلّ علم ما يبحث فيه من عوارضه الذّاتية، ومن هذا العلم هو النّفس، من تلك الخبيثة.

[1] في ب: غير واضح بمقدار كلمتين.

وأمّا المبادئ، فهو ما يُبنى عليها في كلّ علم مباحثهُ من معلومات بيّنةٍ بذاتها أو مُبيّنة في علم آخرَ مسلّمة فيه، وسيأتي ذكرها.

وأمّا المسائلُ، فهي القضايا الّتي تقصد في كلّ علم إثباتها، ونذكرها في المقالة الأولى.

الفَصلُ الثّاني

في ذكرِ النّفس وصفَاتها

وفيه بَحثان:

الأوّلُ في معرفتها

إنَّ شيئاً ليس بجسم ولا جسماني يُسمّى النّفس النّاطقة. وهُوَ جوهرٌ بسيطٌ مدرك للمعقولات بالذّات، والمحسوسات (ق 7/أ) بالآلة، (أمّا هليّتها[1] فغنيّة عن البرمكان، لشعور كل منّا بذاته، وامتناع غفلته عنها في حالٍ من الأحوال، ولوجوب كون البرهان واسطةً بين الطالب ومطلوبه في وصوله إليه، وامتناع توسّطه بين الذّات ونفسها، كذلك ضرورة حصولها لنفسها. وأمّا أنّها ليست بجسم، فلأنّ كلّ جسم فهو قابلٌ للتجزّء، والنّفس ليست كذلك. كما سيُبيّن في بيان بساطتها. وأيضا فإنّ النّفس تقبل الأضّداد معا، والجسم لا يقبل ضدّاً إلّا بعد زوال الضّد الآخر عنه. وتقبل الكيفيات والكمّيات كالحرارة والبرودة والطّول والعرض، ولا يتّصف بها، والجسم كلّ ما قَبِلَها اتّصف بها فهي ليست بجسم. وأمّا أنّها ليست بجسمانيّة فلأنّ القوى الجسمانيّة لا تميل إلّا إلى اللّذات الحسيّة والكمالات البدنيّة، وتتقوّى بالوصول إليها وتلتذّ بها لأنّها كمالاتها وغاياتها. والنّفس كلّما مالت إليها والتبست بها صارت أضعف في فعلها الخاص بها، وكلّما ازدادت هربًا منها واجتنابًا عنها كانت أقوى في إدراك المعقولات والحقائق الإلهية والمطالب اليقينية، والشيء لا يضعف عن مثله ولا يقوى عن ضدّه. وأيضا

[1] هيولا النفس هي المادّة الأولى التي نشأت منها

فكل قوّة جسمانية إذا تكررت أفاعيلها أدركها الكلال والفتور. والنّفس كلّما توغّلت في مُدركاتها واستكثرت منها ازدادت قوّة واقتداراً على أفعالها، وكذلك كل حسٍّ إنّما يدرك محسوسه فقط لا يتجاوز عنه إلّا إلى إدراك نفسه وآلته، ويخطئ ولا يقف على خطئه. والنّفس تدرك ذاتها وحواسها جميعًا، أنفسها وآلاتها ومدركاتها واحساساتها، وتردّ عليها خطئها فهي ليست بقوّة جسمانية. وأمّا جوهريّتها فلأنّها حاملة لمدركاتها الّتي هي المعقولات. ولا شيء من العرض كامل بل هو محمولٌ أبدا فهي ليست بعرض، وكلّ ما ليس بعرض مما سوى الحق تعالى فهو جوهر ...[1] فيهما، وأمّا بساطتها فلأنّها لو كانت مركّبة أي قابلة للتجزّء)[2] لمّا أمكنها تصوّرُ مفهوم الوحدة. لأنّ الحالّ ينقسم بانقسام المحلّ، وكلّ ما يقبل القسمةَ فهو ليس بالوَحدة. وأمّا إدراكها للمعقولات بالذّات فالدّليل على إدراكها لذاتها وآلاتها، لأنّ الآلة لا تَتوسّط بين الشيء ونفسه ولا بين نفسها وبين الشّيء، وهُوَ المرادُ بما قيل أنّ العاقل والعقل والمعقول واحدُ. وأمّا إدراكها للمَحسوسات بالآلة فظاهرٌ، وكفى بقوله تعالى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3] دليلاً على ما بينّاه.

[1] في ب وف وأ: غير واضح بمقدار كلمة وفي ك صيغت الجملة بغير صياغة.
[2] في ب: محذوف بمقدار ستة عشر سطرا.
[3] اقتباس من سورة الإسراء 85/17.

البَحثُ الثّاني

في بقائِها بعدَ الموتِ

إذا ثبت أنّ إدراكها بالذّات وأنّها غير مُنطبعة في البدن، فلا يضرُّ استحالةُ البدن جَوهرها، لأنّه كالآلة لها، ففواته كفوات آلة الصّانع بالنّسبة إليه. ألا ترى أنّا قد نجد كثيراً ما كلالاً وَفتوراً في جميع القوى البدنيّة مع ازدياد القوى العَقليّة؟ وأيضا فإنّ كُلَّ موجود يمكن أن يفنى. ففناؤه بالقُوّة وبقاؤهُ بالفعل ومحلّ الفناء بالقوّة في غير محلّ البقاء بالفعل. (ق7/ب) وإلّا لكان بعد الفناء موجوداً لوجُوب وجود القابل معَ وجود المَقبول وهُوَ المادّة. فكلّ ما يمكن فناؤهُ يكون ماديّاَ، وكلّ ما هو مادّي فهو جسمٌ أو جُسماني. وكلّ موجودٍ يمكن فناؤه فهو جسم أو جسماني، تزولُ صورتُهُ وتبقى مادّتهُ. فالأجسامُ أيضاً لا تَفنى بالكُليّة بَل تتعاقبُ عليها الصّوَرُ فكيفَ بالنّفوس. ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾[1].

[1] سورة ال عمران 3/169-170.

الفصلُ الثّالثُ

في بيانِ شَرفِ الإنسان وَمعرفةِ قواهُ

من الأخبار المأثورة: "أنّ الله، تعالى، خلق آدم على صورته"[1]. وأنّك إذا تأمّلتَ وَجدتّه جُملةً لتفصيل العالَم بما فيه من الكائنات. وَلهذا قيل: "الإنسانُ عالمٌ صغير"[2]. وكما أنّ العالمَ إنسانٌ كبير، وهُوَ الكونُ الجامع الحاصرُ للموجودات كلّها، أسفلها درَجةً وأعلاها مرتبة؛ بيان ذلك أنّه ثبتَ في علم ما بَعدَ الطّبيعة أن أوّلَ (ق8/أ) رتبة الإبداع ألا وهو العقل، كما ورد على لسان النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «أوّل ما خلق الله العقلَ»[3]، ولهُ مراتبُ بحسب القُرب من المبدأ والبُعد عنه. ويسمّى عالَمهُ عالمَ الجبروت، وأفراده في مراتبه الملائكة المقرّبين والكَروبيين[4] ثمّ النّفوس السّماويّة التي هي ملكوت السّموات بأجرامها، ثمّ الهيولا[5] العنصرية المشتركة بصورها، ثمّ يعود الأمر بامتزاج العناصر من تأثيرات الأجرام العلويّة إلى الاعتدال الذي هو الوحدة المعنويّة.

فيقبل الممتزجُ أثر المبادئ بقدَر استعداده ويتدرّجُ يسيراً يسيراً حتّى يبلغ أقصى أفق المعدن كالمرجان، وهُو أوّل أفق النبات فيقبلُ أثر النّفس النباتيّة ويظهر على آثارها، ولها ثلاث قوى: غاذيّة، ونامية، ومولّدة وهي أشرفها.

---

[1] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (5786): خلق اللهُ آدمَ على صُورتِه ، وطُوّلُه سِتُّونَ ذِراعًا ، ثُم قال : اذْهبْ فَسَلِّم على أُولئِكَ النَّفَرِ – وهُم نَفَرٌ من الملائِكةِ جُلُوسٌ – فاسْتمِعْ ما يُحَيُّونَك ؛ فإنَّها تَحَيُّتك وتَحيةُ ذُرِّيّتِك ، فذَهبَ فقال : السَّلامُ عليكم ، فقالُوا : السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فزَادُوهُ (ورَحمةُ اللهِ) فكُلُّ مَن يَدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ في طُولِه سِتُّونَ ذِراعًا، فلمْ تَزلْ الخَلْقُ تَنقُصُ بعدَه حتى الآنَ.

[2] في الجاحظ، كتاب الرسائل الأدبية، ص203.

[3] في: ابن نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، حديث رقم (11056).

[4] الكروبيون هم الملائكة المقربون إلى الله تعالى، ومنهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، يكونون حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 112/1.

[5] الهَيُولَى (عند القدماء) : مادةٌ ليس لها شكل ولا صورة معيّنة، قابلةٌ للتشكيل والتصوير في شتَّى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أَجزاءَ العالم الماديّة.

فالغاذيّة تخدمها أربع قوى: الجاذبة للملائم، والماسكة له، والهاضمة التي تصلحه، والدّافعة لغير الملائم، وهي تخدم النّامية مع المغيّرة والمولّدة مع المصوّرة، وعلى هذه النّسبة (ق8/ب) التّدريجيّة تأخذ من أوّل آثارها الذي هُو الاغتذاء والنّمو ويزداد شرفًا حتّى ينتهي إلى توليد النّوع، ويترقّى إلى الأفق الأعلى، كالنّخل، فإنّه قريبٌ من الحيوان ولهذا قال عليه السّلام: "أكرموا عَمّتكمُ النّخلة فإنّها[1] خلقت من بقيّة طينة آدم"[2] أي من مادّة شريفة كمادّته، ولهذا ظهرت عليه آثاره.

وإذا ازداد قوّةً في القبولِ فاضت على النّفسِ الحيوانية وقبل آثارها. ولها قوّتان: مُدركة ومُحرّكة بالإرادة. أمّا المُدركة فتنقسم إلى ما تظهر آلاتها، وهي: اللّمس، والذّوق، والشّم، والبصر، والسّمع. وإلى ما لم تظهر، وهي: الحسّ المشترك، والخيال، والمتخَيّلة، والوهم، والحافظة. وأمّا المُحرّكة فتنقسم إلى: ما يجذبُ النّافعَ أو المظنون نافعاً وتسمّى شهوانيّة، وإلى ما يدفع الضارَّ أو المظنونَ ضارّاً وتُسمّى غضبيّة، فتبتدئ من أخسّها وهي اللّمسُ، والحركة الدودية إلى أشرفها وهي السّمع ظاهراً والوهم باطناً. وعلى هذا يعرج الأمر حتّى يصل إلى الحيوانات الذكيّة القريبة من الإنسان كالفرس والنسانس، وتسمّى هذه القوى (ق9/أ) ملكوت الأرض.

فإذا استكمل جميعَ المراتِب ولم يقف، استعدّ لقبولِ النّفس النّاطقة، وهي تختصُّ بقوّةٍ واحدةٍ هي النّطقيّة، التي من شأنها الإدراك بالذّات والتمييز بغير الآلات. فإذا توجّهت إلى إدراكِ الحقائقِ الكلّية والمعارف الإلهيّة سمّيت نظريّة. وإذا انصرفت نحو استنباط الصّناعات والتّصرّف في الموضوعات سمّيت عمليّة.

---

[1] في ب: يوجد مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن طمس لآثار كتابة بمقدار خمسة أسطر.

[2] في: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، 211/12: عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أكرموا عمّتكم النّخلة فإنّها خلقت من فضلة طينة آدم، عليه الصلاة والسلام، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمرة".

وتتفاوت الأشخاص فيها بحسب شدة ظهور آثار النّفسِ عليها. وضَعفُهُ أكثرُ ما يكونُ في كلِّ نوعٍ لأنّ جميعَ المراتب من أسفلِ سافلين إلى أعلى عليين موجودةٌ فيه. ولهذا قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)[1]: "لو وزنت أمّتي لوزنت بهم". وأوّل درجاتها أهل القوّة العمليّة على النّسبةِ المخصوصة، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[3]، ثم النظريّة على تلك النّسبة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4].

ثمّ الذين يتلقّونَ المعارفَ الحقيقيّةَ والأحكامَ اليقينيّةَ بالوحيِّ والإلهامِ من المقرّبين على النَّسقِ المذكور، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5]، وهناك يحقُّ (ق9/ب) الاتّصال بالعقل فيصدق ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)[6]: «أوّل ما خلق الله نوري»،[7] وهو المراد بعلّيين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَٰب مَّرْقُوم (20) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُون﴾،[8] فيرى حقائق الأشياءِ مشاهدةً وعيانًا، لا مشافهةً وبيانًا، ويُستجاب لهُ دعوة اللّهم أرنا الأشياءَ كما هي.

---

[1] في ب: كتبت مكان الصلاة مختصرها (صلعم). ويوجد مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر كلام مكتوب بشكل رأسي من الأسفل إلى الأعلى في سطرين عبارة: "صلّى الله عليه وسلّم يوجد مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر في الحاشية على اليسار رأسيا من الأسفل إلى الأعلى في سطرين صلى الله عليه وسلم و... صلعم ... ".

[2] في: ابن كثير، البداية والنهاية، 335/2: قال ابن اسحق: حدثني نور بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي: إن نفرا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال:"إن دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنّه خرج منها نور أمناء لها بتصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى عنما لنا، إذ أتاني رجلان عليها ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أوفياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته؟ فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال: دعه فوالله لو وزنته بأمته لوزنها"، إسناده جيد قوي.

[3] اقتباس من سورة الأحقاف 19/46.

[4] اقتباس من سورة يوسف 74/12.

[5] اقتباس من سورة البقرة 253/2.

[6] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأعلى رأسيا من الأسفل للأعلى: صلّى الله عليه وسلّم ومن كتب صلعم ... استخفاف غافل على المقام المحمّدي.

[7] في المجلسي، بحار الأنوار، 24/15: وعن جابر أيضا قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :"أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته".لم اعثر على الحديث في مصادر السنة فيما وصل إليه بحثي.

[8] سورة المطففين 83/19-21.

وهكذا إلى أن تَرتفع الوسائط كما وردَ على لسان جبريل، عليه الصّلاة والسّلام: "لو دنوتُ أنملة لاحترقت"[1]، فيصل إلى المنزل الذي وصف بقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]، فيتربّع في ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[3]، ويؤدّي الأمانة التي حملها إلى أهلها، فلا يكون ظلوماً جهولا. ويتحقق معنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4]، فيستأنس وينبسط بالوحدة، فإذا هو كما قال: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"[5] فيرى ويسمع "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[6] ويكون من جملة زمرة قال فيهم رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم (ق10/أ) ومقعدهم من الله يوم القيامة"[7].

بنورِ الله يُبصرُ ما يراه بذاتِ الله يُدرِكُ ما سِواه شعر[8]:

بل التمييزُ مرتفعٌ لديه لأنّ الكلّ يفنى ما عداه [البحر الوافر].

يرى في العين لا هو ثم يُدعى على النّعماء والبأساء بيا هو

وهناك تتصلُ دائرةُ الوجودِ بمبدئها، ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[9]، فظهر هذا شرفُ الإنسانِ وفضليتُه على كل من خلق الرّحمن، وأنّه إذا "عرفَ نفسه عرف ربه"[10]، وإذا عرفَ ربّهُ عرفَ الأشياءَ كُلّها.

---

[1] في ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 241/7، حديث رقم (3674).
[2] سورة النجم 9/53.
[3] سورة القمر 55/54.
[4] اقتباس من سورة القصص 88/28.
[5] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (6048).
[6] في :البخاري، الصحيح، حديث رقم (6967).
[7] في: النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (7382).
[8] لم أعثر على قائل الأبيات فيما وصل إليه بحثي.
[9] اقتباس من سورة العنكبوت 19/29.
[10] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1887/3.

الفصلُ الرّابعُ

في بيان خَاصية الإنسان وكماله

إنَّ لكُلّ موجُود خاصيّةً هو يمتازُ بها عمّا عداه، كما قال الشاعر[1]:

وفي كلّ شيءٍ له آية تدُلّ على أنّهُ واحد [بحر المتقارب].

فهو ما دام متوجّهًا إليها كان في طريقِ الخيرِ والكمال، وإذا بلغَ إليها وحصلَ عليها كانَ على كمالهِ، وأفضل أحوالهِ وذلك خيرُهُ على الإطلاق. وإذا انصرف عنها وانحطّ وقع في طريقِ الشَرِّ والنُّقصان، وكُلّما (ق10/ب) كانَ أبعدَ عنها كان أنقص، حتّى إذا صارَ في مقابلةِ تلكَ الخصلة حصلَ في حضيض النُّقصان، وذلك شرّهُ على الإطلاق.

وخاصيّةُ الإنسانِ تمييزُ الموجوداتِ بَعضُها عن بعض، وَمعرفتُها بحقائقها وخواصّها وسياستها بحسب مصالحها، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2]، وقال ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[3]. فإذا اطّلعَ واحدٌ على تلك الخواص بتأييد الله تعالى، كقوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[4]، وقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا

[1]في: أبي العتاهية، ديوانه، ص122.
[2]اقتباس من سورة البقرة 31/2.
[3]اقتباس من سورة النساء 135/4.
[4]اقتباس من سورة النمل 27/ 15.

عَلَّمْنَٰهُ﴾[1]. أمكنه إقامَتها عليها، وتَبليغ من تخلّف عنها، وَردّ من يتخطّاها إليها، فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر.

ومن ليس له هذا المقام لم يستاهل بعده الرتبة العليّة والمنزلة الرفيعة، لأنّه يستعملُها في غير ما خُلقت لهُ، ويجبرُها على خلاف ما جُبلت عليه وهوَ ظالم. والظالمُ غير مستحقٍ لخلافته تعالى كما خاطب تعالى إبراهيم، عليه السّلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. فتبيَّن أنّ خاصيتهُ معرفة (ق 11/أ) الأشياء على ما هي عليهِ، وتدبيرها كما ينبغي، أي الحكمة العلميّة والعمليّة، والكمالُ الحاصلُ منهُما هو الغرضُ من وجودِ الإنسان.

فإنّ الفرقَ بين الكمالِ والغرض: أنّ الغرضَ بالقوّة والكمال بالفعل. وأمّا بحسب الماهيّة فهما عبارتان عن معبر واحدٍ. وإذا أحاطَ الإنسانُ بجميع الموجودات على الوجه الكلّي، واندرجت الجزئيات تحت الكلّيات حضر الأشياء كلّها. وتبقى تلك الكلّيات المَعقولةُ غيرَ متغيرّة بتغيّر البدن؛ لأنّها غَيرُ منطبعةٍ في مادّة. فتدوم ذاتهُ بدوام علَّتها. وقد ارتفعت الحجب بينها وبين المعشوق الأوّل تعالى، فطالعت حضرةَ الحيّ القيوم، وشاهدت جمالَ المَلك القديم.

(تذنيب)[3] فإيّاك أن تتمذهبَ بمذهب الزّاعمين لوكالة عقولهم وقصور أحلامهم. بُطلانُ النّفسِ بخَرابِ البدن أو الحاسبينها[4] البدن، الغافلين عن المعاد بالكليّة متعجّبين منه، كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿أَإِذَا مِتْنَا

[1] اقتباس من سورة يوسف 12/ 68.
[2] اقتباس من سورة البقرة 124/2.
[3] في ب: غير واضح بمقدار كلمة.
[4] الفعل حسب الشيء أي قدّره.

وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[1]. الذين توجهوا بشراشر نفوسهم (ق11/ب) وجوامع هممهم إلى الطّبيعة المنحوسة، وانتكسوا منغمسين في الغواشي البدنيّة، يحسبون الغَرضَ من وجُود النّفس النّاطقة هو التّوصلُ إلى اللّذات البهيميّة على أفضل الوجُوه وأقواها. يزيغون الأحداثَ عن جادة الصّواب وطريق الرّشاد بتشويلهم[2] اللّذات والشَهوات عليهم، يوهموهم الكمال المطلق فيها، ويوقعون في ضمائرهم عظمة قدرها، ومن جملتهم من بقى فيه أثر الفطرة ولم ينطفئ نور بصيرته وشعلة عقله وقرونته[3] بالكليّة.

فيعظم من أعرض عن هذه القاذورات الحقيرة، واكتفى عنها بقدر الحاجة والضرورة، واختار سُوءَ الحال في المطعم والمشرب والمنكح والملبس، شاهداً بفضيلته وكونه من أهل الملأ الأعلى، متوغّلا في توقيره وإجلاله. يَعِدُ نفسهُ بالنّسبة إليه شقيّاً، ويحسبهُ لله، تعالى، وليّاً وصفيّاً. لا يتظاهرُ عند ارتكاب الفواحش والقبائح بفعله، بل يختبئ أوان شروعه فيها بالمظلمات والحجب، ساتراً إيّاها عن عيون النّاس حييّا من قبح عمله. (ق12/أ) ومثل هذا يجبُ أن يبصر بأنّ الحياء دليلُ القبح؛ لأنّ الجميل يستحب إفشاؤه، والقبح يَحبُ إخفاؤهُ. والإخفاء أسترُ من الإزالة والقلع عن الطّبيعة. وإن سُئل عن علّة إخفاء أفعاله واستقباح إظهارها واستنكاره واستحسان كتمانها واستحماره، تبلّد وانقطع.

ومن اضمحلّت فطرته وتزيّنت نفسه وغَريزتهُ بالكليّة ...[4]، ولا يتحاشى عن إظهارها، ولا يتأثّر بنقصانها، ولا يتصورُ فحشها وقبحها، فَهوَ غير مأمولٍ علاجُه ولا مرجوٍّ سدادُهُ، بل علّتُه مُزمنةٌ وداؤهُ عضالُ، ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5]. أو أن تسيرَ بسيرةِ من يتلوهم من المقرّين بالمعاد إلّا أنهم جعلوه من جنس

---

[1] اقتباس من سورة المؤمنون 81/23.
[2] الفعل شال أي احتمل.
[3] القرونة أي النفس.
[4] في الأصل والنسخ: غير واضح بمقدار كلمة.
[5] سورة المطففين 83/ 14.

الحياة الدنيويّة. فإنّ اعتقادهم، وإن كان حقاً على ما تقررَ في الشريعة الشريفة التي أتى بها سيدنا ومولانا محمّد، صلّى الله عليه وآله، لكن غاية متمنّاهم ونهاية مشتاههم سعادات بدنيّة وخيرات بشريّة، يستصغرها العظماء في جنب الكمالات الملكيّة، ويستحقرها الحكماء بالنّسبة إلى (ق12/ب) اللذّات العقليّة.

ما عبدوا الله إلّا لأجل الأماني والشهوات، لا يطلبون بعبادته لذّة القُبقُب والذبذُب[1]، ولا يسألون في الدعوات غير نعمة المطعم والمشرب، مؤثرين الزهد في الدُنيا، لأجلها تاركين الحقير الفاني ليستعيضوا الكثير الباقي. فهُم أحرصُ النّاس في الحقيقة لا أزهدهم. لا يعلمون أنّ لذّة الطعام مسبوقةٌ بألم الجوع، ولذّةُ السلسبيلِ بألم العطش، ولذّةُ الوقاع بألم امتلاء أوعية المنيّ. والمشتاق إلى هذه اللّذات مشتاقٌ أوّلاً إلى هذه الآلام. ولا يتنبهُون أنّ السعيدَ التّام من لم يكن له مرض، إلّا من ظفر بعلاج مرضه. يحكمون بعلوّ رتبة الملائكة المقرّبين، لتقديسهم عن هذه الخسائس الدنيّة، وتنزههم عن هذه الملابس الشهويّة. يعترفون بأنّهم يشاركونهم بالعقل، ويشاركون البهائم بالشّهوة. ومع هذا الاعتقاد أقبلوا عليها واطمأنّوا إليها. فإن نبّهوا على أنّ هذه الأشياء مطلوبة لقوام البدن وانحلال التركيب، عاندوا وكابروا (ق13/أ) يُسفّهون رأي مَن يُنازعهُم فيه، يَدَّعونَ امتناع حصول اللّذات المَلكيّة للإنسان.

فسبيلك أن تقلع هذه الآثار عن نفسك، وتُخلي ذاتك عن دينها، لتتصبّغَ بصُبغة الله. فإنّ الثوب ما لم يُنَظَّفُ عن الوسخ لم ينصبغ. فيقتنع عنها بالكفاف، وتقتصرُ على قدر ما تحفظ به صحة بدنك واعتدال مزاجك. وتجعل الغرضَ منها قوام الحياة لاستكمال النّفس بسببه لا غير. فإنّ اللّذة أيضاً تتبعه بالعرض، وتجعل أعظم مقاصدك تحصيل السّعادة الحقيقية، واكتساب الفضائل الشّريفة، ممّا لا يحتاج في ارتكابها إلى الاختفاء بالظّلمات والمطامير، بل يمدحُ صاحبهُ عند الإفشاء والتشهير، واللهُ الموفق.

---

[1] القبقب: البطن، الذبذب: الذكر، ينظر: ثعلب، مجالس ثعلب، 93/10.

الفصلُ الخامسُ

في القَول الإجماليّ في طريق تحصيل كماله

ويتضمّن بيان السّعادة والشقاوة

ينبغي له أن يعرف ذاتهُ أوّلا بحدّها وخاصيتها، أي غايتها التي لأجلها خلقت. ثم يعرف قواه ومَلَكَاتُهُ كُلُّها، وكذلك خاصية كل قوّة، وغاية كلّ ملكة، حتى يَطّلعَ على المقامِ المعلوم، الذي عُنيَ بقوله (ق13/ب) تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1]. فيعلم من جُملتها الأفعال التي تعوقه عن كمال ذاته، وتمنعهُ عن خاصيّة جوهره، والتي تعاونهُ عليها وتوصله إليها، ثُمّ يسوسها ويُراعي أحوالها. فيقيمُ واحدةً واحدةً في حدّها واعتدالها، ويمكّن كلّها في مقارّها ومحالها، ولا يخلّها وشأنها حتّى تغلبُ بعضها بعضاً. لأنّها متنازعةٌ متجاذبة. فإن لم يقهرها رئيس قاهر أدّى أمرها إلى الفساد، بسبب الدواعي المتخالفة.

وكانت كخدّام سوء تشاجرت. فهذا يتجاوز إلى الإفراط، وذاك يتقاصر في التفريط. فيغلب المفرّط في شأنه على الذّات التي هي الرئيس، فيسلبه مملكته ويبزّة جَماله وأبّهتهُ. ويقصّر المفرّط عن أمره في خدمته عن خدمته، فلا يعاونه في تحصيل لذّاته وإدراك مطلوبه ومراده. فهو ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾[2] فيستخدمهُ هذا تارة في دفع ذاك، وذاك أخرى في دفع هذا، وكلاهما في نيل مرامه. فَيتدنّسُ بخدمتها، ولا يتفرّغُ لشغل نفسه وإصلاح حاله، ويغفل (ق14/أ) عن تدبير أمره وبلوغ كماله. وينعكسُ الأمر، فيصيرُ السائسُ

[1] سورة الصافات 164/37.
[2] اقتباس من سورة النحل 76/16.

مَسوساً، والرئيس مرؤوساً، فينتكسُ مردوداً، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1].

وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع شعر[2]:

[البحر الكامل].

ويكونُ ممّن لعنهُ اللهُ وغضب عليه، لأنّه أرسله لأمر جسيم وخطر عظيم، ففرّط في جنب الله. ويقع في الحسار الأبديّ والهلاك السرمديّ. يدعو بلسان الحال ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[3] ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[4] ويجاب: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[5]. وتلك الحالة نهاية الشقاوة. اللّهم إنّا نعوذ بك من التفريط والإفراط، فثبتنا على سواء الصّراط.

ثم إذا راضها وقوّمها بحيثُ يصدرُ عنها الأفعالُ على ما ينبغي، أخذ فيما يؤدّيه إلى غايته ومداه، ويقضي به إلى مطلبه ومنتهاهُ، فيسعى نحوه ويتولّاهُ من تحصيل المطالب العقليّة والمعارف (ق14/ب) الإلهيّة، بالتّوجه إلى عالم القدُس والانصراف عن معدن الرجس، حتّى يتدرّجَ إلى المكان العَليّ، والمقام السنيّ الذي هو مرتبةُ الخلافة والرئاسة، ومحلُّ السّلطنةِ والسياسةِ على الخلائق أجمعين.

[1] سورة التين 95/4-5.
[2] ابن سينا، ديوانه، ص20.
[3] اقتباس من سورة السجدة 12/32.
[4] سورة المؤمنون 107/23.
[5] سورة المؤمنون 108/23.

كما استثنى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1]. ويستقيمُ كما أمر، ويطمئنُّ ويشتاقُ إلى عالمِهِ ويحِنّ. فيأتيهِ خطابُ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[2]، فيعودُ فيمَن وردَ في حقّهِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3]، ويفوزُ بالنّعيمِ المُقيمِ والرّوح العميم، في جوارِ الملكِ الرّحيم، وذلك هو السّعادةُ التّامة. اللّهم وفّقنا لما تحبّ وترضى، وبلّغنا من الكمال الدرجة القصوى.

ولأنّ الإنسانَ مترددٌ بين تَيْنِ الجهتين، ومستعدٌ لهاتَيْنِ المنزلتين، يميل بطبعه إلى السّفلى، وينزعُ بقصده إلى العليا. إن اهتاج بشوقه الأصليّ إلى سُلوك طريق التّحقيق، وترقّى رُتبة فرتبة إلى المقصد الأقصى من السّعادة، فاز بمطلبه وربح، وإن أعرض عنه، بل توقّف في أول درجة (ق15/أ) وحطّهُ الطّبيعة دركةً دركةً مزداداً ميله إلى الانحدار كالحجر الهابط إلى المركز الأدنى، خاب عن بُغيته وخسر. كما قال الشّاعر[4]:

هي النّفسُ إن تُهمل تلازمُ خساسة وإن تبتعث نحو الفضائل تلهج [البحر الطويل].

احتيجَ إلى من يهديهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

ولا شكّ أنّه إذا نظر فيها وجدها قسمين: قسماً لا يتعلّق أفعالها بإرادته ورؤيته، وقسماً يتعلّق بهما. وكلّ منهُما إمّا أن يصدرُ عنهُ الأفعال على ما ينبغي أو لا. فإن كان الأوّلُ وجب محافظته على حاله، وتسمّى تلك الحال صحّة. وإن كان الثّاني وجب ردّهُ إليها ويسمّى مَرضاً. فحينئذ يحتاج إلى ما به يحفظ صحّةَ كُل قسم فيها، ويردُّ مرضهُ إليها.

---

[1] سورة التين 95/ 6.
[2] سورة الفجر 89/27-28.
[3] سورة القيامة 75/22-23.
[4] لم أعثر لبيت الشعر مصدر وفقا لما وصل له بحثي.

فَما اختصّ بالقسم الأوّل هُو: الطّب، وما اختصَّ بالقسم الثّاني هو علم الأخلاق، ويسمّى طبّاً روحانيّاً. ولهذا قال، عليه السّلام: "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان"[1]. فإنّ الإنسان لا يكون على كمال فطرته إلّا بالأخلاق المرضية والفطرة، هو الدّين القيّم. كما قال تعالى: (ق15/ب) ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.[2]

ولمّا كان غرضنا تحصيلُ الكمال المخصوص بالإنسان، وجب أن نضرب عن ذكر القسم الأوّل صفحاً، ونكل بيانه إلى الطّبيب، لأنّ الإنسان يشارك به سائرَ الموجودات. والواحدُ منّا قلّما يتفرغ للجميع؛ لأنّ العُمرَ قصير، والصّناعة طويلة، ولكلّ عملٍ رجال.

ونختارُ أشرفَ القسمين وهُو ما يتعلّقُ بالتمييز والرؤية.

[1] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 2105/3: رسول الله، صلّى الله عليه وآله: "العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان ". لم أعثر عليه في مصادر السنة وفقا لما وصل إليه بحثي.
[2] اقتباس من سورة الروم 30/30.

الفَصلُ السادِسُ

في تقسيمِ السّعادة

ويتبعهُ بيانَ شرف هذا العلم

قد علمت ممّا سلف أنّ القوّة الخاصّة بالإنسان ليست إلّا النطقية، وتسمّى القُوةُ الملكيّةُ. لأنّ أفعالها لا تتمُ إلّا بمعاونة القوّتين الحيوانيتين أي الشّهوانية والغضبيّة[1]، وتُسمّيان البهيميّة والسَبعيّة. ولهذا قالت الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2]، لأنّها مجرّدة عن ملابسةٍ بالمادّة، فلا يمكنها التصرّف في البدن إلّا بتوسّط ما يناسبها من وجهٍ ويناسب البدن من (ق16/أ) وجه، كالغضروف المتوسّط بين العَظم واللّحم مثلا، ليحسن اتّصالها به وهو النّفسُ الحيوانيةُ التي هي مبدأهما. فبواسطتهما تتصرّف فيه، وتكتسب كمالاتها به. فإنّها في أوّل أمرها ليست إلّا قابلة تدرك من جهة الحواس، جزئيات شتّى وتستخرج منها العلوم الكليّة. فاستكمالها يتوقّف على البدن وهو لا يتقوّم إلّا بالمواد الخارجية.

من ثمّ قُسمت السّعادةُ على ثلاثةِ أقسام: نفسانيةٌ، وبدنيّةٌ، وما حول البدن. أمّا النفسانية فهي الحكمة، ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[3]، ولأنّها ذات قوّتين: نظرية وعمليّة قسّمت الحكمة إليها. وأمّا البدنيّة فهي الصّحة والسلامة عن الآفات. وأمّا التي حول البدن فهي مقدار ما يتقوّى به البدن من المطاعم والمشارب

[1] في: ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين، ص20: القوة الغضبية تسمى سبعية وآلتها من البدن القلب.
[2] اقتباس من سورة البقرة 30/2.
[3] اقتباس من سورة البقرة 269/2.

والملابس والمناكح. فأمّا ما زاد عليه فبأن يكون من الشقاوة أجدرُ؛ لأنّه رُبّما يشغل النّفسُ عن كمالها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[1]. وإلى هذه الثلاثة أشارَ أمير المؤمنين، عليّ، رضي الله عنه[2] بقوله: "ألا وإنّ من النّعمة سعة المال (ق16/ب) وأفضل من سعة المال صحّة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب"[3]. فالسّعادة الخارجية خادمة للبدنيّة، والبدنيّة للنفسانيّة. وهي مخدومةٌ على الإطلاق، والنّفس تستعملُ القوّتين السَبعية والشهوانية بصناعةِ الأخلاقِ في اكتساب السّعادة الخارجية بقدر احتياجها. فتقمع ثورة الشهوة بالغضب، وتدفع شرّ ذلك الخنزير بهذا السّبع. فإنّ الشهويّة متأبيّة لا تقبلُ التأديب، والغضبيّةُ متعلّمةٌ تتأدّب وتكفى غائلتها. وإذا خلّتهُما وطباعهما خليعي العذار قويتا عليها وقهرتاها كالبهيمة، أو السّبعِ الغالبِ على الإنسان، وانعكسَ الأمرُ ويؤول إلى الفساد المذكور. وأمّا إذا كانت النّفس عالمةً بضبطها، غالبةً عليهما، لملكت زمامها وأصلحت شأنهما وانتفعت بهما في مطالبها، حتّى تحوز سعادتها، وتبلغُ اللّذة الباقية التي لا ألم بعدها، والبهجة الدّائمة التي لا انقطاع لها. ومن هذا تبيّن شرف هذه الصّناعة، وعزة هذه المهنة؛ لأنّ شرفَ كلّ (ق17/أ) علمٍ وصناعةٍ بشرف مَوضوعه. وهذه الصّناعة تنظُر في تكميل أشرف الموجودات، وتُوصله من أخس المراتب إلى أشرفها، فلا يخفى فضلُها (ومزيّتها)[4] على سائر الصناعات.

---

[1] اقتباس من سورة العلق 6/96.

[2] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[3] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1570/2: الإمام علي (عليه السّلام): "ألا وإنّ من البلاء الفاقةَ، وأشدّ من الفاقّة مرض البدن، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب، ألا وإنّ من النّعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة البدن وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب."

[4] في ب: أشير ليوضع بعد هذه الكلمة ما كتب على الهامش الأيسر ومزيتها صح.

الفصلُ السابعُ

في تفصيل الخير والسّعادة

لنذكرُ الغرضَ من الكمال تشويقاً للنّاقص إلى غايته وتفريحا للكامل بفوزه ببغيته، فنقول:

إنّ لكلّ فعل غاية يتوجّهُ إليها، وتلك الغايةُ يجب أن تكون مُتصوّرةً قبله، وإلّا لكانَ الفعل عبثاً. ولهذا قيلَ أوّلُ الفكرِ آخرُ العملِ وآخرُ الفكرِ أوّلُه[1]. وهي إمّا أن تكون مقصودةٌ لذاتها خيراً في نفسها أو لأمر هو خير منها.

والأوّل يسمّى الخيرُ المطلق، والثّاني الخير الإضافي. والخيرُ المطلق هُوَ غايةُ الغايات، والمرادُ من وجود جميع الموجودات، والإضافي ما يتوسّلُ به إليه. وأمّا السّعادةُ فهي الخير أيضا إلّا أنّه معتبرٌ بالنّسبة إلى كُلّ شخص. فسعادةُ كلّ شخص هي بلوغهُ بالحركة الإرادية إلى كمال يمكّنهُ ويليقُ به بحسب الاستعداد الأوّل. والخيرُ في جميع (ق17/ب) الأشخاص واحدٌ؛ لأنّه المقصودُ من النّوع الإنساني أي كماله الذي يتوجه إليه كُلُّ أحد. وأمّا السّعادةُ فمتعددّةُ مختلفة فيها؛ لأنّ الاستعدادات متفاوتة ولها ثلاث مراتب:

الأولى، موقوفة على السّعادة البدنيّة، وهي عند كون الإنسان ملابساً بالمادّة الهيولانية، مقارناً للجواهر السفلانية، متوغّلا في المعارف الإلهيّة، مطالعاً الجواهر العالية[2] (الحقيقية، وهي رتبة علم اليقين ولا نعني

[1] في ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر) 592/1.
[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن رأسيا من الأعلى للأسفل بمقدار سبعة أسطر: الحقيقية وهي رتبة علم اليقين ولا نعني بالجواهر السفلية صح.

بالجواهر السفلية) (إلّا الجسمانيّة)[1] وإن وجدت في أعلى الجهات، ولا بالعلوية إلّا الرّوحانيّة وإن غفلت في أدنى الأماكن.

الثّانية، ما لا يتوقّف عليها، وهي عند تجرّده عن الملابس الحسيّة، ومُفارقته عن الكدورات الإنسيّة مخالطا بالملأ الأعلى، فائزاً باللّذة العليا، وهي رتبةُ عين اليقين. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[2].

الثّالثة، ما لا يتوقّفُ على وجوده أيضاً. وهي عند انقطاع العارف عن ذاته وصفاته، وانغماسه في بحر الألوهيّة وغمراته وانتفاء أنيّته (ق18/أ) وتعَيّنه وبقاء هويّته وتحَقّقهِ، وهي رتبة حقّ اليقين. قال الله تعالى: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾[3].

وأهلُ المرتبة الأولى همُ: العلماء الرّاسخون، والحكماء المحقّون. وأصحاب المرتبة الثّانية قسمان: قسم غلبت عليهم الرّوحانية، واستولت السّلطنةُ العقلية، فحدبت زمام الحسّ، وتوجّهت به إلى جناب القدُس، فلم يتفرّغوا لتدبير المعاش، وحفظ النّظام، وهم الأولياء المتصوّفة، والحكماء المتألّهة، ومن جملتهم العقلاء المجانين.

وقسم تمكّنوا من هذا المقام من إستعمال القوّة البشرية، واستقاموا إلى الله في أحوالهم العملية والنظرية، ووفت قوّتهم (لفرط)[4] طمأنينتهم، ووفور سكينتهم بضبط الأمور الكليّة والجزئية، فشرعوا في تكميل أهل النّقصان المستعديين، وتنكيل أهل الطّغيان المتمرّدين، وتنظيم قواعد العدالة، وتقنين قوانين السياسة وهم الأنبياء والأئمة.

---

[1] في ب: محذوف.
[2] سورة التكاثر 102/5-8.
[3] سورة الواقعة 56/94-95.
[4] في ب: كتبت على الهامش الأيسر وبجانبها كلمة صح. وأشير إلى مكانها في النص.

وأهل المرتبة الثّالثة: هم أهل الوحدة، أي أهل الله، الذين تصفّوا عن (ق18/ب) شوائب التعدّد والاثنينية[1]، وتخلّوا عن علائق التحيز والأنيّة، لا يتأسّفون بفراق محبوب ولا يتحسّرون على فوات مرغوب، لا يزد هيئتهم حصولُ النّعماءِ مسرةً ولا يُقلقهُم وقوع اللآواء ضجرةً، تتساوى عندهم الأضّدادُ، وتتّحدد بهم الأعداد. أحقرُ شيءٍ لديهم الدُّنيا وما فيها، لا يكترثون لفانيها وباقيها، غير منتظرينَ لآت ولا مشايعين لماضٍ، أولئك ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. أفعالهم إلهيّة، أي مقصودة لذاتها غير مُعلّلة بغرض؛ لأنّ الفعلَ الإلهيّ هُو الخيرُ المحضُ، ومَا هُو خيرٌ محضٌ لا يكون وجودهُ لغيره بل لنفسه، وإلّا لما كان خيراً محضاً. فأفعالهم عن حقيقة ذواتهم لذواتهم. وخاصيّة الخير المَحْض النّفع، فأفعالهم نفّاعةً للغير لكن بالقصد الثّاني. كما أنّ الله، تعالى، لا تكون لمصلحتنا، وإلّا لزم استكماله بالغير، لكن يلزمُ منه عنايتهُ بأمورنا على سبيل التبعية.

واعلم أنّ السّعادة الحقيقيّة لا تتغيّر عن وجهها أبداً، فتجد (ق19/أ) فضائل بعض القوى دون بعض، أو اكتساب الفضائل جميعاً في وقت دون وقت لا يكون سعادة. بل السّعادة الذّاتية هي التي تكون ثابتة دائمة، لا تنتقل بتأثيرات الأجرام السّماوية، وتعبيرات الطّبائع العنصرية، ولا تنتكس بالنّوائب والمصائب اللّازمة لمن سكن الدّنيا. فإذن السّعيد إن ابتلي بجميع البليّات والمحن، أو اصطفي بجميع العطيّات والمنن لم ينحطّ عن سعادته ولم يتجاوز عن عادته. يصبر على الأوّل غير متذلّل، ويشكر على الثّاني غير متجبّر. فقد يكون محتظيا بأنعم عيشة باطنا ملتبساً بأسوء حالةٍ ظاهراً، لا يصير شقيّا قطّ، ولا محزونا عوض بل مغتبطا أبد الآبدين بغبطة حقيقية، ملتذّاً دهر الدّاهرين بلّذة ذاتية.

[1] **اثنينية** اثنينيَّة [مفرد]: اسم مؤنَّث منسوب إلى اثنين. * النَّزعة القائلة بوجود جوهرين مختلفين هما المادَّة والروح. * كون الشَّيء الواحد مشتملاً على حدَّين متقابلين كتقابل الفكر والعمل، وتقابل الخيال والحقيقة.

[2] اقتباس من سورة يونس 62/10.

إذ كلّ قوّة تلتذّ بإدراك غايتها، كالبهيميّة بالشّهوة، والسبعيّة بالكرامة، وغاية العقل الحكمة، فهو يلتذّ بها. وكلّ لذّة حسية تنقلب بتواتر سببها، وتعاقب إدراكها ألماً فهي عرضية. (ق19/ب) واللّذة العقلية لا تتغير أبداً فهي ذاتيّة. والعرضيّة انفعالية تبتدئ قوية محبوبة إلى الطّبع في عنفوان الشباب إلى أن خارت القوّة، وضعفت البنية وانتقصت بالتكرّر والتكثّر شرّتها وثورتها. وانكشفت لبصيرة العقل شناعتها وبشاعتها، فصارت مكروهة قبيحة حتّى انتفت بالكليّة، فلا يكون لها معاد.

والذّاتية فعليّة تبتدئ مكروهة يعافها الطّبع تحصل بالمجاهدة والرياضة، وتزدادُ شيئاً فشيئاً بارتفاع أضّدادها واطّلاع العقل على حسن آثارها إلى أن تصير عشقاً، فلها معاد حقيقيّ. والأولى تتعلّق بالقبول والثّانية بالإعطاء. فالسّعادة تستلزم الجود، وجود السعيد تكميل الغير بأشرف المطالب وأفضل النفائس. فلّذته أكمل اللّذات وأقواها. وتلك النّفائس غير منقطعة ولا منصرمة، يزداد بالجود بخلاف الرغائب الحسّية، فحصولها هو السّعادة وهي تستلزم الجود، والجود سبب نمائها، ونماؤها (ق20/أ) سبب زيادة السّعادة واللّذة، وعلى هذا تدور في الازدياد إلى غير النّهاية. والسلام.

المقالةُ الأولى

في المسائل

وهي تشتمل على ثلاثة أبواب

البابُ الأولُ

في بيان الأخلاق بأجناسها وأنواعها

وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

في تعريف الخُلق وبيان تغيُّره

الخُلُق مَلَكة في النّفس توجب سهولة صدور الأفعال الإرادية عنها بلا رويّة، وهو ليس بطبيعي لأنّه ممكن التغيّر. كما نشاهد في الأحداث والصّبيان. إلّا أنّ بعضَهُ سريع التغيّر، وبعضَهُ بطيء الاستحالة؛ لأنّ

المزاج الإنساني ذو عَرضٍ عريض. وسببه تفاوت استعدادات القوابل بحسب الامتزاجات المتنوّعة الواقعة بسبب الأوضاع المختلفة والصّور السّابقة. وكلّ مزاج يناسبُ خلقاً ما ويخالف آخر.

على ما نرى في الصّبيان وما يكونون عليه في مبدأ نشوئهم من الجود والحياء في بعضهم، والبخل والقِحَة في آخرين، وكذلك سائرها كالشّره والغضب (ق20/ب) مثلاً. فإن أُهملوا ولم يُقوَّموا بالتأديب نشأ كلٌّ على مُقتضى مَزاجه، وبقيَ جميع عُمره على حاله. ولهذا وجَبَ التقويمُ والتأديبُ شرعاً وعقلاً. وأيضاً فإنّ النفس الإنسانية قابلة صافية الجوهر تتّصف بحسب العادات ومخالطة أصناف الناس بالخير والشّر.

كما ورد في السُنّة: «ما من مولود إلّا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه ويمجّسانه وينصّرانه»[1]. قال أمير المؤمنين علي، (رضي الله عنه)[2] في أثناء وصيته (لابنه)[3] الحسن، (رضي الله عنه)[4]: "إنّما قلب الحدث[5] كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فباذرتك بالأدب قبل أن تقسو قلبك ويشتغل لبّك"[6]. وهي وإن كانت مُتّحدة بحسب الماهية، مختلفةٌ بالقوّة والضعف على حسب اعتدال القابل. فكلّما كانت أقوى كانت أسرع قبولاً للتأدب والتوجُّه إلى الجهة العُلوية والإعراض عن السُفلية وبالعكس.

[1] في مسلم، الصحيح، حديث رقم (4809).
[2] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[3] في ب: كتبت على الهامش الأيمن وبجانبها كلمة صح. وأشير إلى مكانها في النص.
[4] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[5] الحدث: الصغير السن.
[6] في: خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 40/3.

الفصل الثاني

في مكارمِ الأخلاقِ وأجناسِ الفضائل

قال اللهُ تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ومن (ق21/أ) كلام رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]. وكافيك بها شرفاً وخطراً حيث جعلها من النبوّة غرضا، والإخبار الواردة فيها أكثر من أن تُحصى. مثل: «إنّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً»، و"إنّ أحسن الحُسن الخُلُق الحسن"[3]، وقال أمير المؤمنين علي، (رضي الله عنه):[4] "إنّ الله كريم حليم عظيم رحيم دلّنا على أخلاقه وأمرنا بالأخذ بها وحمل الناس عليها"[5]. ولقد صدق من قال[6]:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائِل [البحر الطويل].

وإذ قد عرفتَ أنّ الأفعال الإنسانية أي الإرادية التمييزية إنَّما تتمُ بالقوى الثّلاث، ظهر لك أنّ فضيلة الأفعال تتنوّعُ بحسبها. فمِن استقامة القوّة النطقية التي هي منشأ النّظر في الحقائق، تحصلُ فضيلة الحكمة، وهي باعتبار تحصيلها باستعمال هذه القوّة في تحقيق اليقينيات نوع من العمل، وباعتبار حصولها في نفسها عينُ العلم. فهي بالاعتبار الأوّل تُعرّفُ الموجُودات كما هي، وفعلُ ما ينبغي (ق21/ب) أن يُفعل هو المراد

---

[1] سورة القلم 4/68.
[2] في: الهيثمي، كشف الأستار، حديث رقم (2327).
[3] في: المجلسي، بحار الأنوار، 386/68: عن الحسن: "أن أحسن الحسن خلق الحسن".
[4] في الأصل: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[5] في: المجلسي، بحار الأنوار، 416/74: "يا كميل إن الله كريم حليم عظيم رحيم دلنا على أخلاقه وأمرنا بالأخذ بها وحمل الناس عليها".
[6] البيت لأبي العلاء المعري، ينظر: ديوان سقط الزند، ص193.

ههنا. كما ستبين في أنواعها ويدل على فخامة شأنها، كما وإنارة بُرهانها وسُلطانها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[1]. ومن كلام أمير المؤمنين، (عليّ رضي الله عنه)[2]: "خذ الحكمة ولو من أهل النفاق"[3].

وبالاعتبار الثّاني حصول صُور الأشياء في النّفس، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4]،ومن كلام أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه):[5] "لا شرف كالعلم"[6]، "إذا أرذلَ اللهُ عبداً حظر عليه العلم"[7]. ومن اعتدال القوّة السُّبعية القاهرة الطّالبة للغلبة والجاه تحدث الشّجاعة، وهي امتثال ما يوجبه الرأي الصحيح في الإقدام على المخاوف والصّبر على الشدائد. قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾[8]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾[9].

ومن انقياد القوة البَهيميَّة ومطاوعتها للعقل تتولّدُ العفةُ، وهي تصريف الشهوة إلى مقتضى (ق22/أ) الرّأي الصّائب بترك تعبّدها ليقيّد حريّة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[10]، وقال رسول

---

[1] اقتباس من سورة النساء 113/4.
[2] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[3] في: خطب الأمام علي ع، نهج البلاغة، 18/4: وقال عليه السلام: "الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق".
[4] اقتباس من سورة الزمر 9/39.
[5] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[6] في خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 27/4.
[7] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة،2064/3: الإمام علي (عليه السلام) :"إذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم".
[8] اقتباس من سورة ال عمران 195/3.
[9] اقتباس من سورة الصف 4/61.
[10] اقتباس من سورة ص 26/38.

الله، صلّى الله عليه وسلّم: «ليس العبد عبد هوىً يُضلّه»[1]. ومن كلام أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه):[2] "حلية المؤمن التّواضع وجماله التعفّف"[3].

وإذا تسالمت هذه القُوى وتعاونت في أفعالها واستوت حتّى بلغت الغاية التي خُلقت لها حَدثت العدالة، وهي مسالمة هذه القوى بعضُها بعضاً، والإنصاف والانتصاف من نفسه وغيره. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4]، ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[6]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[7]. ومن كلام أمير المؤمنين، (رضي الله عنه)[8]: "بالسيرة العادلة يقهر المناوي"[9]. فأجناسها هي هذه الأربعة وأنواعها كثيرة لا تُكادُ تحُصى كثرةً وتحصر عدّةً، لكنّا نعدُ منها ما هُوَ أظهرُ وأشهر.

[1] في: ابن حجر العسقلاني، تخريج مشكاة المصابيح، 115/4: " بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ".
[2] في:: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[3] في: المجلسي، بحار الأنوار، 413/74: "يا كميل أحسن حلية المؤمن التواضع، وجماله التعفّف، وشرفه التفقّه، وعزّه ترك القال والقيل".
[4] اقتباس من سورة الحجرات 9/49.
[5] اقتباس من سورة 8/5.
[6] اقتباس من سورة النحل 90/16.
[7] اقتباس من سورة الشورى 15/42.
[8] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[9] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 48/19: "بكثرة الصّمت تكون الهيبة، وبالنّصفة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظم الاقدار، وبالتّواضع تتم النّعمة، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبالسّيرة العادلة يقهر المناوئ، وبالحلم عن السّفيه تكثر الأنصار علي".

الفصل الثالث

في الأنواعِ الواقعةِ تحت جنسِ الحكمة

وهي سبعةٌ

الأوّل: صفاء الذّهن، وَهُوَ استعدادُ (ق22/ب) النّفس لاستخراج المطلوب. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[1]. وقال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل»[2].

الثّاني: جودة الفهم، وهي سرعة انتقال الّنفس من الملزوم إلى اللّازم. قال أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[3]: "من فهم علم عوز المعلم"[4].

الثّالث: الذّكاء، وهو سرعة انقداح النّتائج. ويؤوّل به قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[5].

الرّابع: حسن التصوّر، وهُو البحث عن الأشياء بقدر ما هي عليه. قال أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[6]: "مَنْ تبصّر الفطنة ظهرت له الحكمة"[7].

---

[1] اقتباس من سورة الزمر 22/39.
[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (6466).
[3] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[4] لم أعثر عليه فيما وصل إليه بحثي.
[5] اقتباس من سورة النور 35/24.
[6] في الأصل: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[7] في: بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 142/18: الإمام عليّ (عليه السلام): "الإيمان على أربع دعائم (شعب) على الصبر واليقين والعدل والجهاد...واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين".

الخامس: سُهولةُ التعلُّم، وهو قوّةُ النفس على إدراك المطلوب. قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1]

السّادس: الحفظُ، وهو الصّور المدركة. قال الله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2]، وقال: ﴿هذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[3].

السّابع: (ق23/أ) الذّكر، وهوَ استحضارُ المحفوظات. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

[1] اقتباس من سورة المجادة 58/ 22.
[2] اقتباس من سورة الحاقة 12/69.
[3] سورة ق 32/34.
[4] اقتباس من سورة البقرة 269/2.

الفصلُ الرّابعُ

في أنواعِ الشّجاعة

وهي اثنا عشرَ نوعا:

الأوّلُ: كبرُ النّفس، وهو استحقار اليسار والاقتدار على حمل الكرامة والصّغار. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1]. ومن كلامه، عليه السلام: "من كبرت عليه نفسه هانت عليه شهوته"[2].

الثّاني: عظمُ الهمّة، وهُوَ عدمُ المبالاة بسعادة الدّنيا وشقاوتها حتّى الموبقات. كما قال تعالى حكاية عن أصحاب موسى في جواب (فرعون)[3]: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[5]، وفي موضع آخر ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾[6].

الثّالث: الثّبات، ويُسمّى الصّبر أيضاً، وهو قُوّةُ مقاومة الآلام في الأهوال والشّدائد. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[7].

---

[1] سورة النساء 77/4.
[2] في: بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 99/20: عنه (عليه السلام): "من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته".
[3] في ب: كتبت فوق السطر بشكل رأسي منالأسفل للأعلى بين كلمتي جواب ولأقطعن.
[4] اقتباس من سورة الشعراء 49/26.
[5] سورة الشعراء 50/26.
[6] اقتباس من سورة طه 72/20.
[7] سورة ال عمران 146/5.

الرّابع: التحدة وهي ثقة النفس بأن لا يصيبها جزع عند المخاوف. قال الله (ق23/ب) تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

الخامس: الحِلم، وهو الطّمأنينة وتركُ الشّغب عند ثورة الغضب. قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[2]، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[3]. ومن كلام رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «ليس الشّديد بالصّرعة إنّما الشّديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[4].

السّادس: السكونُ، وهو التّأني في الخُصومات والحروب الشرعيّة، ويسمى عدمُ الطّيش أيضاً. قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾[5]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه):[6] "من بالغ في الخصومة أثم"[7].

السّابع: العفو، وهو ترك الانتقام مع القدرة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[8]، وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[9]، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾[10]. ومن كلام رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «لا تكونوا إمّعة تقولوا إن أحسن (ق24/أ) النّاس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن

---

[1] سورة البقرة 155/2.
[2] سورة الفرقان 63/25.
[3] اقتباس من سورة المؤمنون 96/23.
[4] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (5676).
[5] اقتباس من سورة البقرة 190/2.
[6] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[7] في: خطب الأمام علي ع، نهج البلاغة، 72/4: وقال عليه السلام: "من بالغ في الخصومة أثم".
[8] اقتباس من سورة ال عمران 134/3.
[9] اقتباس من سورة الشورى 40/42.
[10] سورة الزخرف 89/43.

النّاس أحسنوا وإن أساء النّاس لا تظلموا»[1]، وقال: «مَنْ كظم غيظا وهو يقدر على افقاده ملأ الله قلبه إيمانا وأمنا»[2].

الثّامن: التّواضعُ، وهُوَ استعظام الرجل ذوي الفضائل ومن دونه في الجاه والمال. قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]. وقال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «ما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله»[4]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[5]: "حلية المؤمن التواضع"[6].

التّاسع: الشّهامة، وهي الحرصُ على ما يُوجبُ الذّكر بالجميلَ من العظائم. قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[7].

العاشر: احتمال الكدّ، وهو إتعابُ البدن في اكتساب الحسنات. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[8]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[9].

الحادي عشر: الحميّةُ، وهي محافظة الملّة والحرمة عن التهمة. قال النبيّ، عليه السلام: «اتّقوا مواضع التّهم»[10].

---

[1] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (1926).
[2] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (1940): "من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء".
[3] سورة الشعراء 215/26.
[4] في: مسلم، الصحيح، حديث رقم (2588): "ما نقَصت صَدقةٌ مِن مالٍ ، وما زادَ اللَّهُ رجلًا بعفوٍ إلَّا عزًّا ، وما تواضعَ أحدٌ للَّهِ إلَّا رفعَهُ اللَّهُ".
[5] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[6] في: المجلسي، بحار الأنوار، 413/74: "يا كميل أحسن حلية المؤمن التواضع".
[7] سورة المؤمنون 61/23.
[8] اقتباس من سورة العنكبوت 69/29.
[9] سورة الانشقاق 6/84.
[10] في: أحمد، المسند، حديث رقم (8803).

الثّاني عشر: الرقة، وهي التآثر عن أذى الناس بلا اضطراب. قال النبيّ، (ق24/ب) عليه السلام: «نرى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسّهر والحمّى»[1].

الفصلُ الخامسُ

في أنواعِ العفّة

وهي اثنا عشر:

الأوّلُ: الحياء، وهُو انحصارُ النّفس خوف ارتكاب القبائح. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «الحياء من الإيمان»[2]. وقال عليّ، (رضي الله عنه)[3]: "من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه"[4].

الثاني: الصّبرُ، وهو حَبس النّفس عَن مطاوعة الهوى ومُقاوَمتها إيّاه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾[5]، وقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[6]. وقال أمير المؤمنين عليّ، (رضي

[1] في: أحمد، المسند، حديث رقم (17999): "مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَرَاحُمِهم ، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ، إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى".

[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (10292): "الحياءُ من الإيمانِ, والإيمانُ في الجنَّةِ, والبذاءُ من الجفاءِ, والجفاءُ في النارِ".

[3] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[4] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 2210/3: عنه (عليه السلام): "من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه".

[5] اقتباس من سورة فصلت 35/41.

[6] اقتباس من سورة النحل 16/ 96.

الله عنه)[1]: "عليك بالصّبر، فإنّ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد"[2]، وقال "الصّبر صبران، صبر على ما تكره، وصبر على ما تحب"[3]. والقسمُ الأوّل الذي سمّيناه الثّبات في الشّجاعة، وهذا هو القسم الثاني.

الثّالثُ: الدِّعة، وهي السكونُ عند هيجان الشّهوات. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[4].

الرّابع: الحرّية، وهي اكتساب المال (ق25/أ) من غير امتهانٍ ومنّةٍ، وإنفاقه في المصارف الحميدة. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ، فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ فيبيعُها، فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ، خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ أعطوْهُ أوْ منعوهُ»[5]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[6]؛

لنقل الصخر من قلل الجبال بذاتِ الله يُدرِكُ ما سِواه شعر[7]:

[البحر الوافي].

وقال: "طوبى لمن ذلّ في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله"[8].

---

[1] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[2] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1558/2: الإمام عليّ (عليه السلام): "الصّبر في الأمور بمنزلة الرّأس من الجسد، فإذا فارق الرّأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصّبر الأمور فسدت الأمور".
[3] في: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 189/18: "الصّبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب".
[4] سورة طه 131/20.
[5] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (1383).
[6] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[7] البيت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في: ديوان علي بن أبي طالب، ص158.
[8] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 3350/4: عنه (عليه السلام): "طوبى لمن ذلّ في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته (سيرته)، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه".

الخامس: القناعة، وهي التّساهلُ في أسباب المعيشة والاقتصار منها على الكفاف. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «قد أفلحَ من أسلم ورُزق كِفافا وقنَّعه اللهُ بما آتاه»[1]، وقال: «ليس الغني عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النّفس»[2]، وقال: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»[3]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[4]: "القناعة مال لا يفسد"[5]، وقال: "وكفى القناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما"[6].

السّادس: الوقارُ، وهو التّأني في التّوجُه نحو المطالب. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «التّأني من الرّحمن، والعجلة من الشيطان»[7]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من تأنّى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ (ق25/ب) أو كاد»[8].

السّابع: المسالمة، وهي الموادعة عند تنازع الآراء المختلفة. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «المسالمة خبء العيوب»[9].

---

[1] في: مسلم، الصحيح حديث رقم (1753).
[2] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (5992).
[3] في: ابن ماجة، السنن، حديث رقم (4216): "يا أبا هريرةَ ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ تَكُن من أَغْنَى الناسِ ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا ، وجاورْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ".
[4] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[5] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 244/20: رسول الله (صلى الله عليه وآله)" :القناعة مال لا ينفد".
[6] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 5/19
[7] لم أعثر له على مصدر فيما وصل له بحثي.
[8] في: الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم (3220).
[9] في: خطب الإمام علي، نهج البلاغة، 4/4. .

الثّامن: الرّفق، وهو حُسن الانقياد لما يؤدّي إلى الجميل، ويسمّى أيضا الدّماثة. قال الله (تعالى):[1] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[2]، وقال: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[3]. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «من يُحرَم الرّفق يُحرَم الخير»[4]. وقال، صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله رفيق يحبُّ الرِّفق"[5].

التّاسع: حسنُ السّمت، وهو محبةُ ما يكمِّلُ النفس. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «السّمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزءاً من النّبوة»[6].

العاشر: الورع، وهو ملازمة الأعمال الجميلة. قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (1) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[7] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾[8]، وقال: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾[9]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[10]: "لا معقل أحرزَ من الورع"[11].

الحادي عشر: الانتظامُ، وهو تقديرُ الأمور، وترتيبها بحسب المصالح. قال أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[12]: "كُن مقدّراً ولا تكن مُقتِّراً"[13]، وقال: "لا عقل كالتدبير"[14].

---

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر ولم يشر إلى مكانها.
[2] اقتباس من سورة طه 44/20.
[3] اقتباس من سورة ال عمران 159/3.
[4] في: مسلم، الصحيح، حديث رقم (4700).
[5] في: أحمد، المسند، حديث رقم (16451): " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ".
[6] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (2010).
[7] سورة المؤمنون 1/23-2.
[8] سورة المؤمنون 10/23.
[9] اقتباس من سورة الروم 44/30.
[10] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[11] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 3508/4.
[12] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[13] في: بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 150/18.
[14] في: ابن ماجة، السنن، رقم الحديث (4216).

الثاني عشر: (ق26/أ) السّخاء، وهو إعطاء ما ينبغي لما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[2]، وقال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «الجَنّة دار الأسخياء»[4]، وقال: «لَجاهلٌ سَخيّ أحبُّ إلى الله من عابد بخيل»[5]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[6]: "من يعط باليد القصيرة يُعطَ باليد الطويلة"[7]. وهو نوع تحته سبعة أنواع:

الأوّل: الكرم، وهو أن يكون ذلك الإعطاء بالسّهولة وطيب النفس في الأمور العظائم. قال الله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[8].

ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[9]: "بالأفضال تعظم الأقدار"[10].

---

[1] اقتباس من سورة المزمل 20/73.
[2] اقتباس من سورة البقرة 261/2.
[3] سورة البقرة 195/2.
[4] في: المجلسي، بحار الأنوار، 356/68. لم أعثر على الحديث في مصادر السنة فيما وصل فيه بحثي.
[5] في: الترمذي، السنن، رقم الحديث (1961).
[6] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط..
[7] في: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، 59/19.
[8] اقتباس من سورة 265/2.
[9] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[10] في: خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 50/4.

الثّاني: الإيثار، وهو أن يكون مع الكف عن حاجاته. قال[1] الله، تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]، وقال ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[3].

الثّالث: النّبل، وهو أن (ق26/ب) يكون مع السرور به.

الرّابع: المواساة، وهو أن يكون في معاونة الأصدقاء بحيث يشاركهم في ما له. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «البركة في المال في إيتاء الزكاة، ومواساة المؤمنين، وصلة الأقربين»[4].

الخامس: السّماحة، وهي بذل ما لا يجب بذله على سبيل التفضل. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «السّماح رباح»[5]. ومن كلام عليّ، (رضي الله عنه)[6]: "كُن سَمِحاً ولا تكن مُبذّرا"[7].

السّادس: المسامحة، وهي ترك بعض ما لا يجب تركه على سبيل التبرّع. قال الله، تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[8]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ أنظر مُعسِراً أو وضع له أظله الله تحتَ ظلّ عرشه يوم القيامة يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[9].

---

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة في الهامش الأيسر بشكل رأسي من الأسفل للأعلى: وهو تخصيص الغير بالخير في معاشه.

[2] سورة الحشر 9/59.

[3] سورة الإنسان 8/76.

[4] في: المجلسي، بحار الأنوار، 268/74: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: "يا كميل البركة في المال من إيتاء الزكاة ومواساة المؤمنين، وصلة الأقربين وهم الأقربون". لم أعثر على الحديث عن الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم فيما وصل فيه بحثي.

[5] في: محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، 145/4.

[6] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[7] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 150/18: " كن سمحا، ولا تكن مبذرا، وكن مقدرا، ولا تكن مقترا".

[8] اقتباس من سورة البقرة 280/2.

[9] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (1223).

السّابع: المروءة، وهي بذل ما لابدّ من إفادته عرفا. قال الله، تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

الفصل السادس

في أنواعِ العدالة

وهيَ أربعةَ عشر:

الأوّل: الصداقة، وهي محبةً صادقةً بحيث لا يريدُ لنفسهِ شيئاً إلّا ويريدهُ بالخليل أوّلاً مع إيثاره على نفسه بالخيرات. قال النبيُّ، صلّى الله عليه وسلّم (ق27/أ) «كونوا عباد الله إخوانا»[2]. ومن الأحاديث الربّانية[3]: «أينَ المُتحابونَ بجلالي، اليومَ أُظلهم في ظلِّ يومٍ لا ظلَّ إلّا ظلّي»[4]. ومن كلام أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[5]: "أعجزُ النّاس مَنْ عَجِزَ عن اكتسابِ الإخوان، وأَعجزهُ مَنْ ضَيّعَ مَنْ ظفرَ بهِ فيهم"[6].

---

[1] اقتباس من سورة النور 22/24.

[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (7538): " لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ ".

[3] الأحاديث الربانية هي الأحاديث القدسية ويطلق عليها أيضا الأحاديث الإلهية.

[4] في: أحمد، المسند، حديث رقم (7057): " أَيْنَ الْمُتَحابُّونَ بجَلالِي؟ اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي".

[5] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.

[6] في: خطب الأمام علي ع، نهج البلاغة، 4/4.

الثّاني: الأُلفة، وهيَ اتّفاقُ الآراءِ في المعاونةِ على تدبيرِ المعيشة. قال الله، تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[1]. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «الأرواح جنود مُجنَّدة ما تعارف منها ائتلف[2] (وما تناكر منها اختلف)[3]، وقال: «المُؤمن ألِفٌ مألوف»[4].

الثّالث: الوفاء، وهو ملازمةُ طريق المواساة ومحافظة عُهود الخلطاء. قال الله، تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ﴾[5]، وقال: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ﴾[6]، وقال: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[7].

الرّابع: التودّدُ، وهو طلبُ مودّةِ الأكفاء، وأهل الفضل بما يستلزم محَبَّتهُم مِن حُسنِ اللّقاء وأَمثاله. قالَ النبيُّ، صلّى الله عليه وسلّم «التودّدُ نصفُ العقلِ»[8]، وقال: «إنَّ مِنَ المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق»[9].

الخامس: المكافأةُ، وهي مقابلةُ الإحسان بمثلهِ أو زيادة. قال الله، (ق27/ب) تعالى: ﴿إِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾[10]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «من أولى معروفا فليكافئ به فإن لم يستطع فليذكره فإن ذكره فقد شكره»[11].

---

[1] اقتباس من سورة آل عمران 103/3.
[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (7736): " الأرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ".
[3] في ب: كتبت على الهامش الأيسر بخط مختلف. وأشير إلى مكانها في المتن.
[4] في: ابن عساكر، تاريخ دمشق، حديث رقم (6568): قال صلّى الله عليه وسلّم: "المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف".
[5] اقتباس من سورة الإسراء 34/17.
[6] اقتباس من سورة ال عمران 76/3.
[7] اقتباس من سورة ال عمران 76/3.
[8] في: الجاحظ، البيان والتبيين، 65/2. قال الحسن: "التَّقدير نصف الكسب، والتَّودُّد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم".
[9] في: مسلم، الصحيح، حديث رقم (2626): "لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ".
[10] اقتباس من سورة النساء 86/4.
[11] في: أحمد، المسند، حديث رقم (24032): "مَنْ أُتِيَ إليهِ معروفٌ فليكافئَ بهِ ، و مَنْ لمْ يستطعْ فليذكرْهُ ، فإنَّ مَنْ ذكرَهُ فقد شكرَهُ ، و مَنْ تشبعَ بما لمْ يُعْطَ ، فهوَ كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ".

السّادس: حُسنُ الشركة، وهو الاعتدالُ في المعاملات. قال الله، تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ(1) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ(2) وإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[2]، وفي موضع آخر ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾[3].

السّابع: حُسنُ القضاء، وهو ترك المنّ والنّدم في المُجازاة. قال الله، تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[4].

الثّامن: صلةُ الرّحم، وهي مُشاركة ذوي القرابةِ في الخيرات الدُنيويّة. قال الله، تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[5]، وقال: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[6]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «أفشوا السّلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام»[7]، وقال: «ما مِنْ شيءٍ أطمع الله فيه بأعجل ثواباً مِنْ صلة رحم»[8].

التّاسع: الشفقة، وهي صرف الغُمّة أي إزالة المكروه عن النّاس. قال (ق28/أ) النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمط عنه»[9]، وقال: «المؤمن مرآة المؤمن، لأنّه يتأمّله، فيشكر ما

[1] سورة المطففين 83/1-3.
[2] اقتباس من سورة البقرة 188/2.
[3] اقتباس من سورة هود 85/11.
[4] سورة الرحمن 60/55.
[5] اقتباس من سورة الرعد 21/13.
[6] اقتباس من سورة البقرة 177/2.
[7] في: أحمد، المسند، حديث رقم (6269.
[8] في: البيهقي ، السنن الكبرى، حديث رقم (18290).
[9] في: ابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، حديث رقم (2816): "المسلم مرآة المسلم فإذا رأى به شيئا فليأخذه".

فيه ويُجمّل حاله»[1]، ومن كلامه، صلّى الله عليه وسلّم: «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السّماء»[2].

العاشر: إصلاح ذات البين، وهو التوسّط بين النّاس في الخصومات بما يدفعها. قال الله، تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3]، وقال، تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[4]، وفي موضع آخر ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[5].

الحادي عشر: التوكل وهو ترك السعي فيما لا يسعُه قدرة البشر. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[6]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين﴾.[7]

الثّاني عشر: التّسليم، وهو الانقياد لأمر الله، تعالى، وترك الاعتراض على ما لا يلائم الطّبع من أفعال أهله. قال الله، تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.[8]

---

[1] لم أعثر على الحديث فيما وصل فيه بحثي.
[2] في: الترمذي، الصحيح، حديث رقم (1843): "الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ . ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ ، الرَّحمُ شُجْنةٌ منَ الرَّحمنِ فمن وصلَها وصلَهُ اللَّهُ ومن قطعَها قطعَهُ اللَّهُ".
[3] اقتباس من سورة الحجرات 10/49.
[4] اقتباس من سورة الأنفال 1/8.
[5] اقتباس من سورة النساء 114/4.
[6] اقتباس من سورة الطلاق 3/65.
[7] سورة المائدة 23/5.
[8] سورة النساء 65/4

الثّالث عشر: الرّضا، وهو طيبُ النّفس فيما يصيبه ويفوتُهُ مع عدم التغيّر.(ق28/ب) قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

الرّابع عشر: العبادة، وهي تعظيم الله وأهله من الأنبياء والأولياء والأئمة، وامتثالُ الأوامر والنواهي الشرعية. قال الله، تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3]، وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[4].

[1] اقتباس من سورة الحديد 23/57.
[2] اقتباس من سورة الزمر 2/39.
[3] سورة الحجر 99/15.
[4] اقتباس من سورة النساء 59/4.

الفصلُ السابعُ

في أجناس الرّذائل وأنواعها

إنّهُ قد ثبتَ أنّ الفضائل الأربع حالات اعتداليّة. وكلّ اعتدال فَهوَ وسط بين طرفين. فلكل واحد منها طرفا إفراطٍ وتفريط. والمحمودُ هو الواسطة وهُما مذمومان. كما قال تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[1]. ومن كلام أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[2]: "اليمين والشمال مضلّة. والطريق الوسطى هي الجادّة"[3]. والوسط متعينٌ لا يكونُ إلا واحدا، كالمركز من الدّائرة ولا حصر في الطّرفين؛ لأنّهما يختلفان بحسب القرب والبعد من الوسط، وعنه كسائر النّقط بالنسبة إلى المركز.

فأجناس الرّذائل غير محصورة، (ق29/أ) لكن يُطلق عليها في كلّ واحد من الطّرفين اسم خاص. كلّما انحرف إلى أحدهما وقع في الرذيلة المؤدية إلى الأمراض المهلكة، فسلوك الفضيلة هو الخط المستقيم كالقطب من الكرة. وسلوك الرذيلة كالدّوائر الموازية للمحيط. وعبّر عنهما في التنزيل بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[4]. وكلّ سالك، فإمّا أن يلازم سواء الطّريق، أو يتقارب منه، أو يتباعد عنه. والمتقاربون أصحاب اليمين، والمتباعدون أصحاب الشّمال. قال الله، تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً

[1] اقتباس من سورة الإسراء 29/17.
[2] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[3] في: خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 50/1.
[4] سورة الأنعام 153/6.

(7) فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (8) وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (9) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (10) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.[1]

وأكثر ما يكون جانب اليمين من جهة التّفريط، وجانب الشّمال من طرف الإفراط، وقد يكون بالعكس. كما في السّخاء، فطرف إفراط الحكمة هو الجربزة[2] والسّفه وتسمّى الشيطنة، قال الله، تعالى في السّفهاء: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾[3]، وطرف تفريطها البله، لا البله الذاتي الذي قال فيه النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «أكثر أهل الجنة (ق29/ب) البُلهُ»[4]، بل الذي من قبل التقصير بالاختيار، وصاحبه لا يكون شريراً، بل غافلاً، وما لم يكن في الترقي، فهو من جملة من قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾[5]، ويشملهما الجهل.

وطرف إفراط الشّجاعة هو التهوّر. قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[6] ، وصاحبه كالسّبع الضّاري يهيج بأدنى سبب. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «شِراركم مَنْ كان سريع الغضب، بطيء الفيء»[7]. وطرف تفريطها الجبن، قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[8]. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «شَرّ ما في الرجل شُحّ هالع وجبن خالع»[9]. وقال أمير المؤمنين علي، (رضي الله عنه):[10] "البخل عارٌ، والجبن مَنقصَة"[11] وصاحبه وإن كان ضعيف النفس لكنّه أسلم من الآفة.

---

[1] سورة الواقعة 56/7-12.
[2] جُربُز: الخب الخبيث، والمصدر: الجربزة.
[3] اقتباس من سورة البقرة 14/2.
[4] في:الهيثمي، كشف الأستار، حديث رقم (1861).
[5] اقتباس من سورة الأعراف 179/7.
[6] اقتباس من سورة البقرة 195/2.
[7] في: أبو الليث السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، ص508: " أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ"،
[8] اقتباس من سورة الأنفال 46/8.
[9] في: الطبري، تهذيب الآثار، حديث رقم (142).
[10] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[11] في: خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 3/4.

وطرف إفراط العفّة هو الشره، وصاحبه كالخنزير النّهم. قال الله، تعالى ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[1]، وقال ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾[2]. ومن كلام رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ وقي شرَّ لَقلَقهِ[3] وقَبقَبهِ وذَبذَبهِ فقد وَفى»[4]. وطرف تفريطها خمود الشّهوة، وصاحبه بمنزلة البنات.

وطرف إفراط (ق30/أ) العدالة الظّلم. قال الله، تعالى: ﴿والله لاَ يَهْدِي القوم الظالمين﴾[5]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «ما مِنْ عملٍ يعصى الله فيه ما عجل عقوبة مَنْ بغى وظلم»[6]. وطرف تفريطها الانظلام، قال الله، تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾[7]. وقال أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[8]: "والمكر من حيث جاء، فإنّ الشرّ لا يدفعه إلّا الشرّ"،[9] وهو وإن كان مذموماً فهو أخير من الظلم وأحمد. قال النبي، صلّى الله عليه وسلّم: «كُنْ عبد الله المظلوم، ولا تكن عبد الله الظالم»[10]، ويشملهما الجور.

وطرف إفراط السّخاء هو التبذير. قال الله، تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[11] وطرف تفريطها البخل. قال الله، تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[12] ، وفي موضع آخر: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ

---

1 اقتباس من سورة الأعراف 31/7.
2 اقتباس من سورة الأنعام 151/6.
3 لقلق لسان فلان أي أعجل حتى أنه لا ينطبق أو يثبت.
4 في: مرتضى الزبيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، 1625/4: " من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله".
5 سورة ال عمران 86/3.
6 لم أعثر على مصدر للحديث فيما وصل فيه بحثي.
7 اقتباس من سورة البقرة 246/2.
8 في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
9 في خطب الإمام علي ع، نهج البلاغة، 75/4.
10 في: السخاوي، المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، حديث رقم (808).
11 اقتباس من سورة الإسراء 27/17.
12 سورة الحشر 9/59.

وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1]. ومن كلام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «خصلتان لا يجتمعان بالمؤمن البخل وسوء الخلق»[2].

وإذ قد اطلعت على رسوم كلّ واحدة من الفضائل الجنسية والنّوعية، واستبنت قانون استخراج الرّذيلة، استغنيت عن تفصيلها وتعريفها، فعليك باستنباطها والتّأمل فيها. ويروى أنّه (ق30/ب) سُئِلَ أمير المؤمنين عليّ، (رضي الله عنه)[3] عن العاقل فوصفه، فقيل صف الجاهل فقال قد فعلت[4].

[1] سورة الليل 92/8-10.
[2] في: الترمذي، السنن ، رقم الحديث (1881).
[3] في ب: بياض. والعبارة أُعيد كتابتها مكان البياض بخط مختلف عن خط المخطوط.
[4] في: المجلسي، بحار الأنوار، 160/1: قيل له (عليه السلام): صف لنا العاقل فقال: "هو الذي يضع الشئ مواضعه" قيل له: "فصف لنا الجاهل" قال: "قد فعلت".

الفصلُ الثامنُ

في اشتباه الرّذائل بالفضائل

رُبّ رذيلة يحسبها الجاهل فضيلة وصاحبها محمود عند النّاس مذموم عند الله، تعالى، يمدح بالمدح التّام وهو حقيق بالملام، ويُعدُّ من ذوي المناقب وهو مغمور في المثالب.

وكم من سميّ ليس مثل سميّه وإن كان يُدعى باسمه فيجيب شعر[1]:

[البحر الطويل].

وذلك بأنّ الفضائل المذكورة أمور وجودية شريفة متعينة في حدّها مقصودة لذاتها أو لأمر أشرف منها. فإذا أظهرت لأعلى وجهها أو لغرض خسيس ينال بها صارت رذائل. ولا تكون مكمّلة لصاحبها بل وسيلة له لإدراك النّقصان فيشقى بأسباب السعادة. بيانه أنّ الحكمة ربما تُلُقّفَت لأجل الجاه والحشمة، كما نشاهد كثيراً من أهل الجدل والمناظرة، يأخذون مسائلها تلقيناً وتقليداً، لا إتقاناً وتحقيقاً. يبحثون عنها ولا ينتفعون بها، لأنّهم ليسوا على يقينٍ منها. ترى أحدهم ينطق (ق31/أ) بالحكمة ونفسه خاليةٌ عنها. يعجب الناس بفصاحته، ويفحم الفطن بوقاحته.

فإذا رأى القاصر حُسن تقريره، وجزالة لفظه وتحريره تحريراً، ظنّه عالماً تحريراً، وهو لا يكون إلّا مكثاراً ومهذاراً. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾[2]. يفتخرون بالقيل والقال، وغرضهم إلزام الخصم على أي حال.

---

[1] البيت لعبد الرحيم البرعي، ينظر في ديوان البرعي، ص166.

[2] اقتباس من سورة آل عمران 167/3.

قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «من طلب العلم ليجادل به العلماء، أو ليماري به السّفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النّار»[1]. وقال «من تعلّم علما مما ينبغي به وجه الله، تعالى، لا يتعلمه إلّا ليصيب عرضا من الدّنيا، لم يجد عرف الجنّة يوم القيامة»[2].

وكذا من يختلج في وهمه تشكيكات ملبسة للحق، وتخبيلات مشبهة بالصواب، يتخبط في فكره ويتحيّر في أمره. كما قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "كم من عالم ضلّ، وعلمه معه لا ينفعه"[3].

وأمّا في الشّجاعة، فكالذي يقدم على المعارك ويقتحم في المعاطب والمهالك، لا اتّباعا للعقل، بل إمّا إظهاراً للجلادة، وإمّا طلباً للإغارة، فهو كالسّبع الضّاري، أو الكلب الحريص في فعله بل أخس، لأنّه يخاطر بنفسه الشريفة، لكرامةٍ أو مدحٍ يصيبه، (ق31/ب) أو طعمة وحظ من حطام الدنيا يناله. وذاك أقصى غاية الخساسة واللوم، وكذا كلّ الصعاليك الذين يرتكبون الأمور العظام، ويصبرون على الآلام القوية كقطع الأعضاء مثلا، وربما يعرض لهم الجوع المفرط وهم معرضون معه عن كثير من المطاعم، وفي الجملة يؤثرون المكروه، ويلقون بأنفسهم إلى التهلكة، تصلّفا وتفاخرا على أقرانهم، ومباهاةً بأفعالهم، لا عن رؤيةٍ صائبة وطمأنينة نفس، وكلّ ذلك من التهورات الفاحشة، بينها وبين الشجاعة بون سحيق وفرق غير دقيق.

وأمّا في العفّة، فكما ترى بعض المتعفّفين، يعتزلون الناس بالكليّة. ويعرضون عمّا يحفظ به بقاء الشخص والنوع من متاع الدنيا، لا للتّوجه إلى جانب القُدُس، وابتغاء مرضاة الرّب، بل طلباً لمثله في الآخرة. فهم في الحقيقة أحرص النّاس. مثلهم كمثل صاحب ربا يُعطى متاعاً ليستعيض أكثر منه، ولذلك نهى عنه،

[1] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (2597).
[2] في: أبي داوود، السنن، حديث رقم (3181).
[3] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 269/18: "رُبّ عالمٍ قد قتله جهله، وعلمه معه لم ينفعه".

صلّى الله عليه وسلّم، بقوله «لا رهبانية في الإسلام»[1]. وكل من يتزهّد فيه لخمود شهوته، وسدّه الشّعور بلذّته، أو يختار سوء الحال في المطعم، والملبس، والمنكح، لإصابة أكثر منها (ق32/أ) في الدّنيا، أو لطلب الذِّكر الجميل، كما قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "مسكين ابن آدم ترك الدّنيا للدّنيا"[2].

وأمّا في السّخاء، فكالذي ينفق ماله رياء النّاس، حتّى يوصف بالكرم، أو يُعطى بدله أكثر منه، أو للحرمة والترفّع، كما ينفق في قربة الملوك والسّلاطين. قال الله، تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾[3] ، أو كالذي يبذّر لجهله بقدر المال ومنفعته فيضعه غير مواضعه، كمَنْ يصرف أمواله في شهوات الدنيا وزخارفها السّريعة الإنقضاء الوشيكة الفناء، التي وصفها بقوله تعالى: ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[4].

أو ينفق على أهل الطبيعة والتّشهي، وأرباب السُّخرية والتّلهي، الذين لا يكتسبون به المعالي، ولا يصيبون به محلّه. وهو في الحقيقة ذو وقع عسر الاكتساب، صعبة على الأحرار، الذين يكسبونه من وجهه. أمّا الذين لا يبالون به أينما أصابوا وكيف ما (ق32/أ) اكتسبوا، فطرق اكتسابهم واسعة كثيرة، وسبل اقتنائهم سهلة وسيعة..

---

[1] في: أحمد بن عبد الكريم الغزي، الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، حديث رقم (610).
[2] لم أعثر لهذا القول مصدر وفقا لما وصل له بحثي.
[3] سورة البقرة 264/2.
[4] اقتباس من سورة الكهف 45/18.

وأمّا في العدالة فقليلا ما يقع ذلك، وهو كمَن يتّسم بسمة العدول، طالباً للصّيت والذّكر الجميل، لا طائعاً راغباً مختاراً هذه الفضيلة لعلمه بشرفها في ذاتها، بل متكلّفا في ذلك لغرض آخر.

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه شعر[1]:

[البحر الطويل].

وهو أيضاً لا يخلو من حُسن ما، وذلك لتفوقها على سائر الفضائل فإنّها شاملة لجميعها، لا تتحقّق بدون واحدة منها. فكأنّها عبارة عن مجموعها، وبهيئة وحدانية حصلت من تركبها، كالمزاج المعتدل الحاصل من تركب الكيفيات، فهي تتّحد بها. ولا شكّ أنّ الوحدة أشرف من الكثرة، إذ منها تبتدئ وإليها تنتهي. وهي مقتضية لثبات الوجود لأنّها ظلّ الآلة. فلا يبقى شيء ما إلّا بها. والكثرة تستلزم فسادها وبطلانها لأنّها نقيضها. فكلّ كثرة لم تنتظم بوحدة لم تثبت. فكذلك اختيارها من أيّ وجه كان، لا يخلو من حُسن ما بخلاف سائرها كالمزاج، فإنّه على أيّ وجه يقع، يكون أفضل من الكيفيات البسيطة. وذلك (ق33/أ) لقربه من الاعتدال الحقيقي الذي هو ظلّ الوحدة الحقيقية.

ولما سُئِل أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام عن العدل والجود أيّهما أفضل قال: "العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها عن جهاتها. والعدل سائسٌ عام والجود عارضٌ خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما"[2]. واعلم أنّ التفضّل ليس بخارج عن العدالة، بل هو مبالغة فيها، فإنّه كما يكون الاحتياط في باب العفّة من جانب النّقصان، يكون في باب السّخاء من جانب الزّيادة.

[1] البيت للمتنبي، في: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص188.
[2] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 85/20.

وإيّاك ثم إيّاك أن تُسَمّي ذا البحث والمناظرة بلا تحقيق وإيقان. كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[1].

والمتهوّر الملقي بيده إلى التّهلكة بلا رويّة، المقدم على المقاتل لمدح أو غنيمة شجاعاً. قال الله، تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]. فإنّ الشّجاع هو الذي يحذّر ارتكاب القبح الفاحش، أكثر من حذره انقطاع حيوته، لعلمه بانقضاء مدتها كيف كانت، فلا يقعد على الهوان حفظاً لبقائه الذي هو ممتنع، وحماية لدمائه الذي هو لا محالة منقطع. كما قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "أيّها الناس (ق33/ب) إنّكم إذا لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسّيف على الرّأس، لأهون من ميتة على الفراش"[3].

والمتعفف المتقشّف لا لاشتغاله بحضرة الحقّ عفيفاً. قال الله، تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[4]. والمبذّر المُنفق ماله في شهواته المهيئ به أباطيل لذّاته، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾[5]. فإنّها جهالات لا تتقوّى النّفس بها، وحماقات لا يتصفّى القلب منها، كغذاء لا يسمن ولا يغني من جوع. فإذن الفاضل الكامل، من تصدر عنه هذه الفضائل طبعا لا تطبّعا، ويفعلها لأنّها خيرات في أنفسها، ويختارها لكونها أفعالا إلهيّة، أو مؤدية إليها، لا لغرض آخر حتّى يكون متخلّقا بأخلاق الله، تعالى.

---

[1] سورة الحج 8/22.
[2] اقتباس من سورة سورة النساء 71/4.
[3] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1514/2.
[4] اقتباس من سورة الأعراف 32/7.
[5] اقتباس من سورة ال عمران 117/3.

البابُ الثّاني

في تدبيرِ النّفسِ بتربية الفضائل

وفيه فصلان:

الفصلُ الأوّل

في اكتساب الأخلاق

يجبُ في كُلِّ صنعةٍ الإقتداء بالطبيعة، لأنّها (ق34/أ) صنعة إلهيّة وهي مبدأها. فكذا في هذه الصّنعة يُحتذى حذوها في وضع الأسباب وترتيبها. ولا شكّ أنَّا إذا نظرنا في مبدأ أمرنا، وجدنا أولي القوى الثّلاث: الشّهويّة[1]، ثم الغضبيّة[2]، ثم النطقيّة[3] كما مرّ في دائرة الوجود. وكما نشاهدُ من الأطفال، فإنّهم أوّل ما تحركوا، تحركوا في طلب الغذاء بلا تعليم كشوق اللّبن، ثم إذا تصلّبت أعضاؤهم، قصدوا إلى دفع الأذى عنهم بالاستعانة أو الاستقلال، ثمّ تدرّجوا إلى التمييز بين الحسن والقبيح، فاستحيوا من ارتكاب القبيح، ثمّ إلى استخراج المعاني الكلّية من الأشخاص ...[4].

[1] القوة الشهوية هي قوة النفس الخاصة بالشهوات والغرائز، والتي يطلب بها الإنسان منفعة نفسه.
[2] القوة الغضبية هي قوة النفس التي بها يدفع الإنسان الضرر عن نفسه أو ما يظن أنه ضرر.
[3] القوة النطقية هي قوة النفس التي بها تدرك الحقائق.
[4] في ب: غير واضح بمقدار كلمة.

فينبغي لنا أن نبتدئ أوّلا بتقويم القوة البهيميّة، فإن كانت على ما ينبغي بسبب التربية المتقدّمة، أو الفطرة المتأيدة، شكرنا على النّعمة الهنيّة، والموهبة السنية، وحفظنا عليها صحّتها. وإن كانت منحرفة، سهلة القبول، قوّمناها بالرّفق واللّطف، وأخبرناها على الفضائل المذكورة حتّى تتعوّد. أو عسرة القبول أدّبناها بالزّجر والعنف، وألزمناها (ق34/ب) الرياضات الشّاقة[1] حتى ترجع عمّا هي عليه. ولا تيأسنّ بتأبيها وصعوبتها عن رشدها وصلاحها، فتترك تسديدها. كما قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[2] ، وقال: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[3].

وكذا الحال في تعديل القوّة السبعيّة[4] وتقويمها، ثمّ نعود إلى تعليم القوّة النطقيّة وتهذيبها أوّلاً، بما يُعرّفها طريق اكتساب المعارف، ويصونها عن الضّلال فيها، وثانياً بما يحفظها عن قطّاع الطريق، و...[5] المغوية المبدئة للتخبيط والتحيير. أعني تشكيكات الوهم، فإنّه الشيطان الذي وصفه بقوله، صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الشيطان ليضع عرشه على الماء، ويبعث سراياه يفتنون النّاس الحديث»[6]. فلابدّ من تسخيره، ورجمها بالمصابيح، أي الحجج العقليّة والبراهين اليقينيّة، وثالثاً بمعرفة الحقائق الماديّة المحسوسة ثم المجرّدة المعقولة.

فأوّل مدارج الكمال: علم الأخلاق[7]، ثم المنطق[8] (ق35/أ) الرّياضيّ، ثم الطبيعيّ، ثم الإلهيّ. وحينئذ يجب استعمال قانون العدالة إلى أن يأت على جميع أنواعها، ويكتنف بالفضائل من أرجائها، ويستكمل إنسانيته

---

[1] الرياضات الشاقة هي رياضات النفس في مخالفة الهوى والقيام بمهام شاقة.
[2] اقتباس من سورة الزمر 53/39.
[3] اقتباس من سورة يوسف 87/12.
[4] القوة السبعية هي من القوة الغضبية وهي قوة الانتقام.
[5] في ب: غير واضح بمقدار كلمة.
[6] في: مسلم، الصحيح، حديث رقم (5036): "إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ علَى البَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَراياهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فأعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً".
[7] علم الأخلاق هو الفلسفة العملية.
[8] المنطق هو دراسة التفكير ودراسة المبادئ ومعايير الاستدلال والاستنباط والبرهنة.

بإحصائها. ثمّ إن وسّع الله له في الأجل، وأراد تحصيل السّعادات الخارجية كالطّب والنّجوم والعلوم الشرعية فله ذلك، والّا فقد فرغ من أمر نفسه وكمال جوهره بحسب وسعه.

الفصلُ الثّاني

في حفظ صحّة النّفس من المشهورات الطبيّة

حفظ الصّحة بالأشياء المشاكلة وردّها بالأشياء المضادة. فيجب لصاحب الفضائل وطالب الخير والسّعادة، إذا كانت النّفس خيّرةً، سعيدةً، مقبلةً على كمالها من جناب القُدُس، معرضةً عن وَبالها في جوار الرّجس، أن يحفظ صحّتها بملازمة من يجانسه من أربابها، ومعاشرة من يشاكله من أصحابها وطلّابها، واتّخاذ إخوان الصّدق من أهل الفضل، ورفقاء الخير من ذكرة الحق، واستماع أحاكيهم وأخبارهم واتّباع تدبيرهم وآثارهم.

(ق35/ب) وعليه بمهاجرة أرباب الرّذائل، ومجانبة أهل الشرّ والقبائح، وخصوصا أولي الهزل والمجون وذوي السّخرية والهجون، والاحتراز عن صحبتهم والاجتناب عن سنتهم وطريقتهم، وترك استماع أراجيزهم وخرافاتهم، ورفض اقتفاء أباطيلهم وجزافاتهم. فإنّ للصحبة تأثيرا قويّا، وللخلطة تعبيراً عجيباً. ولقد صدق من قال[1]:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي [البحر الطويل].

[1] البيت لعدي بن زيد العبادي، في: ديوان عدي بن زيد العبادي، ص106.

وإيّاه وإرخاء عنان الطّبيعة في الملاهي والملاعب الشّنيعة من المزاجات المستكرهة والمجازات المزخرفة، فإنّها ربّما أضلّت العالِم الكامل، وأغوت العامِل المجتهد الفاضل، فكيف بالأحداث المستعدّين والفتيان المسترشدين.

فلا تصحب أخا الجهل وإيّاك وإيّاه شعر[1]:

فكم من جاهل أردى حليمًا حين أخاه [مجزوء الوافر].

يقاسُ المرءُ بالمرء إذا ما هو مَاشاه

كحذو النّعل بالنّعل إذا ما النّعل حاذاه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وسبب ذلك اعتياد النّفس في مبدأ جبلته، وأوّل فطرته باللّذات (ق36/أ) البشريّة والرّاحات البدنيّة، فليقتصر على ترويح النّفس بالبشاشة والطّلاقة في مؤانسة الأصدقاء، ومداخلتهم، والمزاج المستعذب، والكلام المستملح في مفاكهة الأخلّاء ومطايبتهم. فإنّ الانبساط طرفي إفراط وهو الخلاعة والفسوق، وتفريط وهو التقبّض والعبوس. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «روّحوا القلوب ساعة فساعة»[2].

وكما أنّه لابدّ في حفظ صحة البدن من رياضة، ينتقص بها الفضول الزّائد، فلا تجتمع المواد الرّديئة. فكذلك يجب على حافظ صحّة النّفس، أن يعيّن عليها وظائف نظريّة وعمليّة، يحفظها عن الكسل، متوسّطة بحيث لا يورثها الملّ. قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه"[3].

[1] الأبيات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في: ديوان علي بن أبي طالب، ص205.
[2] في: الفتني، تذكرة الموضوعات، حديث رقم (1520).
[3] في: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، 94/20.

أمّا في العمل، فكالعبادات المفروضة والتّطوّعات المسنونة. وأمّا في النّظر، فكالتفكّر في المعارف الحقيقيّة، والمطالب اليقينيّة، لتتمدّن النّفس في النّظر، ولا تصرف عن جانب القُدُس بالبطر. ولا يُسَوِّعَنّ إهمالها والإخلال بها. ولا يغرنّه التدّرب في العلوم والمهارة فيها، عن (ق36/ب) مواظبة التفكّر والتذكار والمداومة على البحث والتكرار، فإنّه من أعظم الآفات وأفسد العاهات. ويذكّر نفسه دائما شرف مقتينياتها، ونفاسة مكتسباتها، لتلتذّ بها، فتنشط وتهزّ على اقتنائها، وتحرص على استبقائها. وينبّهها على البقاء الرّضى الأبديّ، ودوام العيش الهنيّ السّرمديّ. ويبصرها خساسة حطام الدّنيا ونكده، وقلّة ثباته، وقصر أمده حتّى يستحقره، فتنفض اليد منه تنقبض وتشمئزّ عنه، ويعيرها بتهالك أرباب الدنيا على النزر الحقير مع كثرة تطّرق الآفات إليه. واحتمالهم المشاق والمتاعب في تحصيله مع سرعة طويان الفناء والزّوال عليه، وتقاعدها عن الخطّ الخطير مع دوام سلامته، والإعراض عنه مع خفّة مؤونته وعدم انقطاع لذّته. ويذكرها ما قال قوله تعالى في قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[1]. (ق37/أ) وأشباه قول أمير المؤمنين عليّ[2]:

رضينا قسمة الجبّار فينا لنا علم وللأعداء مال [البحر الوافر].

فإنّ المال يفنى عن قريب وإنّ العلم باق لا يزال

ويبالغ في تهديدها وتوبيخها بالخطاب والعتاب، فيقول لها: "تفقّدي أيتها المسكينة، حال مَنْ يخزن كسر أحجار الأرض وقطع هشيم الرّوض، كيف يتنافس فيها ويحامي عليها، وأنت معرّضة للجواهر النّفيسة، والدرر الثّمينة، فتتقاعس عنها ولا تصبوا إليها، ويحك يا ملعونة أنت، منعّمة بأيادي الملك العلّام، أفترغبين في

[1] سورة القصص 82/28.
[2] البيت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في: ديوان علي بن أبي طالب، ص145.

أرواث مزابل الأنعام. أنت مُشرّفة بخلقة الجبّار الأعلى، أفتقنعين بعرض هذا الأدنى. أنت مكرّمةٌ لمنادمة القدّوس السّلام، أفترغبين إلى معاشرة الخساس اللّئام. فتعساً للشهوة الردية والشنشنة[1] الكلّبيّة"[2].

ثم يختار من الأصدقاء مَنْ هو مخزن أسراره، وعميّة عيوبه، فيمكّنه من نفسه ليطلعه على عيوبه ويخبره باطنها، ويمتحنه بإظهار بعض الصّغائر بحضرته، فإنْ أنس منه (ق37/ب) تقصيرا في إفشائه عليه أو اكتتاما عنه لفرط إخائه له، عاتبه على ذلك وأوعده الفراق، فإنّه يشبه الخيانة والنّفاق، ويتفحّص عن مقالة أعدائه فيه بظهر الغيب، فيتلقّاها بحسن القبول وطيب النّفس، ويتدبّرها بالاستقصاء وشدّة الفحص. فإنّه لا يطّلع أحد على عثراته وزلّاته كعدوّه.

ومَنْ يستكشف عن سيّئاته، فيستأصلها عن نفسه بحساب الحسنات والسّيئات كلّ يوم، ولوم النّفس على السّيئات، والتّوبة عنها، وحثّها على الحسنات والرّجعة إليها، إلى أن ينقلع أثرها برمّته، فيشكر الله، تعالى على موهبته. وإن توجّس في أثناء قلعها واستئصالها نفوراً أو فتوراً من النّفس، أدّبها برياضة ناهضة، وهضمها بشدّة قادحة، حتى تستسعد بتوفيق الله، تعالى وعونه وحسن هدايته وصونه.

[1] العادة الغالبة.
[2] محاسبة الإنسان نفسه.

البابُ الثّالث

في ردّ مرض النّفس

ولوَّح إليهِ الله، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ (ق38/أ) ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

وفيه فصول:

الفصلُ الأوّلُ

في معرِفةِ الأَمراض

إنّهُ قد تبيَّنَ أنَّ الفضائل هيآت صحيةٌ، أي اعتدالية للقوى الثّلاث. كلّما انحرفت عنها تأدّت إلى مرض. والصّحةُ والمرض من قبيل الضدَّين فكذا الفضيلة والرذيلة المطلقتان. (لكن لمّا كانت كل فضيلة محفوفة برذيلتين، لم تكن هي ضداً لأحديهما إنّ شرط في الضّدين غاية الخلاف، بل التي في جانب الإفراط تضاد التي في جانب التّفريط. كما في سوء المزاج والاعتدال، فإنّه وإن كان ضدّاً له مطلقاً، لكنّه ليس ضدّاً لسوء مزاج معين. وكما أنّ السوء المزاج قد يكون مادياً وغير مادّي، فكذلك الانحراف قد يكون في كيفية القوّة وفي

[1] اقتباس من سورة النساء 17/4.
[2] سورة النساء 110/4.

كميّتها بأن تصدر الأفعال عنها لا على الوجه المقصود أولاً على قدره، والذي في الكمية إمّا أن يكون في جانب الإفراط وإمّا أن يكون في حد التفريط هذه الثّلاثة إذا اعتبرت في القوى الثلاث صارت تسعة، هي أجناس الأمراض الستّة، أما الستّة التي بحسب الكمية[1] (ق38/ب) فقد مرّت في بيان الرّذائل. وأمّا الثّلاثة التي بحسب الكيفيّة، فكالشّوق إلى الفُضول من العُلوم الغير المفيدة للقُوّة النُطقيّة. أمّا بحسب النظر، فمثل الجدل والخلاف والسفسطة إذا استعملت مكان اليقينيات. وأمّا بحسب العمل، فمثلُ الكهانة والشعبذة والإكسير إذا جُعل وسيلةً إلى الشهوات الخسيسة، ولمحبّة الإنتقامات المستقبحة عند العقل للقُوّة السُبعية، مثل الغضب على الجمادات والبهائم مُطلقا، والأناسي بلا سبب. وكالشّهوات الفاسدة للقوّى البهيميّة مثل اللواط، وإجزاء الشّهوة على الوجوه المستكرهة كجلد عُميرة[2] وغيره.

وأمّا مركّباتها وأنواعها بحسب الكميّة والكيفية فغير محصورة، وأمّا أعراضها وأسبابها فمعلومة من بيان الفضائل والرّذائل.

[1] في ب: غير واضح بمقدار عشرة أسطر.
[2] جلد عميرة مصطلح قديم للعادة السريّة.

الفصلُ الثّاني

في القولِ الكلّي في المعالجات

ملّاك الأمر في المعالجة دفع المرض بالضّد، والاحتماء عن الأسباب المُمرضة، والاقتصار على الأغذية الدوائية والأدوية الغذائية (ق39/أ) إن أمكن، وإلّا فاستعمال الأدوية المطلقة أو السميّة. ثمّ إن لم ينجح فالكيّ أو القطع، فكذلك يجب دفع الرّذيلة بعد معرفتها بجنسها ونوعها وشخصها، والاطّلاع على قبحها يقيناً، باجتناب ما يتولّد منها وتتزيّد بها، وتوطين النّفس على ملازمة الفضيلة التي بإزائها دائماً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1] ، ومخالطة أصحابها، والتفكّر في وجوه استحسانها، واستقباح الرّذيلة، وجعل تلك الوجوه نصب العين.

ثمّ إن تعسّر فبالتوبيخ والزجر والتعنيف والذبّ، وتعديل الغضب بالشّهوة، وقمع الشّهوة به، وارتكاب الرّذيلة التي تقابلها إلى أن يرجع إلى الاعتدال وتحتاط في[2] التعديل ألّا يتجاوز حدّه في الجهة الأخرى فيصير مرضاً آخر. فإن لم ينجح فبالتعذيب، والعقوبة وتكليفها الرياضات الشّاقة المتعبة، وإلزامها الأعمال المجهدة النّاصبة حتّى يحصل الشفاء باذن الله.

[1] اقتباس من سورة هود 114/11.
[2] في الأصل: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: أو يحتاط.

واذ قد علمت أجناس الأمراض وقانون المعالجة، سهل عليك علاج(ق39/ب) كلّ مرض ومداواة كلّ وصب، ومن جملتها المهلكات وهي: إمّا قابلة للعلاج، وإمّا مزمنة غير قابلة له. ونحن نذكر من كلّ جنس مرضاً من أردء الأنواع وأفسدها بعلاجه ليستخرج منه علاجات البواقي.

فنقول: إنّ من إفراط القوّة النطقية الحيرة، ومن تفريطها الجهل البسيط، ومن رداءة كيفيتها الجهل المركب. ومن إفراط القوّة السُبعية الغضب، ومن تفريطها الجبن، ومن رداءة كيفيتها الخوف. ومن إفراط القوّة البهيمية الحرص، ومن تفريطها محبّة البطالة، ومن رداءة كيفيتها (الخوف. ومن إفراط القوّة البهيميّة الحرص ومن تفريطها محبّة البطالة ومن رداءة كيفيتها الحزن والحسد)[1] والأمراض الواقعة من هذه القوّة أكثر من أن تحصى.

[1] في ب: محذوف.

الفصلُ الثّالث

في علاج الحيرة

وهي التردُّد بين طرفيّ الحكم. قال الله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] ، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[2]. وتتولّد من كثرة تعارض الأدلّة على المسائل المعضلة والمطالب المشكلة. وذلك عند تسلّط الوهم وعدم انقياده للعقل. وعلاجه تسخيره بما يلجؤه إلى الإذعان. من القواعد (ق40/أ) الرياضيّة المفيدة الإيقان.

وتذكر هذه القضيّة الأوليّة: أن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان، ليعتقد على الإجمال حقيّة أحد الطّرفين وبطلان الآخر، ثم مراعاة القوانين المنطقيّة واستعمالها ليطّلع على صحّة حجّة أحد الطّرفين المتحيّر فيهما، واستحضار القياسات المغالطية، فإنّها خاصة عظيمة النّفع في هذا الباب. إذ بها يعرف فساد دليل الطّرف الباطل، وتصفح المقدّمات المستعملة في الدليلين، وتفحص أحوالهما الصّورية والمادّية حتى يتخلّص بعون الله تعالى.

[1] اقتباس من سورة البقرة 15/2.
[2] اقتباس من سورة الحج 46/22.

الفصلُ الرّابع

في علاج الجهل البسيط

وهو عزوف النّفس عن العلوم فقط. قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وهو في البداية ليس بمرض، لأنّ كل إنسان بحسب الفطرة يكون خاليا عنها، لكن الرّضا به والسكون عليه مرض مهلك. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2] ، وفي موضع آخر: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]. وسببه حبّ الشّهوات الحسيّة (ق40/ب) والرّكون إلى اللّذات البهيمية، وعلاجه أن يتفقّد حال الإنسان والحيوانات العُجم ويعتبر بما امتاز عنها، ولِمَ فضّل عليها. فيعرف خاصية النطق والتمييز. ويقف على أن النّطق ليس هذا الصّوت المعتمد على مخارج الحروف، بل الفهم والإدراك واكتناه حقائق الأشياء. وأنّ الجهل يقعده عنها ويحطّه إلى مرتبة البهائم. وذلك يتحقق عند مجالسة العلماءِ والحكماءِ الأفاضِل، فعليه بملازمتهم خصوصا عند البحث عن المعاني الدّقيقة، ليرى كيف ينبتُّ عن النّطق بالكلّية، وينخرط في سلك الجهادات بالحقيقة. فيعلم أنّ الألفاظ التي كان يتكلّم بها في غيبتهم كأصوات الحيوانات الأُخَر سواء، وإلّا لما انقطع عنها عند الإنسان الحقيقي.

ويتحقّق أنّ إطلاق إسم الإشارة عليه بطريق المجاز التشبيهي لأنّه تمثال مثله، أو باعتبار ما سؤل إليه كإطلاق اسم البشر على النّبات الخضر، باعتبار استعداده لقبول صورة البشر. فيتصوّر قصوره عن

[1] اقتباس من سورة الزمر 9/39.
[2] سورة الأنفال 22/8.
[3] اقتباس من سورة يونس 100/10.

درجته، ويبيّنه على (ق41/أ) أنّ غيره من الحيوانات كلّها بالغةٌ إلى كمالاتها التي خلقت لأجلها، واصلة إلى غايات مقاصدها. وهو محجوب بينه وبين كماله، منقطع دون مراده. فيتحقّق معنى قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1]، وكذا حاله بالنّسبة إلى جميع الموجودات، حتّى العناصر فيقف على كونه أخزى وأخسر من كلّ الأشياء، وأخس وأرذل من ذرّات الهباء. فتنبعث داعيته على طلب العلم، إن بقيت فيه بقيّة من الاستعداد، وشكّة من الرّشاد، وإلّا فالمرض مزمن أو خلقي.

الفصلُ الخامس

في علاج الجهل المركّب

وهو خُلوُّ النّفس من العلوم، مع اعتقاد أنه عالِم. قال الله، تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وذلك أردئ أصناف الأمراض، وصاحبه قلّ ما يرجى شفاه؛ لأنّه مع الجزم بعالميته لا يتنبّه لجهله. وما لم يتنبّه لم يتشوّق إلى طلب العلم. قال الله، تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]. وتدبيره مع عسر علاجه، أن لا يردع أوّلاً عن معتقده، لئلّا يأتي بكل ما يسمع، ولا ينزجر عن كلّ ما يعرض عليه، بل يحرّض على تعلّم (ق41/ب) العلوم الرياضية كالهندسة والحساب، ريثمّا يجد لذّة اليقين، ويستأنس بالتّحقيق، فتتجلّى

[1] اقتباس من سورة الفرقان 44/25.
[2] اقتباس من سورة البقرة 80/2.
[3] اقتباس من سورة البقرة 6/2.

مرآة قلبه بنور الهدى عن ظلمة الشبهات. ثم يُعرض عليه في أثناء المباحث ما يدحض اعتقاده، ويوجب بطلان مذهبه وفساده، حتّى يتزلزل في عقيدته. وعلى هذا يراضُ شيئاً فشيئاً باليقينيّات، ويقرّر عليه ما يبطل مُعتقده من الواضحات. ثمّ يستعمل معه ما يدلّ على إثبات نقيضه من الحجج النيّرة، والبراهين القاطعة، إلى أن يعود إلى الجهل البسيط فيعالج بما ذكر.

الفصلُ السادس

في علاج الغضب

هو شدّة هيجان النّفس شوقاً إلى طلب الانتقام. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «شراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء»[1]. وأسبابه عشرة العجب والتكبّر والافتخار والمراءاة واللّجاج والمزاح والاستهزاء والغدر والضيم، وطلب ما ينافس فيه ويحاسد عليه من المقتنيات، وغايتها شهوة الانتقام. وهو إذا كان في غاية الاشتداد لا يقبل العلاج إلّا على النذور؛ لأنّ الحرارة متى اشتعلت أثارت الأدخنة المظلمة (ق42/أ) فيمتلئ الدّماغ منها، ويتكدّر جوهر النّفس، فيحتجب العقل فلا يدرك المنافع والمضار، ولا يميّز بين المحاسن والقبائح، ولا يلتفت إلى المواعظ والنصائح. فكلّما يلاطف ويوادع يزداد لهيبه كالحطب في النّيران المشتعلة.

وقد يحتال في إطفاء ناريّته، وتسكين ثورته بالسّكون إذا بقيت شكّة من الرويّة. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضّجع»[2]. وربّما يغلي الدّم،

[1] في: السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (410)..
[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (20831).

وتحتقن الحرارة في القلب والشرايين وتختنق، فتحدث منه الأمراض الجسمانية المردية[1] كالمطبقة[2] ونحوها. وعلاجه قمع الأسباب ودفع الموجبات؛ لأنّ ارتفاع السبب يستلزم ارتفاع المسبب.

أمّا العجب فهو أن يظنّ الرجل اختصاصه[3] بمزيّة لا يستحقها. قال الله، تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[4]. وقال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله"[5]. وقال: "لا وحدة أوحش من العجب"[6]. وعلاجه (ق42/ب) أن يتفكّر في مبادئ بنيته وأطوار خلقته. كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[7]. ثمّ في احتياجه إلى أبناء جنسه دائما، فإنّ أحداً منّا لا يوجد إلّا وهو محتاجٌ إلى غيره في أسباب معاشه ومعاده، وكلّ ما كان كماله بالغير فهو ناقص في ذاته. وإذا علم أنّ كماله عند الغير، علم أنّ ذلك الغير أفضل منه، وإن أمعن النّظر وأنصف في نفسه، وجد في كلّ شخص بل في كلّ شيء فضيلة ليست فيه. فلا أقلّ من الاشتراك. وعند ذلك يقف على نقصانه، ويأمن من هذا الدّاء العضال.

وأمّا[8] الكبر فقريب منه، إلّا أن المعجب يكذب على نفسه والمتكبّر يكذب على الناس بتخييلهم ما ليس فيه، حيث يترفّع عليه، ونفسه خالية عن ذلك الظّن. وعلاجه قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[9]

---

[1] مردية من أردى أي أهلك.
[2] المطبقة هي الحُمّى التي لا تفارق صاحبها.
[3] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: مطلب في العجب.
[4] اقتباس من سورة الفرقان.
[5] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 2053/3.
[6] في: ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، 276/18: "لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، ولا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا زرع كالثواب، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام، ولا علم كالتفكر، ولا عبادة كأداء الفرائض."
[7] اقتباس من سورة سورة الحج 5/22.
[8] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن: مطلب الكبر قريب من العجب.
[9] اقتباس من سورة لقمان: 18/3.

، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1]. ومن الأحاديث الشريفة الرّبانية: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ومن نازعنى واحدا (ق 43/أ) منهما قذفته في النّار»[2]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «ألا أخبركم بأهل النّار، كلّ عتلّ خوّاص مستكبر»[3]. ومن كلام أمير المؤمنين عليّ، عليه السّلام: "عجبت للمتكبّر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة"[4].

[1] اقتباس من سورة غافر 35/40.
[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (9303).
[3] في: مسلم، الصحيح، حديث رقم (5097): أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ"
[4] في: خطب الامام علي ع، نهج البلاغة، 30/4.

مطلب في الافتخار[1]

وأمّا الافتخار فما نحن بصدده هو المباهاة بما هو خارج عن ذاته. قال الله، تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[2]. وهو إمّا أن يكون بالمال أو النّسب. وعلاجه تنبيه النّفس على أنّ فضيلتهما لا تتعلق بها ولا تنتقل إليها بل هي ثابتة لهما. وهو إذا تجرّد عنهما لا يكون متزيّنا ولا متجمّلا في نفسه. قال الله، تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[3]، وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[4]. ومصداقه أنّه إذا تغرّب عن وطنه، وحيل بينه وبين مرضه، بقى عريا عن تلك الزينة. ومن أنفع علاجاته المسافرة إلى حيث لا يعرف نسبه، والمفارقة عمّا لم[5] ينشأ عليه من نفسه سببه، وهي مع أنّه مباين عنها ومفارق إيّاها غير باقية ببقائه، فإنّ الأموال تغصب وتنهب، والأسلاف (ق43/ب) تنسى وتنكر، ولو فرض أحدهم حيّا لا تستقل بالفضيلة ولم ينفعه. قال الشاعر[6]:

فما الفخرُ بالعظمِ الرميمِ وإنّما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه [البحر الطويل].

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: مطلب في الافتخار.
[2] سورة التكاثر 102/1-2.
[3] سورة الشعراء 88/26.
[4] اقتباس من سورة المؤمنون 101/23.
[5] في ب: كتب في مقابل هذه الاكلمة على الهامش الأيمن: مطلب أنفع علاجات الافتخار.
[6] البيت للمتنبي، في: العكبري، شرح ديوان المتنبي، 324/3. لم أعثر على البيت في ديوان المتنبي.

وأمّا المراءاة، فهي مُخاصمة تحدث من رعاية المصلحة الجزئية. قال الله، تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[1]. وسببه شدّة تعلّق النّفس بالمنافع البدنيّة والسّعادات الخارجية؛ لأنّ أكثر الناس من فرط لهجهم بحبّ الحياة الدنيويّة، وكثرة شغفهم بالملّذات الحسّية، لا يجذبون إلّا ما يخصّهم من النّفع، ولا يحصون إلّا ما يضرّ أنفسهم بالرّفع. لا يبالون بإضرار الغير إن كان فيه نفعهم. وذلك من قصور النّظر. وعلاجه بعث النّفس على إدراك المطالب الكلّية، وتصوّر المنافع العامّة. اذ به تعلو الهمّة، وتنجلي الغمّة. وتجريدها عن العلائق الطبيعية والشوائب الوهمية، وتعريفها قاعدة التوحيد ليزول عنها عشق الشيء المخصوص. فيجد نفعه في نفع غيره (ق44/أ) وضرّه في ضرّ غيره. لأنّ الكلّ بنظر التوحيد واحد. ومنشأ ظهور الوحدة في النّفس التطوّر الكلّي العقلي. كما أنّ مبدأ الكثرة النّظر الجزئي الحسّي. وصاحب المراءاة أخسّ النّاس مرتبة، وأرذلهم منزلة؛ لأنّه يبطل الألفة التي ينبني عليها نظام العالم وهي أثر الوحدة التي بها قوام الكلّ.

وأمّا اللّجاج فهو عناد ينشأ من طلب الترفّع ومحبة الغلبة، فهو قريب من المراءاة، إلّا أنّه أخص منه. قال الله، تعالى: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]. وعلاجه ما هو في العجب والمراءاة. وربّ جمعيّة فرقت شملها وقطعت وصلها يد اللّجاج وهو في الحقيقة عداوة الله ومناقضة حكمته؛ لأنّه يقتضي التفرق وتبديد الالتئام وعناية الله تقتضي التوافق وضبط النّظام.

وأمّا المزاح[3] فما كان من طيب النفس وعلى سبيل الطرافة مراعيا فيه الاقتصاد فلا بأس به، بل كان محمودًا، وكان رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، يمزح ولا يهزل. لكن الوقوف على حد الاعتدال عَسِر،

[1] سورة ص 2/38.
[2] اقتباس من سورة ال عمران 66/3.
[3] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: مطلب في المزاح.

وكم(ق44/ب) من دعابة خفيفة شاهدناها من بعض الظُّرفاء، تتدرّج في الزيادة قليلا قليلا، إلى أن أورثت وحشة ومراءاة وعداوة وبغضاء. فيجب الاحتياط في مراعاة القصد، ومَنْ لم يقدر عليه فالترك بالكلّية ولزوم الجد فإنّه عليه حرام.

وأمّا الاستهزاء[1] فإنّه يقع من خفة العقل وقلة اعتناء صاحبه بأمر النفيس. قال الله، تعالى، حكاية عن قول موسى عليه السلام في جواب[2] ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[4]. ولا يصدر إلّا عمّن يعرّض نفسه للمذلة والهوان، ولا يبالي بما يسمع من الفحش وشتم الأقران، ويتوسّل بالسخرية والأضاحيك إلى المطالب الخسيسة من أسباب المعيشة. وأمّا الحرّ العزيز النفس فلا يرتكب مثله في مقابلة الدنيا وما فيها. وعلاجه البحث والتفتيش عن شرف النفس وكرامتها، ليعن له الاعتناء بشأنها، وملازمة أفعال الأحرار، وتعلّم العلوم (ق45/أ) الحقيقية فإنّها تورث الجدّ وتحدث خطبا للنفس ورفعة.

وأمّا الغدر، وهو مُخادعة النّاس عن مقاصدهم فله وجوه كثيرة؛ لأنّه قد يكون في المال والجاه والمودة وغيرها. قال الله، تعالى، في ذم المشركين: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾[5]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «لا إيمان لِمَنْ لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[6]. وأردؤه ما كان مع الصديق. وينشأ من محبة الدنيا؛ لأنّ أحوالها متغيرة. فإذا كانت النفس تميل إليها وتدور معها تتغير بتغيرها فلا يقوم

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن: مطلب الاستهزاء يقع من خفة العقل.
[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن: قومه صح.
[3] اقتباس من سورة البقرة 67/2.
[4] اقتباس من سورة الحجرات 11/49.
[5] سورة التوبة 10/9.
[6] في: أحمد، المسند، حديث رقم (12155).

بالوفاء. وعلاجه صرف الهمّة إلى رعاية حقوق الأصدقاء، وتذكر معاوناتهم ومظاهراتهم، والإعراض عن حبِّ متاع الدنيا فإنّه رأس كلّ خطية. والفكر في سرعة زواله ووشك انقطاعه ليصغر قدره في عينه، فلا يختاره على إخوانه وأصدقائه. ومَنْ لم يترجح عليه الصَّديق عند الموازنة بملك الدنيا، فليس من الصداقة في شيء، وما له في الخلّة من خلاق. (ق45/ب) بل هو من أهل التلبيس والنِّفاق.

وأمّا الضيم، وهو إيذاء الغير على وجه الانتقام. فهو من باب الظلم، والله لا يحب الظالمين. وصاحبه ربّما يلتذُّ بإيذاء النّاس من غير أن ينتفع به. وعلاجه أن يتدبر أمره. هل نستصلح بالانتقام؟ وليتصور مثل ذلك الضيم على نفسه هل يطبقه؟ وملازمة العدالة وارتكاب الانظلام ليذوق وبال أمره، فتذهب قساوته. وتوطين النفس على أن لا يقدم على فعل إلّا بعد مشاورة العقل واستصوابه. وحينئذ لا يرغب بالانتقام إلّا إذا كان تركه يؤدي إلى ضرر عظيم في الدّين أو الدنيا.

وأمّا طلب النفائس كالجواهر الثمّينة والأشياء العزيزة الوجود، فهو يتولّد من استعظام زخارف الدنيا، وذلك لعدم تشوّق النّفس إلى الجواهر الباقية. قال الله، تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[1]. وعلاجه النّظر في فوائدها وتبعاتها، وموازنة السّعي في طلبها، وحفظها من الآفات بالتّمتع بها، فإنّه يصرف العمر العزيز في تحصيل شيء إذا حصل له كثر أعداؤه وحسّاده وتنغص عيشته وتكدّر وقته.

[1] اقتباس من سورة يونس 24/10.

ولا جرم طبيعة الكون والفساد تقتضي تبديل أحوالها وتغيير بزّتها وجمالها، فيذهب بهاؤها ويؤول آخر الأمر إلى فنائها. فالسّاعي في طلبها هو السّاعي في تضييق عيشه، وتضييع عمره، وإعداد أسباب هلاكه. وإن اعتبر علم أنّه لا شك في مفارقته إيّاها. إمّا بفنائها ووقوعه في الجزع والغم، وإمّا بهلاكه وتركها بالحسرة والرّغم. وما دام باقيا معها مُتمتِّعا بها، كان خائفا من تلفها، ووقوع نظر الطلاب المتغلّبة عليها.

وقد رأيت في زماننا مَنْ حكى أنّه أنفقت له قطعة زمرد، فوقف على بعض حكام العصر، فهدَّد وأوعد حتّى استخرج من قبضته، فمرض بسببه مدّة طويلة مرضا شديدا كادت (ق46/أ) روحه تزهق منه. ومع ذلك إن احتاج أو افتقر لم يخلصه في الحال من فاقته، ولم ينفعه في الوقت من حاجته، لأنّ رغبات أكثر النّاس فاترة عن أمثالها، فهذا علاج أسبابه.

ولمّا قطعت الأسباب، وحسم المراد، وسهل دفع الغضب، وينبغي أن يتفكر دائما في عوارضه، وتبعاته من النّدامة والكآبة وفقد الأصدقاء ومقت الأحبّاء، وشماتة الأعداء، ووقوعه في معرض الاستهزاء. وأداء فعله إلى الأمراض والأدواء ويستحضرها لئلا يعود إلى مثله.

وقد يحدث أيضا من شدّة الشره، لأنّ صاحبها إذا حرم من مُشتهاه هاج به الغضب وحمل عليه من يعده، وإذا انضاف إليه رداءة الكيفية، أقدم على شتم الجمادات كالسحاب والمطر وأمثالهما، ويتشفّى بكسر الأواني والآلات وضرب البهائم والأموات. وليعتبر بحال الناس هل يرتضي منهم هذا الخلق؟ فإنّ الإنسان قلّما يدرك قبح فعله، فليشاهد هذه الأفعال من غيره؛ ليعافها ويكره ارتكابها ويقبح في (ق46/ب) عينه الإقدام عليها فيمتنع عنها لأنّ السعيد من اتّعظ بغيره.

الفصلُ السّابعُ

في الجبن

وهو الإحجام عمّا يجب الإقدام عليه، وملزم صاحبه المذلّة، ووقوع الخلل في المهمات والمصالح والطمع الفاسد من الظلمة، وغيرهم في ماله، وهتك حرمته، وسوء العيش، وعدم الثبات، والصَّبر في المساعي، ومحبة البطالة. ويكون بين الناس كالعضو الأرعن يحمل كلّ عضو ضيمه عليه، ويدفع أذاه إليه. وعلاجه الخوض في المخاوف، والشّروع في الفتن والمهالك، والإقدام على الخطوب الهائلة والحروب الصعبة. قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "إذا خفت أمرا فقع فيه"[1]. وتحريك دواعي الغضب وتهيجه قليلًا قليلًا حتّى يتحوّل إلى الوسط. ومن الجملة التزام التهوُّر إلى أن تحدث الشجاعة ثمّ الثبات عليها. وممّا يجرئ إكثار ذكر الموت، وأنّه عاقبة كلّ حيّ، وأنّ مدّة العمر لا محالة مُنقضية والآجال مُقدّرة. فكيف يختار العاقل القعود على الهوان مع علمه أنّه لا سبيل إلى بقاء الإنسان.

[1] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 832/1: "إذا هبت أمرا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه".

(ق47/أ) الفصلُ الثّامن

في الخَوف

وهو توجّع النّفس من توقّع مكروه يُنتظر وُقوعه. قال الله، تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾[1]. وصاحبه لا يخلو من نقصان عقل وقصور نظر وفكر؛ لأنّ المكروه المُنتظر إمّا أن يجب وقوعه أو لا يمكن. فإن كان الأوّل فليعلم أنّه لا بدَّ من وقوعه، إذ لا قدرة لأحد على دفع ما يجب، ولا يُفيد خوفه إلّا استقبال البلاء، واحتمال العناء، والتزام وقوع المكروه قبل حدوثه؛ لأنّه كلّما شاهد نفسه وجده في ذاته فجعله حائلا بينه وبين تحصيل أسباب معاشه ومعاده.

وإن كان مُمكنا فإمّا أن يكون وقوعه بسبب فعله أو لا. فإن كان وجب عليه الاحترازُ عمّا يكون سببا له. وإذا عُلم أنّ المُمكن المتساوي الطرفين بحسب ذاته، لم يترجَّح أحد طرفيه على الآخر إلّا بسبب. وسببه فعله لم يشرع في أمر يتولّد منه تبعات مُستنكرة وقبائح مُستكرهة. وإذا امتنع عن فعله علم امتناع وقوعه بلا سبب فأمِنَ الخوف، (ق47/ب) وإن لم يكن بسبب فعله، فليفرضه من الواجب ولا يُشوّش وقته باستشعاره؛ لأنّه يعلم إمكانه، وأنّه إن يقع لم يقدر على دفعه.

فالاشتغال بهمّهِ، وانتظار وقوعه، لم يزده إلّا الصّرف عن مهماته الأُخروية والمصالح الدنيوية، وخسار العاجل وهلاك الآجل، كما ذكر في القسم الأوّل. فحاصل علاجه في الأوّل. والثالث توطين النفس على ما

[1] اقتباس من سورة ال عمران 175/3.

قدر الله، تعالى، والرضا بقضائه، وفي الثاني الامتناع عمّا يسوؤه ويؤاخد به ويؤدي إلى ما يخاف منه حتّى يستريح.

ومن أنواعه: خوف الموت، وهو داء قلّما يوجد أحد لا يُبتلى به. قال الله، تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1]، ومنشأه الجهل والحيرة؛ لأنّ الخائف منه إمّا أن يكون خوفه من نفس الموت وما معه من شدة أهواله وسكراته، أو مما قبله من الأسباب والأموال والأهل والأولاد أو ممّا بعده من أمر المعاد وحلول العقاب.

(ق48/أ) والأول ينشأ من الجهل بماهية الموت، ويرتفع بالعلم بجوهر النفس، وعدم تضرّره بخراب البدن وانحلال التركيب كما سبق. وإنّ الموت ليس إلّا ترك استعمال النّفس آلتها، فهو كالنوم سواء، إلّا أنّ الموت ترك مع بطلان استعداد البدن لقبول تصرفاتها، والنوم ترك مع بقاء ذلك الاستعداد. والأهوال والسّكرات ليست من عوارضه بل من عوارض المرض. لأنّ الألم هو الإحساس بالمنافي. وإذا حلّ الموت لم يبق الإحساس فلا يبقى ألم كما النوم.

وما دام الشّخص حيًّا فهو يدرك مقاساة الأسقام ومعاناة الآلام. وأمّا عند الموت فلا، إلّا ما كانت روحانية. فهو في الحقيقة من جملة الراحات البدنية. ألا ترى كيف يُحبّ الغشى والخدر عن الأوجاع الشديدة، وكيف تلذّ بإلاغماء والغفوة فيها؟

وأمّا الثاني فهو من الجهل بمنفعة أسباب المعاش وسرّ القدر. ويندفع بالنظر في كيفية انتقال المال إليه (ق48/ب) وجهة إلانتفاع به، ومعرفة حظّ العباد من المتاع الدنيويّ، ووجه حكمة الله، تعالى، في إيجاد

[1] سورة الجمعة 62/6-7.

الأشياء وإعدامها. وذلك أنّه إذا استعمل فكرته وجدّد بصيرته، علم أنّ النّومة في الحياة والتملك ما انتهت إليه إلّا بموت الأسلاف، إذ لو بقيت القرون الأولى لما وسعتهم إلّارض، ولم ينتقل أمكنتهم وأسبابهم إليه. ولو أمكن بقاؤه لا يمكن بقاؤهم، ولو بَقُوا لما وجد هذا الشّخص. فبقاؤه يستلزم فناؤه.

فتلك الأسباب ليست في الحقيقة له، بل لله، تعالى، قسم الانتفاع بها والتصّرف فيها بين عباده على مقتضى حكمته ووفق مشيئته، وملكيتها نسبة مخصوصة عرضت لها بالقياس إلى المنتفع بها في دفع آلام حسّيه. فمَنْ تجرَّد عن الحواس لم يحتج إليها، وكيف يحتاج الصّحيح إلى ما يدفع به الأمراض؟.

وأمّا خوف الأهل والولد، فإنّه إذا وقف على الخطوط الدنيوية والسّعادات البدنية والأرزاق. والقسم ليس بسعي العباد، قال الله، تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ (ق49/أ) إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1]، بل الأوضاع المقتضية بحدوث كل كائن تقتضي بقاؤه إلى حد ما، وكينونته بحال ما، وفساده لوقت ما. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[2] ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[3]. ولاحظ قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[4] وقول النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «إن روح القدس نفثت في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها»[5]. وقول أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "الحظ يأتي من لا يأتيه"[6]. فتخلّص من همّهم. وفي الحقيقة هذا الخوف من حرص النّفس لا من الموت.

---

[1] سورة هود 6/11.
[2] اقتباس من سورة يس 38/30.
[3] اقتباس من سورة العنكبوت 62/29.
[4] اقتباس من سورة الإسراء 31/17.
5 في: الزبيدي المرتضى، كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، 1021/2.
6 في: ابن أبي حديد، شرح نهج اللاغة، 165/19.

وأمّا الثالث، فإن كان من العقاب فليتدارك الامتناع عن السيئات والزّلات، وما يبقى أثره في النفس من الذنوب أو العثرات. وتزكية النّفس من الرذائل المذكورة وتحليتها بالفضائل المعدودة، وإن كانت من الحيرة في باب المعاد والجهل بحاله بعد الممات. فخوفه من نقصانه وجهله لأمن الموت، وهو الخطب العظيم والهول الفظيع، الّذي اختار في دفعه الحكماء المتألّهة (ق49/ب) والأولياء المتصوّفة ترك الرّاحات واللّذات، وآثروا السّهر والنّصب والكدّ والتعب عليها في تحصيل العلوم الحقيقية[1] والمعارف اليقينيّة، حتى أمنوا من هذا الدّاء المهلك والفزع الموبق. وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الخوف إن ربنا لغفور شكور ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ(34) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[2].

واعلم أنّ الألم الحقيقيّ بل الموت الكلّي هو: الجهل وانحسار السّرمديّ تبعته. والراحة الحقيقية والحياة الطيبة هو العلم والبقاء الأبدي ثمّرته. ولمّا كانوا قد وجدوا في العلم روحهم وريحانهم غير منقطع ولا متغير، والفناء والتغيير من لوازم الأُمور المادية الدنيوية أعرضوا عنها، واكتفوا بالقدر الضروري منها، ورفضوا الفضول؛ لأنّها غير متناهية، وأقبلوا على ما لم يتطرق إليه البلي والفساد، وعلموا أنَّ ما عند الله باق ما له من نفاذ. قال الله، تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[3]. ومَنْ ذاق لذَّة العلم وحلاوتها ما حليت (ق50/أ) في عينه زينة الدنيا وطرواتها. ومَنْ عرف أصله وسِنخه[4]، واستأنس به عَلِمَ أنَّ تكدُّره وزنقه من مباشرة الأمور الطبيعية ونضارته ورونقه من مفارقتها؛ لأنّ الجوهر الصافي النوراني لا يتنور من الغاسق الظلماني.

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة في الهامش الأيسر: اليقينية صح.
[2] سورة فاطر 35/34-35.
[3] سورة النحل 96/16.
[4] السِنخ: الأصل من كل شيء.

فاشتاق إلى عالم الصّفاء، وانقلب بوجهه عن الأهواء، فمات بالإرادة قبل الموت الطبيعي، وكان حاله بعد المفارقة كحاله قبلها؛ لأنه حي بحياة لا موت بعدها، ذاته تنورت بنور المبدأ الأول وانقلعت عن الحضيض الأسفل. لا يزن العالم عنده جناح بعوضة، وكان مفارقا قبل الموت آمنا من الهلاك والفوت، مبتهجا بلذّة مشاهدة ما في الغيب، بريئاً عن الشّك والرّيب. كما قال أمير المؤمنين علي، عليه السلام: "لو كشف الغطاء ما ازْددتَ يقينا"[1]. وهو إنّما وجد كمال ذاته في موته، فكيف يخاف منه.

فأمّا مَنْ يوقن بأنّ بقاء الكائنات العنصرية على حالها مُحال، لكن تمنى طول بقائه من غاية الأمل، وترجّى من شدّة الحرص تأخير الأجل، فينبغي أن ينبه أن طول الحياة (ق50/ب) يستلزم ضعف الشيخوخة، وسقوط القوة والابتلاء بمفارقة الأحباب، ومجاهدة الأوصاب، فهو كمَنْ يتمنى مرضه وطول عذابه، وربّما ينوب الإنسان نائبة يتمنى الموت معها. وما أحسن ما أنشد أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام[2] في هذا المعنى:

وإذا عاش الفتى ستين عاما فنصف العمر تمحقه الليالي [البحر الوافر].

ونصف النصف يذهب ليس يدري لغفلته يمينا من شمالي

وثلث النصف آمال وحرص وشغل بالمكاسب والعيال

وباقي الأعمار أسقام وشيب وهم بارتحال وانتقال

فحب المرء طول العمر جهل وقسمته على هذا المثال

وفي الجملة من وثق بكماله وتيقن أن الموت ليس إلّا خلاص الجوهر المجرد، الذي هو حقيقة الإنسان عن قيد الطبيعة التي هي حبالة الشيطان، فرح بنجاته من الأسر وانطلاقه إلى عالم الأمر.

[1] في: المجلسي، بحار الأنوار، 153/40.
[2] الأبيات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في: ديوان علي بن أبي طالب، ص168-169.

الفصل التّاسع

في علاج الحرص

وهو إفراط الشّهوة (ق51/أ). [1]أمّا شهوة البطن، وشره الأكلِ والشرب، فصاحبها يكون ذليلا بالطبع قصير الهمّة؛ لأنّ همّه في عموم الأوقات معقودة بتدبير قوته البهيمية، يستنفذ وسعه في خدمتها ويستجهد فكره في لذّتها. والخادم أخس من المخدوم فهو أخس من البهائم والاستكثار منها يورث البلادة. كما قيل: "البِطْنة تذهبُ الفِطنة"[2]. ومع ذلك لا يخلو في أكثر الأزمنة من الآلام البدنية والأسقام المادية.

أمّا في العاجل، فكثقل الشبع، وفقدان الاحساس بلذّة الأطعمة؛ لأن تواتر ورود المذوقات على الذّوق، وكثرة تولُّد الرّطوبات الفضلية تكلّ الحس وتنقص الذوق. خصوصًا إذا تشوّقت النّفس وقت استعمالها إلى ما هو ألذّ منها. وأمّا في الأجل، فكالأمراض المتولّدة منها مثل: الهيضة[3] والتخمة والعفونات الحادثة من السدد الامتلائية. وغير ذلك من انصباب المواد المجتمعة من فضلات الغذاء إلى الأعضاء. وعلاجه الفكر في حال الحيوانات الأكولة كالفيل (ق52/ب) والخنزير ولحومهما، فإنّها بكثرة استعمال هذه القوة ما حازت شرفاً.

والتّنبّه على أنَّ تناول الغذاء لدفع ألم الجوع وحفظ بدل ما يتحلل ليقوم به البدن، وينسد الرمق وتحصيل الذّوق العلمي ليتنفر من نهمه، ويستصغر لذّة مشربه ومطعمه، والاقتصار على نوع واحد من الغذاء، والصّبر

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الأيمن: مطلب في شهوة البطن وشره الأكلّ.
[2] في: المجلسي، بحار إلّانوار، 331/63.
[3] الهيظة: مرض الكوليرا.

على الجوع والصوم، وصحبة الأكارم والأماجد. (وقد يستعان عليها بتحبيب الجاة والاحتشام إلى النّفس لتعرض عنها عند الإقبال إلى ما يخالفها.

وأمّا شهوة النكاح والحرص على استبدال الأزواج واختلاف المنكوحات، فهي من أقوى أسباب خسار الدّين والمال وهلاك النفس والعقل، وصاحبهما مهان غير وجيه. وعلاجها أن يستخرج حكمة وجود هذه القوّة من أنّها مودعة في الإنسان لإبقاء النّوع، لا لإتلاف الشخص بدفع الكيموسات[1] الصالحة التي هي غذاء الأعضاء، وصرف الرطوبات الأصلية التي هي مواد قوامها، وتحليل الحرارة الغريزية التي هي آلة الطبيعة في تصرفاتها. ثم يتحقق أن تشابه النساء في التمتع أكثر)[2] (ق53/أ) من تشابه الأغذية في سدّ الحاجة. وكما يستقبح تكفف الناس مع استغنائه بما يتقوّت به، يجب أن يستهجن تتبع النساء، مع القدرة على الاستمتاع بزوجته، وإحالة الرأي الصّحيح عند تسويلات النّفس الأمّارة وتزيناتها شمائل النساء عليه، وامتثال أوامر العقل الصّريح فيها من أنفع الدستورات، فإنّه من انقاد للهوى حيّله في كلّ شخص لذّة غير ما في الآخر، وفتنه بأنواع الحسن والجمال فيمَنْ هي محجوبة عنه، ومنعه عن مصالح الدّين والدّنيا.

وأنفع ما يكون من العلاج تقليل الغذاء، والاشتغال بما يصرف همّه عن الهوى من تحصيل العلوم، ومُلازمة الطّاعات، وخصوصا إقامة الصّلوات. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[3]، وإدامة الصّيام فإنّ الصوم له وِجاء.

ومن أنواعها العشق الحيوانيّ، وهو صرف الهمّة إلى طلب النكاح من شخص معين ولا يصدر إلّا عن ضعاف العقول، وركاك الهِمَم. وربّما يؤدي إلى هلاك النّفس والبدن. وعلاجه (ق53/ب) صرف الفكر عن

[1] الكيموسات: الخلاصة الغذائية الصالحة للامتصاص في الأمعاء.
[2] في ب: غير واضح بمقدار ستة أسطر.
[3] اقتباس من سورة العنكبوت 45/29.

شمائل المعشوق، والنكاح من غيره، والنّظر إلى مَنْ هو فوقه في الحسن، والاشتغال بما يحتاج إلى دقيق فكر، ولطيف نظر من العلوم والصّناعات؛ لينجذب عن جانبه، ومُجالسة العلماء والظرفاء، والخوض معهم في النكت، والبحث بحيث يُنسّى الخيالات الفاسدة، والاحتراز عن حكايات العشاق وأشعارهم، والكفِّ عن الوحدة، ثمّ السّفر الطّويل إلى حيث ينقطع عن خبر المعشوق، ويتوهّم انقطاع وصاله.

وينبغي أن تعلم أنّ هذا العشق غير العشق العفيف الّذي هو الابتهاج بشمائل المعشوق، والتبجّح بحركاته وسكناته، فإنّ ذلك من لطافة الطبع، وصفاء النفس. وهو محمود غاية الحَمد، مُعين على تجريد النّفس من علائق الطبيعة؛ لأنّه يجعل الهموم المتفرّقة همًّا واحداً. وأكثره يؤدي إلى العشق الحقيقي الّذي هو غاية الغايات ونهاية الموجودات.

العاشقون على ثلاثة أضرب ضرب بدون مكارم الأخلاق شعر[1]:

وجماعة عشقوا الصباح وفرقة لا يرتضون سوى هوى الخلاق [البحر الكامل].

[1] لم أعثر على شاعر البيتين فيما وصل له بحثي.

(ق54/أ) الفصل العاشر

في علاج البطالة

[1]قال الله، تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[2]. وهي تقتضي هلاك البدن والنّفس بإهمال رعاية مصالح المعاش، والقعود عن اكتساب سعادة المعاد، فهي مخالفة حكمة الله، تعالى، في إيجاد الإنسان، ومُعاندة حضرته في إفاضة الجود والإحسان، وصاحبها أشبه شيء بالجماد بل أخسّ.

وعلاجه مُخالطة أرباب الجدّ والكدّ، ومُداومة التفكّر في فائدة بلوغ الحد، وتحريك دواعي الجاه والمنصب والرّفعة والثروة، إلى أن اهتاجت قوته، وأقبلت على طلب الفضائل قرونته[3]، وتقبيح حال المتعطلين عنده ومذمتهم، وتحسين المجتهدين لديه ومحمدتهم، ممّا يحرك رجوليته، ويُغريه على طلب المكاسب والمعالي. ويتولّد منها أمراض صعبة ورذائل جمّة؛ لأنّ صاحبها لا يمكن أن يستقر في موضع كالجماد، فيتحرك بمقتضى هواه في طلب ما يتشهّاه كالبهائم الحائر، ويتخبّط كالعائر المائر[4]، يشغل النّاس عن مهمّاتهم، ويصرفهم عن طلباتهم. فعدمه خير من (ق54/ب) وجوده.

---

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة في الهامش الأيمن: مطلب في علاج البطالة.
[2]اقتباس من سورة المؤمنون 115/23.
[3] القرونة: النفس.
[4] المائر: خفيف العقل.

الفصل الحادي عشر

في علاج الحزن

[1]وهو تألّم النّفس من فقد المطلوب أو فوت المحبوب. قال الله، تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. وقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[3]. وسببه كثرة الشّغف بالمقتنيات الجسمانيّة، وشدّة اللّهج بالمشتهيات الدنياوية، وتوهّم ثباتها وبقائها. فصاحبه غير عارف بطبيعة الكون والفساد، غافل عمّا وراءه من أمر المعاد؛ لأنّه لو أنعم النّظر، لعلم أنّ كلّ ما تركّب من المختلفات، وأجتمع من المتقابلات بقاؤه قسريّ، وفناؤه طبيعيّ، وغلبة القسر على الطّبع أمر ضروري، فتفطّن استحالة دوام بقاء مركبات هذا العالم، وييقن بطلانها فلم يتأسّف بفقدانها.

وعلاجه التّمييز بين الدائم الباقي وبين الزائل الفاني. واتّخاذ الأول وإطراح الثاني. قال الشاعر[4]:

ومن سره أن لا يرى ما يسؤه فلا يتخذ شيا يخاف له فقدا [البحر الطويل].

واقتفاء ما صفا من كدر المادة وخلص من الكيفيات المُتضادة. (ق55/أ) أعني الموجودات العقلية والصّور القدسية. والاجتناب عن إحراز الجواهر العنصرية والكوائن المادية، الّتي وُجودها يقتضي عدمها، وبقاؤها يستلزم فناؤها إلّا بقدر الضّرورة. والاقتناع على الموجود منها، والاقتصار على الكفاف، وترك الادخار

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: مطلب في علاج الحزن.
[2] سورة يونس 62/10.
[3] اقتباس من سورة الحديد 23/57.
[4] البيت لإبن الرومي، ينظر في: ديوان ابن الرومي، ص523.

والاستكثار، والاقتداء بالطّيور وغيرها من الحيوانات، والاعتبار بحال مَنْ سعى وجمع واحتوى ثمّ ترك ومضى. كيف يصرف العاقل همه ويبذل وسعه فيما عدمه واجب، وبقاؤه مُمتنع ويرفض مالا يمكن زواله، ويستحيل تغييره وانتقاله. وهل هو إلّا ضيعة العمر وفعله الجاهلي الغمر؟

والفرق بين العاقل وغيره أنَّ العاقل يرى عواقب الأشياء وما يؤول أمرها إليه، فلا يضطرب ويجزع من كلّ ما علم وجوب وقوعه من المصائب. والجاهل لا يتدبَّر في الأمور، ولا يتفكر فيقلق من كلّ ما يعن له من النوائب.

وأنت إذا تأمَّلت وجدت كلّ مَحزون بأمر يفجؤه عائدا إلى (ق55/ب) السلو بالطبع. فإن كنت ذا سكينة ووقار، وبصيرة واعتبار، فاجعل أول أمرك آخره تنج من الحزن. وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام بقوله: "أصبر صبر الأكارم فأسلوا سلو البهائم"[1]. وكلّ مَنْ تفكر أنَّ مواهب الدنيا عواري أعطاها الله مقابل الانتفاع بها لم يحزن باسترجاعها ولا يغتم باستردادها، وخصوصا إذا اكتسب بها نفائس تبقى دائما ويتمتع بها دائما.

[1] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 50/20: "إن صبرت صبر الاكارم، والا سلوت سلو البهائم".

الفصل الثّاني عشر

في علاج الحسد

وهو تمني استجماع جميع الخيرات مع إرادة زوالها عن الغير. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الحسد ليأكل الحسنات كما يأكل النّار الحطب»[1]. ويترتّب من الحرص والجهل؛ لأنّ اختصاص شخص واحد بجميع الفوائد واستمتاعه منها ممتنع عقلا. والعالم بامتناع الشيء لا يطلب حصوله. وعلاجه علاجهما وصاحبه لا يريد خيرا بغيره وفيضان الخير على النّاس غير منقطع فيلزمه الحزن الدائم والسّخط اللّازم لا تتحصّل بغيته (ق56/أ) ولا تنجلي غمّته وهو شرير؛ لأنّه يحبّ شرًّا للناس بإرادة قصر جميع الخيرات عليه وكلّ مَنْ يحبّ الشّر فهو شرير[2].

والّذي بين العلماء يدل على الشرارة الغريزية والدناءة الطبيعية؛ لأنَّ المنافع الدنياوية بسبب كونها مادية لا تقبل الاشتراك والعموم بل كلّما حظي بها أحد حرم عنها الآخر. فطلبها والرغبة فيها يوجب قصد حرمان الغير عنها بالعرض وخاطبها ربّما لا يريد الأخيرة بالذّات ويكره ضرر الغير، ثمّ يلزمه بواسطة اجتلاب مُراده. وأمّا المطالب العلمية فهي مُبرّأة عن المادة معرّاة عن سمة النقص والفوات قابلة التّشريك والاتّفاق، لا تنقص بالاعطاء والافادة، بل كلّما أنفقت ازدادت لذّتها وعمّت منفعتها. فالحسود فيها شرير الطبع. والفرق بينه وبين

[1] في: ابن ماجة، السنن، حديث رقم (4208).

[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيمن: "لأنّه يحب شرّ النّاس ،فأراد قصر جميع الخيرات عليه، وكلّ من يحب الشر فهو شرير صح.

الغبطة أنّ الغبطة هي إرادة حصول الخير بلا توقع زوالٍ عن الغير، والحسد يكون مع توقع الزوال، وهي محمودة في السّعادات الأخروية النفسانية مذمومة في الدنيوية (ق56/ب) الجسمانية؛ لأنها عائدة إلى الغرض.

الفصل الثّالث عشر

في علاج أمراض متفرقة

فمنها:

الطّمع وهو: توقّع الخير من الغير بلا استحقاق ولا عوض. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: "بئسَ العبد عبد طمع يقوده»[1]. ومن كلّام أمير المؤمنين علي، عليه السلام: "أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع"[2]. وهو يتولّد من الحرص والبطالة إذا انضمّ إليها الجهل بحكمة الله، وصاحبه بعيد عن الحرية مُتذلّل لأرذل البريّة مُعرّضٌ عرضه للدنيّة. إذ كلّ طالب ناقص من جهة احتياجه إلى مطلوبه بتعبّد مطلوبه بتلك الجهة ليجبر نقصانه به. وكلّ مَطلوب مَعبود من حيث هو مطلوب. والطّامع مستفيض من خاطب حطام الدنيا فهو عبد عبد الحطام الّذي هو أخسَّ الاشياء.

[1] في: الطيبي، كتاب شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن، 3249/10.
[2] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 41/19.

والعبيد قسمان: مكرّم يستحق ما يتوقع من سيّده لقيامه بحقّ خدمته، ومهان لا يستاهل ما يتمنّاه لتقاعده عن أداء حقوقه بإزاء نعمته. والطّامع كذلك فهو أرذل العبيد وأهونهم. ولهذا (ق57/أ) قال أمير المؤمنين علي، عليه السلام: "الطمع رقٌّ مؤبّد"[1]. وقال: "أزرى بنفسه مَنْ استشعر الطمع"[2].

وعلاجه: النّظر في حكمة التعامل والتعاوض. فإنَّ النظام يختل بإطلاق الخيرات مجانا والانتهاء عن كلّ ما لم يكتسبه بنفسه. حتّى الهدايا والتّحف وتشويق النّفس إلى اللّذات الفعلية لتعلو الهمة عن الانفعاليات، واختلاط الأحرار، واستماع حكاياتهم وأمثالهم. ما روي عن أمير المؤمنين علي، عليه السلام: "المنيّة ولا الدنيّة والتقلّل ولا التوسّل".[3] وقيل "الحرّ من يتوكل على الله"[4]، أي لا يطلب ما لا يستحقه. فيحتاج فيه إلى أن يفوّض إلى الله تحصيله. بل يعلم أن كل ما يليق به ويقتضيه باستعداده موهوبٌ له من حضرته.

ومنها البخل. قال أمير المؤمنين علي، عليه السلام: "البخل جامع المساوئ"[5]. وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء وهو إمّا من مخافة الفقر فيزول بالفكر في عواقب الأموال وصيرورتها إلى الفناء وتحقيق معنى قوله.

(ق57/ب)

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظ قسمت وجدود شعر[6]:

[البحر الطّويل].

[1] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1741/2.
[2] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 84/18.
[3] في: خطب الأمام علي ع، نهج البلاغة، 94/4.
[4] لم أعثر لهذا القول مصدر فيما وصل له بحثي.
[5] في: محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 232/1.
[6] في: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، 18/2.

وقول أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام: "اعلموا علما يقينا أنّ الله لم يجعل العبد وإن عظمت حيلته، واشتدت طليته، وقويت مكيدته، أكثر مما سمّي له في الذّكر الحكيم، ولم يحل بين العبد وضعفه وفي حيلته وبين أن يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم"[1].

وأمّا لطلب الترفّع بالمال، فيزول عند النّظر في أنّ الرّفعة للمال لا له، بل هو حارس له خادم وفيما ذكرناه في باب المباهاة كفاية. وأمّا لمناسبة ذاته لما يظنّ به، فيزول بالنّظر في شرف جوهره وبعده عن الهيولانيات في المرتبة.

ومنها: الحقد وهو: غضب مستمر كامنٌ في الباطن. قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2]. ومن لواحقه الشّماتة، وعلاجه أصعب من علاج الغضب، ويرتفع بتصور الأخوة (الحقيقية)[3] بينه وبين المحقود عليه. فإنّ المواصلة الغريزيّة بين كلّ شخصين من نوع ثابتة. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[4] فليعتبر الأصل وليقع (ق58/أ) النّظر عن العارض الغريب الّذي هو سبب الحقد. اللّهم لا يكون أمرًا لا يجوز إلغاؤه شرعاً أو عقلاً.

ومنها: الكذب وهو: إخبار غير مطابق للواقع. قال الله، تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[5]. وأسبابه كثيرة أغلبها: التوصّل به إلى منفعة خسيسة. وعلاجه أن يتأمّل أن خاصية الإنسان النّطق. فائدته إخبار الغير عمّا

---

[1] في: المجلسي، بحار الأنوار، 37/100: "اعلموا علما يقينا أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته، أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وفي حيلته وبين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم العارف بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا في مضرة، ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى، ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى، فزد أيها المستمع في شكرك، وقصر من عجلتك، وقف عند منتهى رزقك".

[2] اقتباس من سورة الحشر 10/59.

[3] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الايسر: الحقيقية صح.

[4] اقتباس من سورة البقرة 178/2.

[5] سورة الجاثية 7/45.

غاب عنه، فإذا لم يطابق فقد أبطل خاصيته، وزاد على البطلان فسادًا بإفادته اعتقاداً منافياً للحقّ، ولهذا يتنفّر منه كلّ أحد طبعا.

والكذوب لا يرضى بنسبة الكذب إليه بل يتأذّى به وينظر في عواقبه وتبعاته من دباب الوقع والبهاء، وعدم إلتفات الناس بكلامه وعدم اعتمادهم عليه. ومن لواحقه السّعاية والنميمة والغمز والبهتان. قال الله، تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. وإذا انضم إليه العجب يتولّد الصلف (ق58/ب) قال الله، تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[2]. وإذا كان إخباراً عن معتقده في حقّ الناس بإرادة الخير بهم وكونه موافقًا لهم، فإن استنبطن شرّهم ومُحالفتهم كان نفاقاً. قال الله، تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[3]. وإلّا كان رياء قولًا كان ذلك الإخبار، أو فعلا كالحركات الدّالة على أحوال الباطن وملَقاً إن كان في المحبّة وحدها.

وليكن هذا آخر الفن الأول. وإذ قد وقفت على القدر المورد في دفع كلّ رذيلة واستحضرت القانون المُنَطّى في المعالجة سهل عليك استنباط علل الأمراض البسيطة والمركبة ومعرفة أعراضها وعلاجها. (والله الموفق والحمد لله)[4].

[1] سورة النور 24/16-17.
[2] سورة ال عمران 188/3.
[3] سورة البقرة 204/2.
[4] في ب: محذوب بمقدار أربع كلمات.

المقالةُ الثانيةُ

في سياسة المنزل

وهي تشتمل على سبعة فُصول:

الفصلُ الأوّلُ

في بيان الحاجة إلى المنزل

لمَّا كان الإنسانُ من بين سائر الحيوانات محتاجاً في أمر معاشه إلى أفضل عناية وزيادة (ق59/أ) تدبير وكفاية؛ لأنّ مادة بقاء كلّ نوع مناسبة لمزاجه وجوهره. وبأنّه أعدل الأشياء مزاجا وأكملها جوهرًا. ولا يمكنه الاغتذاء بالبسائط، بل إنّما يتهيأ غذاؤه بصنعةٍ ويتيسر في مدّة. ولا يوجد كلّ وقت في سنه افتقر إلى مكان يمكن ضبطه فيه، وحافظ يحفظه وقت غيبته عنه ليكون معدّاً عند الاحتياج. وإلّا لم تمكن معيشته. هذا بحسب الشخص.

وأمّا بحسب النوع، فلأنّه ذو تمييزٍ محتاج إلى التعريف، وفي تربيته من زمان ولادته إلى أوان بلوغه مشقةٌ ناصبةٌ، ومؤونة فادحة لم يكف في تبقيه نوعه النكاح كيف اتّفق. بل لا بدَّ من الازدواج على الوجه

المخصوص لئلا يختلط النسب، ويرتفع التمييز وينقطع تربية الآباء ووراثة الأبناء. وإذا كثر التناسل (والتّوالد)[1] وازدحم الاشتغال من ترتيب الأقوات وحفظ الأولاد، مسَّ الاحتياج إلى معاون يخدمهم.

فأركان المنزل خمسة: الزّوج، والزّوجة، والولد والخادم، والقوت. والمرادُ بالمنزل ههُنا هذا الاجتماع المخصوصُ، وكلّ كثرةٍ لا (ق59/ب) تنتظم إلّا بوحدة. فوجب انتظامهم بتأليفٍ وَحداني، وإلّا لتفرقَ شملُهم، وذلك لا يكون إلّا بقاهرية ومقهورية. فصار صاحبُ المنزل رئيسهم لأنّه أولى. ونظره في أحوالهم ورعاية مصالحهم يسمّى الحكمةَ المنزلية. وتلك الجماعة بتلك الهيئة الاجتماعية، صاروا بمنزلة شخص كلّ واحدٍ منهم كعضوٍ لهُ. والرئيسُ بمنزلة الطّبيب من وَجهٍ وبمثابة عضوٍ من وجهٍ.

وكما أنّ الطبيبَ ينظرُ بالقصد الأوّل في الاعتدال الحاصل لمجموع البدن بحسب التركيب، ثمّ بالقصد الثاني في اعتدال عضوٍ عضو. فكذلك ينبغي له أن يُراعي أولاً مصلحة الجُمهور ثمّ الآحاد، بحيثُ لو انحرفَ حال أحدهم وأضرّ بصلاح الجمهور ولم يمكن إصلاحهُ مع صلاحهم دفعهُ قبل أن يتنادي فسادهُ إليهم، كقطع الطبيب العضو الفاسد لحفظ المجموع. (والله المدبّر)[2].

[1] في ب: كتب في الهامش الايمن: والتوالد صح وأشير إلى مكانها في المتن.
[2] في ب: محذوف بمقدار كلمتين.

الفصلُ الثّاني

في سياسة الأقوات

والنظرُ في ثلاثة أشياء: الدخلُ والحفظُ والخرج. أما الدخلُ، فإمّا أن لا يكون بالتدبير (ق60/أ) كالميراث أو به كالصّناعة والتّجارة. والصناعةُ أولى لاستمرار نفعها وقلّة آفتها. ويجب في التّجارة مُحافظةُ العدالة والاجتناب عن الزيادة. وفي الصناعة اختيارُ الأشرف ومَا يقربُ من العفة والمَروءة وهي مرتبة في ثلاث طبقاتٍ: شريفةٍ وخسيسةٍ ومتوسطةٍ. والأولى ما ينشأ من حيز النّفس وهي ثلاثة أقسام: ما يتعلّقُ بجوهر العقل كالوزارة، وما يتعلق بالأدب كالطب والنجوم، وما يتعلقُ بالقوة كالفروسية.

و[1](وأما) الثانيةُ إمّا مناقضة لمصلحة الكلّ كالاحتكار والسحر، وأمّا منافيةً للفضيلة كالمقامرة والاطراب، أو مقتضيةً لنفرة الطبع كالدباغة. والقسمُ الأخيرُ ليس بقبيحٍ في العقل لأنّه ضروري. والثالثةُ ما يحتاجُ الناسُ إليه من الصّناعات الضرورية كالنّجارة والحدادة. وينبغي أن يحافظ على الحرية في الاكتساب، ويُجانبُ اللوم.

وأما الحفظُ فهو بالتمييز، وذلك بثلاثة أشياء: تسوية الخرج بالدخل، أو نقصانه عنهُ قليلاً بلا تقتير. ولقد سمعت بعض المشايخ أنه قسمَ (ق60/ب) ريعه على أيام السنة، وأنفق كلّ يوم نصيبه، والاعراض عمّا يتعذّر نماؤه كالجواهر النفيسة وأمثالها، واختيار النفع الدائم وإن كان قليلاً على الكثير الاتفاقي. وإن كان متمولاً فليقسم أموالهُ ثلاثة أقسام: الأول النقود، والثاني الأمتعة والمواشي، والثالث العقارُ، ليسلم البعض عند فساد البعض. وأما المصارف ثلاثة: ما ينفق (في الدّين في)[2] سبيل الله ابتغاء مرضاته كالزكاة والصّدقة. قال الله

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الأيمن: وأمّا صح.
[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الأيسر رأسيا من الأسفل للأعلى: في الدّين في صح.

تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الاية[1]، ومَا يبذلُ في السّخاء والمروءة، وما يُصرف إلى جذب المنافع ودفع المضار. كما يدفعُ إلى الظلمة والسّفهاء صيانةً للعرض والمال. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «ما وقى المرء به عرضه كُتب له به صدقة»[2].

والأوّلُ مشروطٌ بخمسةِ أشياء: الأوّلُ طيبُ النفس، والثاني الاجتنابُ عن الرياء وتوقع الشكر، قال الله، تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية[3]. الثالثُ أن يدفع إلى مَن يكتمُ فقرَهُ. قال اللهُ، تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ (ق61/أ) ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[4]. ولا يردُ السائل أصلاً، قال الله، تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[5]. الرابع الكتمان ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[6]. الخامس عدم الإمتنان. قال الله، تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[7].

وشرائط القسم الثاني أيضا خمسة: التعجيلُ لأنّه أهنى، والكتمان لأنّه لا نجاح، والكرم أولى، والتحفيز وإن كثر، والمواصلة لأن التقطع منس، ووضع المعروف في موضعه. قال الشاعرُ[8]:

وَوَضع النّدى في مَوضعِ السَّيفِ بالعُلى مُضِرٌّ كوضع السَّيفِ في مَوضع النَّدى [البحر الطّويل].

وشرط القسم الثالث الاقتصاد وإن انحرف فالميل إلى الإسراف لا التقتير.

---

[1] اقتباس من سورة البقرة 261/2.
[2] في: الفتني، تذكرة الموضوعات، حديث رقم (1478).
[3] اقتباس من سورة البقرة 264/2.
[4] اقتباس من سورة البقرة 273/2.
[5] سورة الضحى 10/93.
[6] اقتباس من سورة البقرة 271/2.
[7] اقتباس من سورة البقرة 264./2.
[8] البيت للمتنبي، في: ديوان المتنبي، ص372.

الفصلُ الثّالثُ

في سياسةِ الأهل

ينبغي أن يكون الباعث على التأهّل طلب النّسل لا مجرد الشّهوة. وأجودُ النساء ما كانت عفيفةً عاقلةً حييةً عروباً[1] بكراً حرةً نسيبةً أجنبيةً مِطواعةً للزوج مُدبرةً للمنزل، وإن انْضاف إليها الثراء (ق61/ب) والجَمال فقد تمَّت محاسنها، وتناهت فضائلها. وإن فقدت بعض تلك الخصال فالعفةُ والعقلُ أهم. والاقتصارُ من الجمال على اعتدال البنية وتناسب الأعضاء أولى؛ لأنّ الجميلة قلّما تعِفُّ لكثرة طلابها وضعف عقلها. ولا يسوغ للرّجل أن يحتاج إلى مالها؛ لأنه يوجب تسلُّطها عليه واستخدامها له، فيؤدي إلى الانتكاس.

ويجب في سياسة الأهل مراعاة ثلاثة أشياء والاحتراز عن ثلاثة. أمّا الأمور المرعيّة: فالأول إيقاع الهيبة في نفسها ليكون مُحترمًا عندها، فتنقاد لأوامره ونواهيه، ولا تطمع في تسخيره ومطاوعته إيّاها. الثاني إكرامها بما يُوجب شفقتها على حاله واهتمامها بأمر المنزل، وذلك بتجميل بزّتها وتزيين[2] هيئتها بما يليق بها، وسترها عن الأجانب، ومشاورتها في الأمور الجزئيّة، وإطلاق يدها في تصرّف أمور المنزل من الأقوات وغيرها؛ لأنها نائبته، وصلة الرّحم مع أقاربها، وأن لا يؤثر عليها أخرى، فتهيج غيرتها وتثور (ق62/أ) أنفتها، فيفسد أمره، ويسوء عيشه. ولا يترخّص في إكثار التزويج إلّا الملوك ومَنْ يجري مجراهم. الثالث شغل خاطرها برعاية

[1] في الأصل: كتبت على الهامش الأيمن عروب أي ضحاكة طيبة النفس.

[2] في ب: كتب على الهامش الأسر من أعلى إلى أسفل: ههنا: فصل الأكمل في المرأة: متى يكون فيها أربعة في أربعة هو شعر الرأس والحاجبان وأسفل العين والحدقة، وأربعة اللون وبياض العين والأسنان والساق، وأربعة حمر اللسان والشفاة والوجنتان واللثة، وأربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب، وأربعة طوال الظهر والأصابع والذراعان والساقان، وأربعة واسعة الجبهة والعين والصدر والوركان، وأربعة دقيقة الأحاجب والأنف والشفتان والأصابع، وأربعة غليظة الحجر والفخد ... والركبتان، وأربعة صغيرة الأذنان والثديان والرجلان والفم، وأربعة عفيفة الطرف والبطن واللسان واليد، وقلَّ أن تجتمع في امرأة.

مهمّات المنزل، وكفاية مصالح المعيشة، وإلّا اشتغلت بأنواع التزيينات، وتفرّغت للخروج إلى النظارات، ويتولّد منه أنواع المفاسد.

وأمّا الأمور المحذورة؛ فالاوّل فرط محبتها وإلّا لاستولت عليه وإن كان ولا بدَّ فيجب الإخفاء عنها. الثاني أن لا يُطلعها على أسراره، ولا يُشاورها في الأُمور الكلّية. الثالث نهيها عن الملاهي، والنظر إلى الأجانب، ومجالسة العجائز، فأكثر مفاسد النساء تنشأ من مُخالطتهن.

ويجب على النساء مع أزواجهن مراعاة خمسة أشياء: مُلازمة العفّة، وإظهار الكفاية، وخشية الزّوج، وحسن التبعّل، وقلّة العتاب. وقيل: إنَّ المرأة الصالحة كالأم في الشّفقة والتّعطف، وكالصّديق في المعاونة، والاقتناع بنفقة الزّوج عليها، وكالأَمَة في الخدمة والاحتمال. والطالحة (ق62/ب) كالجبّار في التجني عليه، وإيذاء الخدام، وكالعدو في استحقاره والتّشكي عنه، وكالسّارق في الخيانة وإتلاف المال.

ومَنْ ابتلي بسوء الحال في الأهل فعليه بالطلاق إن تيسّر. وإلّا فالاحتيال بصرف المال في جهة خلاصه عنها، ثمّ بالضرب والمهاجرة في المضجع، ثمّ بتحريض العجائز على تنفيرها عنه، وترغيبها في زوج آخر، ثمّ بالمسافرة الطويلة بشرط إقامة الرقيب عليها إلى أن ترغب إلى المفارقة والقطع. وقيل: يجب الاحتراز عن خمس الحنّانة[1]، والمنّانة[2]، والأنانّة[3]، وكية القفا[4]، وخضراء الدمن[5].

[1] الحنّانة: المرأة التي لها ولد تحن إليه.
[2] المنّانة: المرأة التي تمن على زوجها بما تفعل.
[3] الأنّانة: المرأة دائمة الأنين من الألم والأوجاع.
[4] كية القفا: المرأة سيئة السمعة.
[5] خضراء الدمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء.

الفصلُ الّرابعُ

في سياسة الولد

أوّل ما يبدأ به في باب الولد التّسمية بما يلائمه بحسب الحال والمصلحة، ثمّ العناية بأمر الرّضاع باختيار اعتدال مزاج المرضع وارتضاء أخلاقها. فإنّ الرّضاع يغيّر الطباع. ثمّ أمر التأديب في تهذيب الأخلاق، ويبادر عليه قبل ضراوته بالذمائم. فإنَّ الصبي لصفاء (ق63/أ) نفسه وجودة استعداده يعتاد بالأشياء في زمان قليل، وخصوصا باللّذّات الطبيعية لفرط احتياجه إليها.

ويعتبر في اختيار حاله بالحياء، فإنّه يدل على نجابة جوهر النفس ليوقي صاحبه عن القبيح. ويحفظ عن مصاحبة الأراذل في الملاعبة. ويحرض على محبة الكرامات المكتسبة بالعقل لا بالمال، ويعلم الوظائف الدينيّة ويلزم المواظبة عليها. وممّا يسدّده مدح الأخيار، ومذمة الاشرار عنده، واستهانة أمر المأكل والملبس، وتفهيمه أنَّ استعمالهما لدفع ألم الجوع، وتوقّي الحرَّ والبرد، والغرض منهما حفظ الصّحة وستر العورة لا اللّذّة والزينة، والتفقير عن الاطعمة المختلفة اللّذيذة، والملابس المتلونة الفاخرة، وتأخير الطعام عن وقت الاشتهاء قليلا ليقتصر على الأرذل ولا يميل إلى الألذ، والمنع عن الطعام قبل الفراغ عن الوظائف، وقبل أن يتعب تعبًا تامًّا معتدلا، وتعويده الخبز بلا أدام، وتنقيص الغذاء عن العشاء (ق63/ب) لئلا يتكاسل، وتقليل اللّحم للتّيقظ والذكاء، والتّحذير عن الحلاوى[1] والفواكه لسرعة استمالتها، وعن المسكرات لإيراثها التهور والوقاحة، والزّجر عن القبائح بالذمِّ، وإن صدرت عنه يؤاخذ بالتوبيخ والتّهديد، ولا يُصرح له بإقدامه عليها عمداً بل ينسب إلى

[1] الحلاوى جمع حلوى.

الغفلة لئلا يجترئ، وإن عاود إليه سرًّا بولغ في التوبيخ، وإن احتاج إلى الضرب ضُرب ضربا قليلا مؤلمًا ليتأذى به فيحذر. ولا يكرر عليه التوبيخ والضرب فيحرص على ما منع منه ويعتاد بهما، وإذا صدر عنه جميل بولغ في التحسين.

(وليمنع من مجالسة أهل اللهو والمجون والإتراف والتنعم والنوم الكثير مطلقاً والقليل نهاراً لئلّا يتبلد ويُبعث على التّعب والرّياضة وتلقى الحر والبرد، ويُحثّ على التواضع وإكرام الأقران، ويحجر عن التطاول والطمع والكذب والإقسام صدقاً وكذباً)[1].

وإذا شرع في تعليمه ابتدىء بمحاسن الأخبار والأشعار المسرودة في الآداب والمواعظ. وحذر عن العشقيات والغزليات. ويجب أن يكون معلّمه كيّسا مُتدنيا عالما[2] (ق64/أ) بترتيب التعليم وتخريج الأحداث، ذا هيبة ووقار، خبيرا بصناعة الأخلاق، حاويا لآداب كلّ طبقة، وصنف من الناس وخاصة الملوك، وأرباب البيوتات، مُحترزا عن شيم الاراذل والاخساء. وأن يكون في مكتبه الاقران والاكفاء ومن هو في مرتبته ليغتبط عليهم في التحصيل، ولا يتضجَّر في التعليم، وينهى عن الاستغاثة عند ضرب المعلم إيّاه، فإنّه من أفعال المماليك.

ويرخص وقتا غير وقت في اللعب الجميل لترويح النفس وإلّا تبلّد. وتُحقّر في عينه الماديات من الذهب والفضة والشّهوات. ويُعظّم عنده الإحسان إلى الاكفاء وإجلال الأُستاذ والوالدّين، ويُحبَّب إليه الفضائل والمكرمات والمعالي، ويبغض إليه الرذائل وسفساف الأُمور. وإذا ارتقى عن درجة الطفولة والصبى، وفهم أغراض الناس، فالأولى أن يتفرَّس من أحواله أنّه يستعد أي نوع من العلوم والصناعات فيُحثّ عليه ويُوجَّه

[1] في ب: محذوب بمقدار ثلاثة أسطر.
[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الايسر: متزوجا غير ناظر إلى الحسان من غير حاجة.

إليه؛ لأن كلّ أحد لا يستعد كلّ علم وصنعة، (ق64/ب) وإلّا لقصد الكلّ أشرفها وذلك مقتضى عناية الله، تعالى، بنظام العالم وحكمة القدر. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]. وكلّ ميسر لما خلق له. والمستعد للشيء يكفيه أضعف أسبابه، ويجد ثمّرته في زمان قليل وبالعكس.

فإن كان من أهل العلم عُلّم على الترتيب المذكور في باب اكتساب الفضائل، وإن كان من أرباب الصّناعات دُرّب بما يوافقه. وإن وقف على عدم أهليته لصناعة شرع فيها، نُقل إلى أخرى بشرط بذل المجهود واستفراغ الوسع، ولا يشوش[2] خاطره بكثرة الانتقالات، وقلّة الثبات في الصناعات. وينبغي أن يطلب المهارة فيما أقدم عليه، ولا يرضى بتعليم البعض، وترك الباقي وضبط الأُصول، وإهمال الدقائق، بل يقصد في كلّ شيء بلوغ الغاية لأن التمتع فيه. وإذا اقتدر على الاكتساب بصنعته أمر به، ليحرص على تكميلها والتمييز فيها عند وجدان لذة الانتفاع، ويتيقظ لتدبير المعاش ويتصرف في بابه.

(ق65/أ) وأمّا البنات فتدبيرهن في أمر المأكل والمشرب، هذا وفي التأديب إلزام خصال النساء كالوقار والعفّة، والمنع عن العلم والكتابة، والتزويج عند بلوغ الجد مع الكفؤ.

[1] اقتباس من سورة هود 11/118-119.
[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة في الهامش الأيسر: يشوش صح.

الفصل الخامس

في رعاية حق الوالدين وطاعتهما

إنّ حقّ الأبوين يتلو حق الله تعالى. كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] وذلك لأنّ الله، تعالى، أوجدنا بسببهما وربّانا بسعيهما، فجعلهما سببين قريبين لوجود الولد. ثمّ طفق الأب يسعى في تحصيل غذائه ومادة نشوئه ونمائه لقوام بدنه، ويعلّمه الآداب والصنائع والعلوم والشرائع لكمال نفسه، ثمّ يستخلفه في ماله وأسبابه وما يكدح لأجله ويشقى به.

وكذا الأُم تحمله مدّة مديدة تقاسي الآلام وتعاني الأسقام، وخصوصا الأوجاع الّتي تصيبها عند الوضع. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2] ثمّ تُرضعه من صفاوة دمها، ومادة حيوتها، وترجح بقاءه (ق65/ب) على بقائها، وتدفع عنه المكاره والمضار، وتجذب إليه المنافع والمبار، مُحامية عليه، ذابّة عنه.

فبالحري أن يكون أداء حقوقهما تابعا لأداء حقوق الباري. فيجب طاعتهما والشّكر لهما وتحصيل رضاهما والكفّ عن آذاهما. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ

[1] اقتباس من سورة الإسراء 23/17.
[2] اقتباس من سورة الأحقاف 15/46

ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]. بل رعاية حقوقهما ومكافأة نعمتهما أهم من عبادة الباري؛ لأنّ في طاعتهما طاعته، وهو مستغني عن عبادتنا وهما محتاجان.

وهي بثلاثة أشياء: فالأول محبتهما وإرضائهما قولا وعملا، وامتثال أوامرهما ونواهيهما إلّا فيما يؤدي إلى معصية، فيخالفهما بالملاطفة لا بالمنازعة. قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[2]. الثاني مُساهمتهما في الخيرات المالية، ومساعدتهما في المقتنيات الدنياوية بلا طلب منهما ومنّة، قال الله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[3]. الثالث إرادة الخير بهما سرًّا وجهرًا، دنيا ودينا، ومحافظة وصايتهما في حياتهما (ق66/أ) وبعد مَماتهما، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[4].

والعقوق أيضا بثلاثة أشياء: الأول إيذائهما قولا وفعلا أو بنقصان المحبّة. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[5]. الثاني مضايقتهما بالأموال والمنافع أو تكدير[6] (أرفاقهما) بالمنّ، أو طلب الثناء وغيره عوضا. الثالث عدم الاعتناء بأمورهما، وترك الحفاوة عليهما، وإهمال وصاياهما. وكما أن طاعتهما تتلو التوحيد والعبادة، فعقوقهما يتبع الشرك والمعصية.

وإن الفرق بين حقّ الأب والأم، أنّ حقّه ألطف وإلى الروحانية أقرب، ولهذا لا يُتَنَبّه له إلّا بعد تعقل، وحقها أظهر وإلى الجسمانية أميل، ولهذا يدرك في مبتدئ الإحساس. فميل الصغير إلى الأم أكثر من ميله

[1] سورة لقمان 14/31.
[2] اقتباس من سورة لقمان 15/46.
[3] سورة لقمان 15/46.
[4] اقتباس من سورة الإسراء 24/17.
[5] اقتباس من سورة الإسراء 23/17ا.
[6] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة على الهامش الايمن: ارفاقهما صح.

إلى الأب ، فعلى هذا يجب مكافأة نعمة الأب ببذل الطاعة، وذكر الخير والدعاء، والثناء وأداء حقوق الأم ببذل المال، وإيثار أسباب المعيشة كلّ بما يناسبه، وجميع مَنْ تنزّل منزلتهما من الأجداد والأعمام والأخوال والأكابر من الإخوان ومقابلاتهم من النسوان (ق66/ب) حكمة حكمهما في التعظيم والتوقير[1] (وسائر ما ذكر).

وعليك باستنباط وجوب خدمة المعلّم عن وجوب طاعة الأب. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «الآباء ثلاثة: أب أولدك، وأب علّمك، وأب ربّاك»[2]. فإنّه هو السبب في ولادة حقيقتك ورفيقة روحك. لولاه لما وجدت حقا. كما أنّ الأب لولاه لما خُلقت أصلا. فهو ينطف بنطفة الكلام من طريق السمع في رحم قلبك المسمى بالعقل الهيولاني، فيحمل بجنين الجوهر الروحاني، ويلد بطفل العقل بالملكة. قال عيسى، عليه السلام: "لن يلج ملكوت السموات مَنْ لم يولد مرَّتين"[3]. ثمّ يرضعه بلبن العلوم الصّالحة والحكمة البالغة المحضة، ويربه بأغذية المعاني الحقيقية، وأشربة الحقائق اليقينية، إلى أن يبلغ أوان حكم العقل المستفاد، وهكذا حتّى يبلغ أشده، الذي هو العقل بالفعل ويصل إلى الأصل. فيأمن من خوف الفناء والنفاذ فهو خليفة المُوجد للحقّ، ونائب الرّب المطلق.

وبقدر فضيلة الرّوح على البدن، ومزية العلم على (ق67/أ) اللّبن، وزيادة عذوبة لذة الأغذية الروحانية على الأطعمة الغذائية، ورُجحان البقاء العقلي الدائم على الحسي الزائل يجب ترجيح طاعة المعلّم على طاعة الأب فليعبده عبادة لا يعطيها لأحد من المخلوقات. والّا لم يقدر أن يعبد الله حقَّ عبادته؛ لأنّ عبادته، تعالى، موقوفة على معرفته، ومعرفته مستفادة من المعلم. فمَنْ لم يعبده لم يعرف الله، وإذا لم يعرف الله ما أمكنه أن يعبده.

---

[1] في ب: كتب مقابل هذه الكلّمة رأسيا من الأسفل للأعلى: وسائر صح.
[2] في: اسماعيل حقي، البيان في تفسير القرآن، 27/2.
[3] لم أعثر على هذا القول وفقا لما وصل له بحثي.

وعبوديته بتولي خمسة أشياء: أن يبذل نفسه وماله ليتصرف فيهما كيف شاء، ويقدِّم خدمته على ضروريات نفسه، ويواظب على شكره عالمًا بقصوره عن مكافأته؛ ليستجذب خاطره إليه، ويتحمَّل أذاه وأذى الغير لأجله بحسن التّلقي والقبول، ويترك الإعتراض على قوله وفعله. وإيّاه ثمّ إيّاه وإيذاؤه بوجه ما؛ فإنّه يؤدي إلى خسار الدنيا والآخرة بسوء ظن الناس به، وعدوله عن الحقّ الواجب؛ فيقع في معرض سخط الله، نعوذ بالله. وكذا حكم مَنْ يجري مجراه ويتعلق به من أصدقائه وأخوانه من أهل الصّدق وأرباب (ق67/ب) الحقِّ في التفخيم والتكريم، والله المستعان وعليه التكلان.

الفصل السّادس

في آداب متفرقة

أمّا في الكلّام، فيجب للعاقل أن يعتاد السكوت. قال النبيّ، عليه السلام: «مَنْ صمت نجا»[1]، وإلّا فترك الإكثار وتغليب الاستماع، وأن لا يقطع كلّام الناس بكلامه، ولا يظهر على من شرع في حديث هو عالم به ليتم ولا يلتزم جواب ما يسأل عنه غيره، وإن سُئل جماعة هو فيهم لا يسبقهم على الجواب، وإذا أجاب بعضهم بجواب غير شاف، ومعه أشفى منه لم يبادر عليه إلى أن ينتهي كلامه، ثمّ ليورد عليه على وجه لا يقدح فيه، وما لم يفهم الكلام فهمًا كاملًا لا يشتغل بالجواب. وما لم يتصور في نفسه لا يشرع في التعبير عنه. ولا يستمع إلى مسارة الناس ونجواهم، ولا يخوض في مجاراتهم. ولا يرفع صوته بين يدي الأكابر والأفاضل، ولا يفض بل ليراع القصد، وليجز كلامه معهم على المغايبة والكناية. وليتوق عن الكنايات المبهمة، والألفاظ الوحشة، والتطويل واللّجاج واللّغو والفحش.

ولا يكرّر الاحتياج (ق68/أ) فحينئذ يكرر بعبارة أوضح ولا يتضجّر في التكرار، وليبين معضلات كلامه، وعويصات معانيه بالأمثلة الواضحة والعبارات الظاهرة. وإذا أراد الإخبار عن المستقبحات والمستهجنات، فلينصرف إلى المجاز والتّعريض. وليحترز في الكلام عن الإشارة باليد والرأس وسائر الأعضاء إلّا عند اقتضاء الحال، فيرمز رمزًا لطيفًا، وحركة خفيفة. ولا يُورد ما لا يناسب الحال والكلّام الدائر بينهم، ولا يُجادل أهل المجلس، ولا يُلح وخاصة مع مَنْ لا يفيده من السفهاء وذوي الوقاحة. وليجتنب البحث عن المعاندة

[1] في: أحمد، المسند، حديث رقم (6477).

والمكابرة، وإذا أحسَّ برجحان جانب الحريف، فلينصف وليلازم الصّدق والحقّ، ولا يكلّم الناس إلّا على قدر عقولهم. ولا يحاكي أقوال الناس وأفعالهم.

وإذا دخل على الأكابر والأجانب افتتح بما يتيمّن به، وليُهاجر الغيبة والبهتان قولًا وسماعًا. وليصغ في المجلس إلى حديث سيد القوم مُقبلًا عليه غير معرض عن الباقين (ق68/ب) بالكليّة. وأمّا في الحركات والسكنات، فيجب الاحتراز في المشي عن الإبطاء والاسراع والتبختر فعل الجبابرة والمتكبرين. قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[1]. وتحريك الكتفين فعل المخانيث، وإرخاء اليدين وتحريكهما وكثرة النّظر إلى خلف والالتفات إلى الجوانب والإطراق في الطريق كالمحزون.

وفي الجلوس، عند مدّ الرجلين، والتربع والجثو على الركبتين إلّا عند الأُستاذ والملوك والوالدين ومَنْ يجري مجراهم. والاعتماد على اليد والاتكاء، ووضع الرأس على الركبة واليد، وتشبيك الأصابع، وتفرقعها وإدخالها الأنف والفم، واللعب باللّحية، والتّمطي، والتثاؤب، والتبصق ، وإلقاء النّخامة، والحسر عن السّاعد والقدم، والنّعاس. وإن غلب عليه دفعه بالحديث والتفكر وإلّا خرج عن المجلس. وإذا نام القوم وافقهم أو خرج عنهم. وينبغي أن يراعى حدَّه في المحفل لا يتقاصر عنه ولا يتجاوز، ويحفظ مرتبته إلّا إذا كان سيّد القوم، فيجلس حيث شاء، وإن كان (ق69/أ) غريبا جلس حيث يجلس، ثمّ إن اطلع على أنّ مكانه لا يليق به في الترفّع رجع إلى مكانه والعمدة في الباب محافظة الاقتصاد.

وأمّا أدب الطّعام، فالأهم فيه: تنظيف الجوارح كاليد والوجه والأنف. وإذا حضر الطعام لم يبادر إليه ألّا أن يكون مضيفا. وليأكلّ بثلاثة أصابع. ولا يلطخ ثيابه، وليصغر اللّقمة، وليأكل ممّا يليه، وليمتنع عن

[1] سورة الإسراء 37/17.

التقعر، وسرعة الالتهام، وتواتر الالتقام، وتطويل المضغ، ولعق الأصابع. والتشوّق لاختلاف المطاعم والميل إلى الألذ. والنظر إلى الحريف وخصوصا في لقمته، واشتمام الطعام وانتقائه. وليحذر ممّا ينفر الطباع. وإن وجد فيما يمضغ حصأ أو عظمًا أخرجه بغفلة من الحاضرين، وكذا كل ما مسّ الفم، ولعابه يجب إخفاوه عن نظرهم. ولا يكف عن الطعام قبلهم وإذا شبع وامتلأ يتعلل باليسير ويعاونهم بالثرد وأمثاله، ويبلع اللمظات المجتلبة باللّسان، ويطرح المقتلعة بالخلال إلى حيث لم يتنفّر منه. وإذا كان في جمع فليترك الخلال. وإذا انتهوا (ق69/ب) إلى الغسل لم يسابق القوم إلّا إذا كان ضيفا. وليبالغ في تنظيف الأصابع، وأصول الأظفار والفم وحواليه، ولا يتغرغر، ولا يلقي البصاق في الطشت، وإذا شرب الماء فلا يعبّ عبًا بل يتجرّع، وليحذر عن تصويت الحنك والحلق.

وأمّا الشراب، فيجب الانتهاء عنه لكثرة مفاسده. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. وقال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «الخمر أم الخبايث»[2].[3] ثمّ إن وقع فيه اضطرارًا أو تداويا، فأدبه أن يقعد في المجلس بجنب أفضل أقرانه، ويجتنب عن مقارنة أهل المجون والشّطارة والسّفه. ويطيب المجلس بالحكايات اللّطيفة، والأشعار المناسبة للوقت والحال، ولا يتعبّس، ولا ينقبض وليحيى كلًا بتحية تُناسبه. وليتوق عن السّكر؛ فإنّه يفضي إلى الهذيان ويذهب بحرمته ووقعه. وإذا كان صاحيًا، والحرفاء سكارى احتال في الخروج عنهم، فإن منعوا تساكر وهذى إذا خاف من السكر، وإن كان

[1] سورة المائدة 90/5.

[2] في: الطبراني، االمعجم الأوسط، حديث رقم (3792): "الخمر ام الخبائث فمن شربها لم تقبل منه صلاته اربعين يوما فان مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية".

[3] في ب كتب مقابل هذه الكلمة في الهامش الأيسر رأسيا من الأسفل للأعلى: وانه ليورث الرعشة والصداع والخفقان والفقر.

قليل التّحمل (ق70/أ) فليخرج أو ليبادر إلى الانكفاف، وإن كان كثيره لم يزد على الذّوق، وإذا امتنع أحد عن الشّراب لم يجبره و لا يكثر التثقل.

ولا يلتفت إلى ما بين أيدي الأصحاب من الرياحين والفواكه. وإن غلب القيء، ولم يمكنه الدفع بحيث لم يطّلع عليه خرج من المجلس، ولا يُعَدُّ إلى الشّرب بعد القيء. ولا يقم عن المجلس كثيرا. وإن كان في المجلس منظور صاحب حسن، فلا يكثر النّظر إليه والتكلّم معه. ولا يستدعي من المطرب غناء يلائم طبعه. ولا يخوض في حديث السكارى، وإن تشاجروا أصلح بينهم، وإذا وجد من نفسه إمارات الانفعال من الشّراب فارق الحرفاء. وليحترز عن النوم في المجلس، ومعاشرة الأجانب، والملوك، ومَنْ ليس من أقرانه، وأبناء جنسه غاية الاحتراز.

الفصل السّابع

في سياسة الخدم

الخادم بالنسبة إلى الرجل كبعض أعضائه؛ لأنّه يكفي عنه ما لو لم يكن يكفه لاحتياج في كفايته إلى استعمال الجوارح وإتعابها. فمنافع الخدام لمنافعها وإلّا (ق70/ب) لازدحم عليه أشغال كثيرة، واحتاج إلى كثرة الحركات، ولذهبت هيبته ووقاره. فيجب عليه أن يصرف عنايته نحوهم، ويراعي مصالحهم وحقوقهم، ولا يتهاون في الشّفقة عليهم، والمداراة معهم، والتلطف بهم. ويقتدي في تربيتهم وأعمالهم بالطبيعة في إصلاح حال الأعضاء وتصريفها نحو الأفعال. وكما أنَّ كلّ جارحة تختص بفعل وتكل بكثرة الأفاعيل، فتحتاج إلى الاستراحة فكذلك حال هؤلاء، فعليه أن يتعرّف أحوالهم، ويخص كلّ واحد بما يناسبه من الأشغال، ويكل إليه بما يليق به، ويلائمه من الأعمال، ولا يكلّفه ما لا يطيقه ولا يجهده بكثرة الأشغال المختلفة والأمور المتباينة. ولا يؤذيه بتتابع النقل والتحويل من صنعة إلى أخرى لئلا يسأم. ويشكر الله، تعالى، على إنعامه بهم عليه برعاية العدالة والانصاف معهم. وترك الجور والاعتساف عليهم.

وأمّا طريق اتّخاذهم، فالتجربة أولًا إن أمكن، وإلّا فالتّفرس من هيئتهم وخلقتهم. (ق71/أ) فإنَّ البدن قالب النفس وظاهره، فينبع أشكاله وتخاطيطه هيئة النفس، وأخلاقها فيمَنْ لم تتقو نفسه بالعقل ولم يتجرَّد عن ملابس الحس. ولهذا يتطابق الخَلْق والخُلُق في أكثر الأشخاص. وقيل: أحسن ما في الذميم صورته. فيجب الاجتناب عن الخِلَق المختلفة، والصُّور المتفاوتة كالأحول والأصيد[1] والأفحج وأمثالهم، وعن المعلول كالأبرص

[1] الأصيد: المائل العنق الذي لا يستطيع الالتفات للوراء من داء.

والأعور والأعرج، واختيار المناسب الأطراف المتعادل الأعضاء وإيثار الحيي المتوسط في الذكاء على الشّهم الذكي الوقح؛ لأنّ الأول عفيف متذلّل، والثاني مكّار متحول.

ويبني استخدامهم على المحبة والرجاء لا الضرورة والمخافة، وتمييل قلوبهم إليه بأن يمكن في قلوبهم دوام صحبته، ويثبت في صدورهم ثبات عقيدته، بحيث لا يخطر ببالهم مفارقته، ولا يتمثل في ضميرهم مجانبته. فإنّهم إذا تصوّروا مساهمتهم في منافعه وفوائده، راعوا الشّفقة في أمره، ولازموا النصح في بابه، وإن شعروا (ق71/ب) بجفائه، ووقفوا على ضعف ولائه، وتوجسوا قلّة وفائه، كانوا في خدمته كعابر سبيل بل عازم سفر طويل يهيئ زاده للرّحيل. فأزمعوا على جذب ماله، وادخار القنيات ليوم الفراق. والاستظهار بها عند الاحتياج.

وليهتم بأمور معيشتهم من المأكل والملابس أكثر من اهتمامه بأمر نفسه، فيقدِّم مصالحهم على مصالحه، ويصرف همَّه إلى إزاحة عللهم. ويعيِّن أزمان راحاتهم وأوقات استراحاتهم. ويجعل أمر كلّ واحد مكفولًا إليه بحيث يخرج عن عهدته؛ ليزدادوا في الأمور نشاطا وفرحا لا تثاقلا وكسلا. ويحفظ مراتبهم في الخدمة، ويجعل نفسه في صدورهم ذا هيبة وعظمة، ويعظم وقعه عندهم.

ولا يهملنَّ أمر التأديب في التّقويم بحسب الجرائم والجنايات. ولا يتركنَّ الصّفح والغفران في الزّلات. وليسلك طريق اللّطف و[1](ترك) العنف، ولا يكن إنكاره على أفعالهم بالعزل رأسًا، فإنّه يدل على الفظاظة والطيش، وحينئذ يحتاج إلى الاستبدال. ولذلك حكم البدل (ق72/أ) إلى أن يفوت عنه منفعة الخدمة، وإذا عاد أحدهم إلى ما نهاه عنه من المحذور بعد توبته، فليبالغ في تشديد العقوبة، وإلّا ييأس عن الإصلاح وما لم

[1] في الاصل: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الايسر: ترك صح.

يصر ويتقح. وإذا وجد فيهم مَنْ يرتكب الفواحش والقبائح ولا يكفَّ عنها بالتعذيب أبعده، وأخرجه عنهم لئلا يتعدّى فساده إليهم.

والعبد بالخدمة أولى من الحرّ؛ لتوطينه النّفس على ملازمة الخدمة، ويأسه عن المفارقة. وأصنافهم بحسب الطبائع ثلاثة: إمّا حرٌّ بالطبع، فيقام مقام الأولاد في التربية والخدمة، وإمّا عبد بالطبع فينزل منزلة الدّواب في الأعمال والرياضة، وإمّا عبد بالشّهوة فيقضي شهوته بقدر الحاجة، ويشغل بالأمور الشّاقة بالامتهان والاستحقاق.

وبحسب المواضع فالعرب من بنيهم مخصوصة بالفصاحة والدهاء، منسوبة إلى القساوة وقوة الشّهوة والجفاء، والعجم موصوفة بالكياسة والنّظافة وإلى الاحتيال والشّره، والرُّوم موسومة والتودة ومعزية (ق72/ب) إلى اللّوم والبخل، والهند بالحدس والذكاء وإلى العجب والمكر، وخبث النية. والتُّرك بالشّجاعة وإلى الغدر والفظاظة، والله أعلم.

المقالةُ الثّالثة

في تدبير المدن

تشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأوّل

في ذكر الحاجة إلى التمدّن

وبيان ماهية الحكمة المدنيّة وما يتعلق بهما

إنّه قد ثبت أنّ لكل موجود كمالاً يخصّه. فنقول ذلك الكمال لا يخلو، إمّا أن يكون مقارناً لوجوده أو متأخراً عنه. والأوّل كالمفارقات، والثّاني كالكائنات العنصريّة. وكلّما يتأخّر كماله عن وجوده فلا بدّ له من حركة يتوجّه بها إلى الكمال. وتلك الحركة لا تتم إلّا بأسباب، إمّا مكمّلة كالصور المتعاقبة الفائضة على النطفة إلى أن تصير إنساناً، وإمّا معيّنة وهي على ثلاثة أقسام: ما يصير جزءاً من المُعان وتسمّى معونته معونة المادّة، وما يتوسط بينه وبين فعله ومعونته معونة الآلة، وما يفعل فعلا يكون كمالاً له ومعونته معونة الخدمة: وهي إمّا أن تكون بالذّات (ق75ب) كمعونة المولى للسّيد، أو بالغرض كمعونة الرّاعي للقطيع.

إذا تقرّر هذا فنقول: إنّ العناصر والنّبات والحيوان تخدم الإنسان بالطرق الثلاث. والإنسان لا يخدمها إلّا بالغرض، لأنّ الأشرف لا يخدم الأخسّ بالذّات. فهو بالقياس إليها مخدومٌ على الإطلاق، لأنّ الخدمة الغرضيّة ليست خدمته لها في الحقيقة، بل للمخدوم بالذّات. وبقياس بعض أشخاصه إلى بعض مخدوم وخادم. بالوجه الأخير فهو محتاج إليها بالذّات وهو ظاهرٌ وإلى أبناء جنسه؛ لأنّ كلّ واحد منّا لو تكفّل بنفسه ما يحتاج إليه من الحرف والصناعات لما تيسّر له.

وكيف يمكن مع ما قيل أنّ كلّ لقمةٍ تحتاج إلى عمل ألف صانع. أمّا إذا تحمّل كلّ منهم بعض المهمّات عن صاحبه، وقام بأمر على انفراده، ثمّ تعاوضوا بينهم بتلك الأمور، انتظم أمرهم وانضبط معاشهم، فكان مبنى معايشهم، ومدار حيوتهم، وتكملهم على التعاون والتعامل. ولذلك اقتضت حكمة الله، تعالى، اختلاف الطبائع وتباين (ق76أ) الآراء والعزائم، ليميل كلّ واحد إلى صنعة وشأن يخالف شأن الآخر وصنعته. وفرح كلّ حزبٍ بما لديه، ورضي بما عنده، دنياً أو شريفاً بمناسبة طينته له.

إذ لو تساووا لقصد الكلّ أمراً واحداً، ولعاد المحذور. وكذا الحال في الفقر والغنى. إذ لو تساووا في الأوّل لما تعاونوا عجزاً، وفي الثّاني استغناءً، ولما حصل المقصود. قال الله، تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

وكذا في البلادة والذكاء. قال الله، تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[2]. فسبحان مَنْ خلق الأشياء بمشيئته على مقدارها، وسويها بمعدلته على مدارها. ولمّا احتاجوا إلى التعاون، وهو لا يتصور إلّا بالاجتماع، افتقروا طبعاً إليه. ويسمّى هذا الاجتماع تمدّنًا اشتقاقا من

[1] اقتباس من سورة الشورى 27/42.
[2] اقتباس من سورة السجدة 13/32.

المدينة، التي هي موضع الاجتماع. ولهذا قيل: "الإنسان مدنيّ بالطّبع"[1]. ولأنّ كلّ أحد مجبول على جلب المنفعة، ودفع المضرّة. وتختلف أحوالهم في الدّواعي بحسب اختلاف الأمزجة. (ق76/ب) يترجّح في البعض جانب الترّفع، فيشتاق إلى الغلبة والقهر وأنواع الكرامات. ويغلب في الآخر جهة الجذب، فيحرص على النّزوات الشّهوانية واللّذات الجسمانية، بحيث لو وُكِّلوا إلى أنفسهم، وفُوّض أمرهم إلى طباعهم المتنوّعة، وآرائهم المتنافرة، وحلّ بينهم وبين مطالبهم المتباينة، ومقاصدهم المتباعدة، تشاجروا وتنازعوا، ووقع الهرج والمرج بينهم، وآل نظامهم إلى الاختلاف وصلاحهم إلى الفساد.

احتيج إلى سياسة تُقِرُّ كلّ واحد في مقرّه، وتردعه عن اعتداءه وشرّه، وتردّهم إلى الاعتدال، وتعيّن لهم الأوساط في الأقوال والأعمال. وهو المشرّع الإلهي، ويسمّى النّاموس الأكبر. ولمّا كانت أعمالهم متفاوتة، والأجناس المحتاج إليها متخالفة، اضّطر إلى ما يسويها ويعينها، ويقوّم الأشياء ويعدّلها، وهو الدينار ويسمّى النّاموس الأصغر. ولمّا كان الدينار صامتاً قابلا للتغيّر والتصرّف، والنّاس يتغالبون بمقتضيات آرائهم، ويبذلون (ق77أ) الأوضاع الشرعية بموجبات أهوائهم، ويغيّرون الأسعار والسكك النافذة بحيلهم ودهائهم، اشتدّ الافتقار إلى حاكم عدل، يقهرهم بالسلطنة والشوكة، ويُجبرهم على طبيعة العدالة والسويّة، ويسمّى النّاموس المتوسّط، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾[2].

والأوّل لا يكون إلّا من عند الله؛ لأنّه عمل بالمساواة. والمساواة لا تنشأ إلّا من منبع الوحدة. فلا يقوم به إلّا مَنْ كان مُؤيداً من عند الله، مخصوصاً بالإعجاز، وخرق العادات، لينقاد له الناس، ويمتثلوا لأمره،

[1] في: فخر الدين الرازي، التفسير، 200/26: " فثبت أن الإنسان مدني بالطبع وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل".
[2] اقتباس من سورة الحديد، 25/57.

ويسمى نبيا. والأوسط يقتدى به في الأوامر والنواهي، ويدبّر أمور الناس في دفع المضارّ عنهم، وجلب المنافع إليهم، ويكلفهم مراسم الشّرع.

ويروج الأصغر كله وهو إمّا أن يكون سياسة عامّة أو خاصّة، متعلّقة بالكرامات أو بالأمور الخسيسة أو بالفرق المختلفة:

والأولى: سياسة الملك وهي التي (ق77/ب) توزع السياسات على أصحابها فهي سياسة السياسة.

والثانية: سياسة الكرامة.

والثالثة: سياسة الغلبة.

والرابعة: سياسة الجماعة.

ولا سبيل لأحد إلى التزام إحداها إلّا إذا كان مخصوصا بمزيّة، مُمتازًا مِمَّنْ يسوسهم بفضيلة.

فسائس الملك يجب أن يكون أفضل الناس، ويسمى إمّاما، وهو الملك على الإطلاق باعتبار الاستحقاق. وإن لم يكن له الخدم والحشم وغيرهما من أسباب الملوك، فإن كانت المملكة في يده، شاع العدل، وانتظم أمر العالم، واستقامت أحوال الناس، وإلّا فظهر الجور، واختلّ النظام، وانعكست أمور الأمّة.

فالحكمة المدنية هي النظر في القوانين الكلّية المقتضية لمصلحة الجمهور من جهة التعاون وموضوعه (الهيئات)[1] الاجتماعية والاجتماعات مختلفة مندرجة بعضها تحت بعض. فالأوّل اجتماع المنزل ثمّ المحلة،

[1] في ب: كتبت هذه الكلمة على الهامش الأيمن الهيئات صح. وأشير إلى مكان كتابتها في المتن.

ثمّ المدينة، ثمّ الأمة، ثمّ العالم. وهكذا الرؤساء في الراسيّة والمرؤوسة، إلى رئيس الرؤساء الذي هو رئيس العالم.

الفصل (ق78/أ) الثّاني

في فضيلة المحبّة

إنّه قد مرّ أنّ الإنسان في كماله يحتاج إلى الائتلاف. ولا بدّ للائتلاف من سبب، وسببه المحبّة. لأنّها ليست لا إرادية، فهو محتاج إليها. وهي أفضل من العدالة؛ لأنّها تستلزمها دون العكس، ولأنّها تقتضي اتّحادا طبيعيا. والعدالة اتحاداً صناعياً، والصّناعة تقتدي بالطبيعة، وما احتيج إلى العدالة، إلّا لفقد المحبة. إذ لو ثبتت المحبّة بين الأشخاص لمّا مالوا إلى الجور والاعتساف؛ فما افتقروا إلى الإنصاف والانتصاف. والعدالة أشرف الفضائل، فهي أفضل من جميعها، وهي في الحقيقة من لوازم الوحدة السائرة في الكائنات كلّها. فثبات الموجودات بالمحبّة؛ لأنّ بناها على الوحدة. ولمّا كانت المحبّة طلب الاتحاد، وكمال جميع الموجودات بالوحدة، فهي طلب الكمال.

وقد خُصّت بحسب العرف بأولي العلم. ويسمّى في غير الحيوان بالميل، وفي العجم منها بالألف. وهي إمّا طبيعية أو إرادية. أمّا الطبيعية فكمحبة (ق78ب) الأمهات الأولاد؛ فإنّها مستودعة فيها طبعا للتربية وبقاء النوع. وأمّا الإرادية فأقسامها بحسب القسمة العقلية أربعة: سريعة الانعقاد، والانحلال، وبطيئهما. وسريع الانعقاد، بطيء الانحلال وبالعكس. ولأنّ أغراض الناس ومقاصدهم بحسب البساطة ثلاثة: اللّذة، والنّفع، والخير، كان أسبابها لا تتجاوز عنها. وأما اللّذة فهي سبب القسم الأوّل؛ لأنّها سريعة التغيير والانقضاء. وأمّا

النّفع فهو سبب القسم الرابع؛ لأنّه مع عزة وجوده سريع الانقطاع والانتقال. وأمّا الخير فهو سبب القسم الثالث لأنّه يكون عند المشاكلة الذّاتية والاتّحاد الحقيقي وحصول النفع، ثمّ انضياف الخير إليه يقتضي القسم الثاني. وتلك الثلاثة قد تتركب وتتفق من الجانبين وتختلف، فتقوى المحبة في أحدهما بحسب الاختلاف وتضعف في الآخر، وكذا الحال في البقاء والزوال وتركبها يقع على ثمانية وعشرين نوعًا على هذا المثال.

(ق79/أ)

خير	خير	نفع	نفع	لذة	لذة	خير	نفع
خير	لذة	لذة	نفع	خير	نفع لذة خير	خير	نفع خير
خير	لذة خير	خير	لذة نفع	نفع	نفع لذة خير	نفع	نفع خير
نفع	لذة خير	نفع	نفع لذة	لذة	نفع لذة خير	لذة	نفع خير
لذة	لذة خير	لذة	جوهر لذة نفع	نفع خير	لذة خير نفع	خير لذة	خير لذة
نفع	لذة خير	خير نفع	لذة نفع	خير لذة	مضر لذة نفع	خير لذة	لذة خير

خير لذة	نفع لذة	لذة نفع	خير لذة نفع	نفع لذة	لذة نفع	خير نفع لذة	خير نفع لذة

فكلّما وقع فيها الخير من الجانبين، وهو عشرة أقسام تبقى دائمة. ولا يؤثر فيها الغمز والسعاية؛ لأنّ سببها مشاكله الذّوات واتحادها. ولهذا قيل في الأصدقاء نفس واحدة في أبدان متفرقة. ولعمري إن وجودها في غاية االعزّة، وإن أمكنت والتي خلت منه تختلف اختلافات شتى بحسب اختلافها في الشّدة والضعف، والاشتراك والاختلاف والدوام والانقطاع. أمّا في الاشتراك فكمحبة الزوجين؛ فإنّهما لاشتراكهما في اللّذة والنّفع تختلف أحوالهما لجواز الانقطاع في أحد الطّرفين، والبقاء في الآخر، جمعا وأفرادا. وكلّما كان الحال (ق79/ب) هذه وقع التشكي والتلاوم.

وأمّا في الاختلاف فكمحبة المعشوق والعاشق، والمغني والمستمع؛ فإنّ السبب من جانب العاشق والمستمع اللّذة، ومن جانب المعشوق والمغنى النّفع، فيتعجل الأوّل، ويبطئ الّثاني، فيقع التّجني والعتاب والتظلم والشجار ويسمّى محبّة لوّامة.

وأمّا محبة الوالدين للولد فهي مركبة من الطبيعية والإرادية. أمّا الطبيعة؛ فلأنّه بعضهما، وأمّا الإرادية؛ فلأنهما يحسبان بقاء صورتيهما بعد فناء المادة به (الولد). ويجدانه تمثال وجودهما ومصنوعهما ومربوبهما، فهو الضمان، ولهذا إذا فَضُل الولد على الوالد، فرح واهتزَّ، وإن فَضُل غيره عليه حرد واغتاظ؛ لظنه أنّه عينه وكماله.

وأمّا محبة الولد لهما فهي دونها؛ لأنّه المعلول على معلوليته لهما، إلّا بعد حين، وذلك عند بلوغه، وكمال فطنته، وحدة بصيرته. ولهذا حثَّ الشارع على الإحسان بالوالدين، ولم يحُثّهما على الإحسان به.

وأمّا محبة الإخوان فلاشتراكهما في (ق80/أ) سبب قريب وهي في الأكثر لا تزيد على الطبيعية، إلّا عند الإحسان والإنعام. فحينئذ تنعقد بينهما محبة أخرى. كما بين المحسن والمحسن إليه. وينبغي أن تكون محبة الملك للرعيه محبة الآباء في الشفقة والتربية، ومحبتهم له محبة الأبناء في التعظيم، ورعاية الحقوق، ومحبة بعضهم لبعض، محبة الإخوان في النصح والإحسان.

والمحبة أخص من العدالة لما ذكر وأعمّ من الصداقة؛ لأنّها تنعقد بين جماعات وبين وفرق مختلفة، فالصداقة لا تكون كذلك وهي أعم من العشق؛ لأنّه لا يكون إلّا بين اثنين وسببه إمّا لذة مفرطة، وإمّا خير، فلا يكون سببه النفع. والأوّل مذموم، والثّاني محمود، وعليهما يبتنى مدح العشق وذمه.

وسبب صداقة الأحداث ومَنْ يدين بدينهم اللّذة الصّرفة. ولهذا ربّما يتواصلون ويتقاطعون مرارا كثيرة في زمان قصير. وقد ينذر بقاء مودّتهم، وذلك عند توقُّع بقاء اللّذة ومعاودتها حالا فحالا.

وسبب صداقة (ق80/ب) المشائخ ومَنْ يجري مجراهم النّفع. ويبقى بحسب بقائه أو ظن بقائه. وسبب صداقة أهل الحكمة هو الخير، ولهذا لا تنقطع محباتهم ويلزمهم لذة لا تناسب اللّذة البدنية؛ لأنّ تلك لسبب تركب الأبدان من الطبائع المتضادة مختلفة غير خالصة عن ثوب الألم لامتناع حصول لذة حسية، إلّا بمفارقة أخرى وهذه المفارقة عن ثوب المادة لازمة الاتّحاد. إذ هي خاصية الجوهر البسيط. والبسائط مُجرَّدة لا تحجب المواد بعضها عن البعض. فإذا تجردت عن كدر العناصر، وتخلصت عن علق الطبائع، وتطهرت عن درن الشهوات أو الشواغل اتّحدت، وطالعت بهجة حضرة الحق، وأوردت عليها أنوار القدس، وارتفعت الحجب، فشاهدت كمال المبدأ الأول، الذي هو منبع الخيرات، وحفيظ المسرّات والبركات.

وكان ما ذكر في صدر الرسالة وربما يكون سبب المحبة اجتماعات مُتّفقة من بعض المواضع كما في الأسفار في الطرق والتنقل، فإنَّ الإنسان ألوف بالطبع، (ق81/أ) أنيس بالغريزة. ولهذا ندب الشرع إلى الاجتماع في العبادات والضيافات، وسنَّ الجماعة، وفضلها على الأفراد، وما أكثر في السنة الحثّ على الجماعة لقوله: «مَنْ فارق الجماعة قيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه»[1]. وقوله: «مَنْ سرَّهُ أن يسكن بحبحة الجنة فليلزم الجماعة»[2].

وتجب أن تكون أكبر المحبات في الإنسان محبة العبد الباري. ولا يكون حقيقته إلّا من العلماء الربّانيين دون غيرهم، إمّا موقوفة على المعرفة التّامة وإدراك فيضان الوجود والنعم المتواترة عنه. وإن صدرت عن غيرهم فهي خيالية لا أصل لها ولا تكون إلّا بعد محبة الباري إيّاه. محبة الباري. قال الله ، تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3].

ويتلوه محبة المُتعلم للمعلِّم؛ لأنّها تتشبه بالمحبة الأولى، من حيث أنّه مُكمِّل الذات وسبب البقاء وربّ النفس. ثمّ محبة الولد للوالد، وهي تتشبه بالثانية من حيث أن أصل وجود النفس والبدن من الله تعالى، وجعلهما سببين قريبين لوجودهما. فالمعلم ربٌّ روحاني، والأب ربٌّ جسماني، وبقدر فضيلة النفس على البدن، تكون فضيلة محبة (ق81ب) المعلم على فضل محبة المتعلم إيّاه، وعلى هذه النسبة المعلم للمتعلم والأب المولد. وكما ذكر في فضل محبة الوالد للولد على محبة الولد إيّاه، وقريب منهما محبة المحسن والمحسن إليه في التفاوت بين الجانبين. فإنَّ المحسن يحبُّ المحسن إليه لا لتوقّع نفع منه، بل كلُّ مَنْ يصدر عنه فعل جميل يحبُّ فعله، وخصوصا إذا كان فيه نصبٌ وشقة. فإذا ازداد حنين الأم على الولد على حفاوة الأب عليه وعلى المحسن إليه مصنوعة الجميل، ومربوبة المكدوح في ثنائه، ومحل يشاهد فيه فضيلته. وأمّا المحسن إليه فيحبه

[1] في: أحمد، المسند، حديث رقم (21022).
[2] في: أحمد، المسند، حديث رقم (111).
[3] اقتباس من سورة المائدة 55/5.

لأجل الإحسان لا لذاته. فمحبة المحسن أقوى وأشد كثيرا من محبته. وأيضا فإنَّ لذته فعلية، ولذة المحسن إليه انفعالية والفعلية أقوى. وإن كان إحسانه للرياء أو للذكر الجميل، فمحبته أيضا غرضية، وهو حينئذ ليس بمحسن بالحقيقة، بل معامل.

فأفضل المحبات وأولها في جانب الإفاضة محبة الباري للعبد، ثمّ المُعلم للمتعلِّم، ثمّ الأب للولد، ثمّ المحسن للمحسن إليه، وكذا في جانب الإستفاضة من الطرف الآخر. (ق82أ) ويجب على العادل معرفة مراتب المحبّات ليتمكن من القيام بالعدالة. فلا يؤثر محبة ما على محبة الله، فيلزم الشرك، واتخاذ الأنداد، ومحبة ما سوى الله على محبة المعلم ومحبة الكبراء والعظماء على الوالد، ومحبة بعض الأقرباء على التلميذ والولد ومحبة الغير على الصديق. وفي الجملة يجب أن يجعل محبته خيرية.

وأما أسباب العداوة، فمقابلاتها من الألم والضرر والشر والأوّل كمبغضة المجلود للجلاد، والثاني كمبغضة التاجر السارق، والثالث كمبغضة الشرير نفسه. فإنّه بسبب هيآت ظلمانية وكدورات جرمانية رسخت في نفسه، (تتنفر عنها وتتأذى بالشعور بها فينزع دائما إلى ما يشغله عن نفسه)[1] ويلهيه عن مشاهدتها من المنكرات والأباطيل والخرافات والأضاحيك. ولا يحبُّ إلّا مَنْ يغيبه عن ذاته ويبعده عن جوهره. وقد يحدث له أمراض صعبة كالحزن والحسد والحقد وغيرها من تجاذب قواه وتقابل دواعيها، فيسكّن أوجاعها بالمُلهِيات، والملذّات كالتخدير بالأفيون يقدح بحاله، ويخال سعادته وشفاه فيها، وهي في الحقيقة (ق82/ب) وباله وشقاه، تمدار شأنها ورسوخها، فإذا رجع قهراً إلى ذاته، وانقطع عن شهواته، تَعذَّب عذاباً أليماً. وذاق بلاء وبيلا. قال

[1] في ب: محذوف بمقدار اثنا عشر كلمة.

الله، تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[1].

وإذا كان مبغضا لذاته، فلا يكون مُحبا لغيره. إذ لا أحد أقرب إليه من ذاته. فيكون مبغضا لكل أحد مبغوضا منهم. قال الله، تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34)وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (35)وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ (11)وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (12)وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ (13)وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[3].

وأمّا الخير فحاله بالضد؛ لأنّه يحب ذاته ويبتهج بما فيها من الهيآت الروحانية الشريفة، والمعارف النورانية اللطيفة ويتمتع بها. فهو محبٌّ لذاته محبوب من غيره؛ لأن الشريف الجميل مرغوب معشوق ويفيض عنه الخير والإحسان دائمًا، بخلاف الإحسان الغرضي، فإنّه يحتاج إلى التربية إذ هو تطبعي لا طبعي. وإيّاها أراد من قال: "رُبّ الصنيعة أصعب من ابتدائها". ولمّا كان مُحبا لذاته، وكلّ (ق83/أ) محبوب محسن إليه، فهو يحسن إليها بما يناسبها من الحكم الإلهية والصور العقلية، ويقتدي بأفعاله تعالى، ويُجاهد فيه، فيهديه سبيله، حتّى إذا فارق الدنيا وخالط الملأ الأعلى، وقرُّوه وعظموه ورحَّبوه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب (23)سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[4].

[1] اقتباس من سورة ال عمران 30/3.
[2] سورة عبس 34/80-36.
[3] سورة المعارج 11/70-14.
[44] اقتباس من سورة الرعد 23/13-24.

الفصلُ الثّالث

في أقسام الاجتماعات

يجب على السائس الأعظم أن يعرف أنواع الاجتماعات؛ لأنّ كلّ اجتماع كشخص هو طبيبه. ولابدّ للطبيب من العلم بأحوال البدن ليتمكن من المعالجة. إذا أثبت هذا فنقول:

إنّ لكل اجتماع خاصيّة ليست في أحاده، فكذا اجتماع الناس. ولمّا كانت أفعالهم الإرادية تنقسم إلى خيرات وشرور، والاجتماع مُسبَّب عنها، فهو أيضا قسمان: مسبب عن الخيرات ويسمى المدينة الفاضلة، وصادرة عن الشر وتسمى المدينة الغير فاضلة. والأولى لا تكون إلّا واحدة؛ لأنّ طريق الحق واحد. والثانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ لأنَّ أجراها أي أشخاصها (83ب) إمّا أن لا يستعمل القوة النطقية أصلاً، أو تستعملها، وحينئذ إمّا أن تكون تلك القوة مغلوبة بقوة أخرى، أفعالها موجبة الاجتماع أو لا تكون بل مخطئة في فكرها مختارة لطريق فاسد بني عليه التّمدن. والأولى تسمى المدينة الجاهلة، والثانية الفاسقة، والثالثة الضّالة. وكل واحدة من هذه الثلاث تتشعب شعبًا كثيرة.

فعليه أن يعرف المدينة الفاضلة ويحافظ عليها فضيلتها، ويرد البواقي إليها ما أمكن، وهي اجتماع قوم لا يقصدون بأفعالهم إلّا اكتساب الخيرات، واجتناب الشرور، ولا بدَّ من اتفاقهم في الآراء بأن تتطابق عقائدهم في المبدأ والمعاد، وتطابق الحقّ والأفعال بأن يتوافق في اكتساب الكمال. وينطبق على قانون العدالة، بحيث تتحد أقوالهم وأعمالهم في التوجه إلى الكمال. ولما كان استعدادات الأشخاص مختلفة في الإدراك والتمييز لمصلحة النظام كما ذكر، ولم يتمكن كل أحد من الاطلاع على الحقائق، قام من بينهم مَنْ هو مخصوص

بالتأييد وفرط العناية (ق84/أ) من الله بهدايتهم وإرشادهم، وهو النبيّ والوليّ والحكيمّ المتألّه يعرج إلى جناب الحقّ، ويتوجّه إلى عالم القدس، ويدرك المبدأ والمعاد، وكيفية صدور الأشياء عن الأوّل، تعالى، ورجوعها إليه.

وكلّما أقبلت نفسه على عالمها وطالعت الأنوار والحقائق شايعتها القوى الجسمانية من: الوهم، والفكر، والخيال، والحس، ووافقتها بمحاكاة المعاني بصور مدركاتها، غير متعطلة في وقت ما، بل كل معنى أدركته النفس، ووردت عليها من عالم الغيب فصورته على اختلاف مرايتها بصورة من عالم الشهادة، والنسبة ما يناسبه من الغواشي، ولكنْ ألطف وأصفى مِمّا يكون في الحسّ، مع أنّ ذلك المعنى مُنزَّه عن تلك الصورة، مقدس عن شوب المادة، فيدعو الناس على اختلاف طبقاتهم إلى حقيقة الحقائق بتلك الصورة، لأنّ نفوسهم في القوة؛ لا ترتقي عن مرتبة قواه، فإن زاد في الكشف على ما في وسعهم من الإدراك لم يجيبوه. وإلى هذا المعنى أشار إمام أهل البيت جعفر (ق82/أ) الصّادق، عليه السلام، بقوله: "كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللّطائف، والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللّطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء"[1].

فأمّا من يليه في المرتبة، إذا عجز عن إدراك المعقول المحض، قنع بالصور الوهمية، وحكم بتلك الصور على تلك الحقائق، ونزَّهها عن مثلها الخيالية، وهم أصل الإيمان. والقاصر عن هذه الدرجة اكتفى بالخياليات، وهكذا إلى الحسيّات. ومثاله أن يدرك أحدنا حقيقة شيء، وآخر صورته، وآخر عكسه في المرآة والماء، وآخر مثاله المنقوش على الجدار. وكلّ منهم مصيب غير مقصّر إذ لا قُدرة له على الإحاطة بما فوقه و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]. والنبيّ يكلِّمُهم على قدر عقولهم، فلا جرم تارة جرم أن يكون كلامه

[1] في: المجلسي، بحار الأنوار، 103/89.
[2] اقتباس من سورة البقرة 286/1.

محكماً وأخرى متشابهاً، ومرة ينزه في التوحيد، وأخرى يشبّه، كما أنّ الحكيم تارة يستعمل البرهان، وأخرى يقتصر على الإقناع وينتهي إلى الخطابة والشعر.

وهم وإن كانوا مختلفين في الأوضاع الناشئة عن تلك الخيالات والمثل (ق82/ب) فهم مُتَّفقون في التّوجه إلى كمال واحد. وحالهم في اختلاف الملل والنحل كحال الأغذية المختلفة، والأدوية المتفاوتة المستعملة لغرض واحد. وإذا اقتدوا بالرئيس الأعظم، والقائم المحق، نظم أمرهم بإقامة كل في مقامه، وجمع شملهم بنصبه في مكانه، فجعل كل بعض رئيسا لبعض، مَرؤوسا لآخرين على حسب الاستحقاق إلى مَنْ لا يستحق الرئاسة، كحال أعضاء البدن، وكحال موجودات العالم في العلية والمعلوية، وارتفع التعاند والتشاجر بتلك الهيئة الوحدانية.

وإن فقد الرئيس غلبت القوة الغضبية، وظهر التحزب والعصبية، وتشعبوا فرقا متفرقة، وادعى كلّ متغلب رئاسة وتتبعه جماعة إلى الردى والهلاك. كما قال تعالى في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1]. فأهل المدينة الفاضلة، وإن كانوا متفرقين في بلاد شتى، فهم مجتمعين بحسب المحبة واتفاق العقيدة، كما قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: "المؤمنون كنفس واحدة[2]. ومُلوكهم يرعونهم (ق83/أ) ويتصرّفون في مصالح المعائش تصرُّفا كليا، وفي أوضاع النّواميس تصرُّفا جزئيا بحسب الوقت والحال. ولهذا قيل: "الدين والمُلك توأمان"[3]؛ لأنَّ الدين كالقاعدة، والمُلك كالركن.

[1] اقتباس من سورة هود، 98/11.
[2] لم أعثر له على مصدر فيما وصل له بحثي.
[3] في: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ج26/1.

فهم أيضًا وإن تكثَّروا بالعدد، واتحدوا في ضبط نظام الكلّ وتحصيل سعادة الجمهور، وكذا الأنبياء في الدعوة إلى الحقّ، واتفاق الكلمة في الأصل والأمر بالإعراض عن الهوى واتباع العقل. ولا يقدح اختلاف الفروع والشرائع في اتفاق الأصول والحقائق؛ لأنّهما مصالح يقتضيها الوقت والحال، وتغيرها القرون والعادات.

واعلم أنَّ كلّا منهم لو فرض مكان الآخر وفي زمانه لنهج مثل شريعته، وشرع طبق طريقته. كما نُقل عن عيسى، عليه السلام: "ماجئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها"[1]. فالملوك من تلك النفس بمنزلة الرأس، والأنبياء بمنزلة القلب.

وأما أركانها فخمس فرق:

الأولى: الفرقة المُدبّرة، وهم الكُمّل من المحققين العارفين بحقائق الأشياء، ويُسمون الأفاضل. (ق83/ب)

الثانية: ذوو الألسنة، وهم دُعاة القوم وهُداتهم إلى مقصد[2] الخواص كالفقهاء والوُعّاظ والخطباء والكُتّاب.

الثالثة: المُقدِّرة، وهم الّذين يُراعون المصالح، ويحفظون العدالة في المدينة كالأطبّاء والحُسّاب.

الرابعة: المُجاهدة، وهم الحامون للحمى عن المُتغلبة من أهل المدن الثلاث، الذَّابون عن الحريم بالشجاعة.

الخامسة: الجالبة للأرزاق، إما بالتجارة والصناعة، وإما بالجباية والحراثة.

وأما الرئاسة العظمى لهذه المدينة فعلى أربعة أنواع:

الأولى: رئاسة الحكمة، وهي رئاسة الملك المطلق إن وُجد. وعلاماته ثلاثة: الحكمة علماً وعملاً، وجُودة الإقناع والتخييل الموجبة للتّكميل، وقوة الجهاد.

---

[1] في: انجيل متّى، 5:17، لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.

[2] في ب: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر: "العوام" وبجانبها كلمة: "صح".

الثانية: رئاسة الأفاضل، وهي عند فقدان الملك، ووجدان خصاله في ثلاثة أنفس تحصل باجتماعهم، وتظاهر التدبير التام.

الثالثة: رئاسة السنة، وهي بوجود رئيس يطَّلع على سير الأسلاف، أي الملك المطلق والأفاضل وأوضاعهم، ويقتدى بسننهم وآدابهم، ويحفظ مراتبهم (ق84/أ) ويستخرج منها الصالح.

الرابعة: رئاسة أصحاب السنة، وهي عند فقدان هذا الرئيس أيضا، وإقدام جماعة مُتّفقة الآراء على اتباع أمر السلف وانفاذ حكمهم في المدينة.

وأما الرئاسات الّتي تحتها فتُعتبر من طبقات (الأصناف)[1] وتستحق بثلاثة أشياء:

1. بأن يكون فعل أحد الصِّنفين غاية لفعل الآخر، كصاحب الفروسية والرائض وكالطبيب والعطار.
2. أو يكون غايتهما واحداً لكن أحدهما علميّ كالمهندس والبنّاء.
3. أو يكون كلاهما متوجّها إلى غاية هي فعل لغيرهما لكن أحدهما أشرف كالدّباغ واللحّام.

بالنسبة إلى صاحب الفروسية، فيجب تقديم كلّ مُتقدم في كل صنعة وتسويدة.

ولا يخفى على صاحب العدالة ترتيب هذه الرئاسات. ويجب المنع عن الشروع في الصنائع المفرّقة لمناسبة كل طبيعة لصنعةٍ دون أخرى وتمرُّن الأوحديّ وأحكام صنعته بالمداومة. واختلال الصنعة بانقسام الهمّة المؤدّي إلى نقصان الجميع. وإمكان اشتراك صنعتين في وقت لا يمكن أو لا يحسن (ق84/ب) كلاهما بدونه، فإن كان أحدهم ذا صناعات كثيرة ووقف على الأشرف ومنع عن البواقي .

وأمّا المدن الثلاث الباقية، فالجاهلة منها تنقسم بحسب البساطة ستة أنواع:

[1] في ب: كتبت في الهامش الأيمن وأشير إلى موضعها في المتن.

الأولى: مدينة الضرورة، وهي اجتماع قوم يتعاونون على اكتساب ما لا بدَّ منه في قوام البدن من المأكول والملبوس بالوجوه المحمودة كالفلاحة مثلاً، أو المذمومة كالسّرقة، ورئيسهم مَنْ كان أقدر على تحصيل الكفاف، وتبليغهم إليه.

الثانية: مدينة النّذالة، وهي اجتماع طائفة يتعاضدون في اقتناء اليسار، وادِّخار الأموال والأرزاق والاستكثار منها، لا يصرفونها إلّا في الضروريات؛ لأن مقصودهم الثروة فقط. ورئيسهم مَنْ كان أتمّ في نيلها وضبطها.

الثالثة: مدينة الخسة، وهي اجتماع فرقة يتظاهرون على نيل اللذات الحسية، والتنعمات الطبيعية والإكثار من الأكل والشرب والإقدام على اللهو واللّعب، وهم عند أهل الجاهلية سعداء؛ لأنَّ غاية أمانيهم هذه الأحوال. ورئيسهم مَنْ يوصلهم إلى المرام أشد إيصالا من غيره.

الرابعة: مدينة الكرامة، وهي اجتماع (ق85/أ) زمرة يتناصرون على الكرامات القولية والفعلية؛ إمّا بالقياس إلى أهل المدن الأخرى، وإمّا بقياس بعضهم إلى بعض، إمّا على سبيل التساوي، كمَنْ يبذل كرامةً ليستعيض مثلها في وقت آخر، وعلى سبيل التفاضل كمَنْ يعطيها ليستبذل أضعافها، وذلك بحسب وضعهم وعادتهم. واستحقاق هذه الكرامة عندهم بأسباب خمسة: اليسار، ومساعدة أسباب اللهو والنفع بأحد هاذين الوجهين، والغلبة، والحسب. ورئيسهم مَنْ يفوقهم بهذه الوجوه أفرادا وجمعا، ويكون غرضه من النّفع حصول الكرامة والأحدوثة الجميلة، وهو شديد الاحتياج إلى المال، فيجلبه إمّا من قومه بالخراج أو مِمَّنْ يعاديهم بالتغلب. ويَخُص بعضها بنفسه ليزداد كرامة بسببه، ويُوقع هيبته في القلوب بكثرة الحجاب، ويُعظم قدره بأنواع التجمل والتزين، وتكثير الحواشي والخدم. وإذا تقرّر ملكه، ورسخت رئاسته رتَّب الناس على حسب اختلاف درجاتهم، وخصَّ كلَّ واحد بما يستحقه من الكرامة، فأقربهم (ق85/ب) منه مَنْ يسعى في إجلاله ويزيد من تعظيمه. وهذا الملك يُقرِّر

الملك بعده على أولاده، فهم الأحساب عندهم. وأشبه المدن الجاهلة بالمدينة الفاضلة هذه، وخاصة إذا بنوا أمر الرئاسة على تفاوت النَّفع. وإذا أفرط أهلها في الكرامة صاروا جبابرة، وخصوصا إذا انضم إليها القهر.

الخامسة: مدينة التّغلب، وهي اجتماع جماعة يُتعاونون على قهر الناس واستيلائهم، إمّا بسفك الدماء أو بنهب الأموال أو بالسرقة، ولذَّتهم في الغلبة على اختلاف أنواعها. إمّا بالمكر، والكيد، أو الجهر، والمكابرة. فربّما طفروا بالمال دون القهر، فأعرضوا عنه، وربّما قدروا على القهر عند عجز المقهور فلم يقتنعوا حتّى يمكّنوه من المقاومة، ثم حملوا عليه. ورئيسهم مَنْ كان تدبيره في باب المقاتلة، والغدر ودفع الخصم أصوب. وسيرتهم عداوة الناس لا يتفاخرون إلّا بشدة الغلبة وكثرتها. ويمكن أن يكون القاهر بالطبع فيهم واحدًا، أو طائفة والباقون يُطاوعونهم بالاضطرار من غير إرادة، ويُعاونونهم (ق86/أ) لأجل معاشهم. وبهذا الاعتبار يتوزَّع أمر هذه المدينة على ثلاثة أنواع، لأنّ القاهر بالطبع له الجميع أو البعض منهم أو الرئيس فحسب.

السادسة: مدينة الحرية، وتسمى مدينة الجماعة وهي اجتماع يستقل فيه كلّ واحد بنفسه، ويستبدُّ برأيه وكلُّهم أحرار متساوو الترتيب لا تفاضل بينهم إلّا بمزيد الحرية. ويفترق أهلها بحسب اختلاف الهمم والآراء فرقا كثيرة، لكل فرقة رئيس. لكن رؤساءهم مغلوبون بهم، مُنقادون لهم، فلا رئاسة فيها بالحقيقة، بل يتقدّمهم، من هو أبلغ حريّة يسعى في حريّتهم وحفظهم عن العدو، ويقتصر في معاشه على الكفاف. وهم وإن كانوا يُسوُّون بينهم وبين رؤسائهم في القدر، لكن يقابلون فعلتهم بالمال والكرامة. وربّما يكون في رؤسائهم من لا ينفعهم ولا يغني شيئا عنهم. وهم يخصّونه بالأموال والكرامات، إمّا لرئاسة إرثيّة أو جلالة يتوهّمونها فيه، ولفرط حرية. وهذه المدينة مرغوبة في إقامتها لإمكان وصول كلّ مَنْ فيها إلى غرضه. لا فرق فيها بين المقيم والغريب. (ق86/ب) فيتوجّه إليها من الأطراف طوائف الأمم، ويعظم سوادها في مدة قليلة، ويتولّد فيها مدن كثيرة متداخلة الأجزاء

ومتباينتها. وبمرور الزّمان، يحدث فيها الفضلاء والحكماء وأهل الكمال، بحيث يمكن أن يستخرج منهم[1] أجزاء المدينة الفاضلة كلّها. وكذا الفُسّاق والفجّار وأهل النّقصان بحيث يحصل منهم أجزاء المدن الجاهلة كلّها على أكثر ما يكون، وفي الجملة لا تكون مدينة أوسع منها وأكبر، ولا يتمكن الرئيس الفاضل من رئاستهم بل من إنشاء المدينة الفاضلة منها، ومن الضّرورية أسهل من غيرها.

وقد يتركّب أغراض هذه المدن بعضها مع بعض، فيحدث طرائق مختلفة ومدن متفاوتة. إذا وقفت على بسائطها عرفت البواقي. وأصحاب مدينة اللّذة حُرّاصٌ لا حمية فيهم. قد استخدمت القوّة الشّهوية فيهم العصبيّة والغضبية الناطقة، بعكس ما يجب أن يكون، وربّما استخدمتا جميعا النّاطقة فأمرهما معا يكون قويا كما في الأعراب.

وأمّا المدينة الفاسقة، فهي موافقة الفاضلة في الاعتقاد، مُحالفة لها في الأعمال. وتنقسم إلى أقسام: الجاهلة وإمّا الضالة. فأقسامها غير (ق87/أ) متناهية، إذ الاعتقادات الفاسدة والتصورات الباطلة بحسب المبدأ والمعاد والسعادات الشبيهة بالحقيقة غير محصورة .

وقد يتولّد في المدينة الفاضلة سائر المدن، وتسمى النوائب، وهن خمسة أصناف:

الأوّل: المراؤون، وهم مَنْ يفعل أفعال الأفاضل لا لغرض السعادة بل للذة والكرامة.

والثاني: المُحرِّفون، وهم الذين يميلون إلى أغراض الجاهلية، فيُؤوّلون قوانين أهل المدينة الفاضلة بما يوافق أهوائهم لئلّا يمنعهم عن بلوغ مرادهم.

[1] في الأصل: كتب مقابل هذه الكلمة على الهامش الأيسر عبارة: "أجزاء المدينة الفاضلة: الفساق والفجار وأهل النقصان وكذا بحسب (كلمة غير واضحة) فيهم". وبجانبها كلمة:" صح".

الثالث: البغاة وهم جماعة ترغب عن مطاوعة الملك الفاضل إلى ملك التَّغلُّب، فتفرُّ العوام عن متابعته وتخرجهم عن طاعته بفعل من أفعاله غير ملائم لطباع العوام.

الرابع: المارقون، وهم طائفة لا يقفون على أغراض الفضلاء؛ لسوء فهمهم، فيحملون قوانينهم على معان غير مطابقة للحقِّ من غير قصد التّحريف. فإن كان هذا الانحراف لمُجرد الاسترشاد من غير عناد يرجى رشادهم.

الخامس: المُغالطون، وهم قوم لا (ق87/ب) يقدرون على تصوّر المطالب، ولا يقفون على معرفة الحقائق، فيُموّهُون الكلام، ويُغرون به العوام باطلا في صورة حق. مُتحيرين غير مُقرّين بجهلهم محبة للكرامة وطلبا للرئاسة. وقد ينوب فيها نوائب شتّى غيرها، لكن استقراؤها يؤدي إلى الملال، ويخرج عن جدّ الاعتدال. فهذه أقسام المدن ورئاساتها.

ولنشرع في ذكر العاشرات الجزية بين الناس، مبتدئين بسير الملوك وبالله التوفيق والعصمة.

الفصل الرابع

في سياسة الملك

وهي على نوعين: أحدهما السياسة الفاضلة، أي الإمامة التي غايتها تكميل الخلق، ويلزمها نيل السعادة. والثاني السياسة الناقصة، أي التَّغلُّبية التي الغرض منها استعباد الخلق، ويلزمها نيل الشقاوة. والسائس الأوّل يتمسّك بالعدالة، ويسلك مع الرعايا طريق الصَّداقة، ويملأ المدينة بالخيرات التي هي: الأمن، والسكون، والعدل، والعفاف، والمودة، والوفاء، والتأني بالضد. (ق88/أ) والناس في كلتا الحالتين يتشبّهون به، ويدينون بدينه. كما قيل: "الناس على دين ملوكهم"[1].

وينبغي لطالب الملك أن يتسم بسبع خصال:

الأول: الأُبوّة؛ ليقع هيبته في القلوب.

الثاني: علو الهمة.

الثالث: متانة الرأي ويحصل بالفكر الدقيق والنظر الصحيح، والتجارب المرضية، واعتبار حال السلف.

والرابع: العزيمة التامة التي تسمى عزم الملوك وعزم الرجال أيضا ويحصّل من تركُّب الرأي الصحيح والثبات التام.

الخامس: الصبر على الشدائد، وملازمة الطلب.

[1] في: الفتني، تذكرة الموضوعات، حديث رقم (1454).

السادس: اليسار.

السابع: الأعمال المتفقة.

وهذه كلها ضرورية إلّا الأبوة ولا يحصل اليسار والأعوان إلّا بتوسط الأربع الباقية، ولا يظفر بالملك بعد التقدير إلّا رجلان طالب الدين وطالب النار، والمحقّ المحمود فعله هو الأول، ولا يستحقه إلّا العارف بمزاج العالم القادر على حفظ صحته ورد مرضه.

وأما الرئاسة التّغلُّبية أو المحاربة الهرجية. وأساس الدولة اتفاق آراء (ق88/ب) الجماعة واتحادهم في التعاون. وإذا غلبت طائفة، وكانت سيرتهم منتظمة بعدالة، ما ثبتت دولتهم طويلا، وإلّا لزالت سريعا لاختلاف الدواعي مع عدم ما يتحد بها. وأكثر الدول تزيدها وبقاؤها بثبات غرائم أصحابها وانحطاطها وزوالها بميلهم إلى الأموال والكرامات التي نالوها بمقتضى القوة والصولة، ورغبتهم فيها بحيث يؤدي إلى البخل والترفّه، حتّى اختاروا الراحة والعطلة، وضيعوا أوزار الحرب والمقاتلة، ونسوا ملكات الدفع والمقاومة، فانقلعوا بحدوث قاهر قهرهم، أو بظهور التجبُّر والتكبُّر فيما بينهم، بسبب كثرة الأموال والكرامات، فنازع بعضَ بعضا، وغالب قوم قوماً، إلى أن استؤصلوا عن آخرهم. وكما كان كل مَنْ قابلهم في مبدأ الدولة مقهورا، فالآن كلّ من ناقشهم يكون مظفراً منصوراً.

وحفظ الدولة بشيئين: تأليف الأولياء، وتفريق الأعداء. ولا بدّ للملك من النظر في مصالح الرعية ومُراعاة قانون العدالة، ولها ثلاث شرائط:

الأولى تعديل الأصناف بالتكافؤ، وهو يحصلُ (ق89/أ) بتعادلِ أربعةِ أصنافٍ، كاعتدال المزاج بتكافؤ العناصر الأربعة.

الصنف الأول: أرباب القلم كأهل العلوم والمعارف والفقهاء والقضاة، وأهل الطب والنجوم وغيرهم مِمَّنْ هو سبب قوام الدين والدنيا كالماء في العناصر.

الثاني: أصحاب السيف كأهل البأس والشجاعة من المجاهدين والمطوّعة، الذين هم سبب نظام العالم كالنار في الطبائع.

الثالث: أهل المعاملة كالتجار والصناع، الّذين هم سبب معيشة النوع كالهواء فيها.

الرابع: أهل المزارعة كالدهاقين[1] والفلاحة، الّذين هم سبب بقاء الأشخاص بترتيب الأقوات كالأرض في الطبائع.

وكما أنَّ غلبة بعض العناصر على البعض يؤدي إلى انحراف المزاج، وانحلال التركيب فغلبة أحد هذه الأصناف على البواقي يستلزم اختلال نظام الاجتماع، وانقلاع النوع. ومن كلام الحكماء: "فضيلة الفلاحين هو التعاون بالأعمال وفضيلة التجار هو التعاون بالأموال، وفضيلة الملوك هو التعاون بالآراء السياسية، وفضيلة الإلهيين هو التعاون (ق89/ب) بالحكم الإلهية، ثمّ هم جميعا يتعاونون على عمارة المدن بالخيرات والفضائل"[2].

الشرط الثاني: تعيين مراتبهم بحسب الاستعداد، وهم في استحقاقها على خمسة أقسام؛ لأنّ الناس كلهم ثلاث فرق أخيار بالطبع، وأشرار بالطبع، ومَنْ ليس بخير ولا شرير طبعا. قال الله، تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3].

[1] الدّهاق: التاجر. زعيم الفلاحين.
[2] لم أعثر له على مصدر فيما وصل له بحثي.
[3] اقتباس من سورة فاطر، 32/35.

والقسم الأول: ينقسم إلى مَنْ يتعدّى خيره إلى الناس، وهم لباب الخلق وخلاصتهم، فيجب على الملك أن يبالغ في تعظيمهم، ويجعلهم أقرب الناس إليه، وتحكيمهم على الجمهور، وإلى مَنْ لا يتعدى خيره إلى الناس، فيعززهم ويكفي مؤنهم.

والقسم الثاني: أيضا ينقسم إلى مَنْ يتعدّى شره إلى الغير، وهم أخسُّ الناس، وأرذلهم وأضداد الرئيس الأعظم بالطبيعة. كما أن الطائفة الأولى أشباههم بالغريزة، فالتنافي بينهما ذاتي، ولهم مراتب كثيرة. فمَنْ رجي صلاحه من جملتهم قوم بالزّجر والتأديب ومنع عن الشر والتخريب. ومَنْ لم يرج خيرته فإن لم يعم شره دوري في منعه،وزجره، وإن عمَّ (ق90/أ) أزيل شره بالحبس، ثمّ بالقيد، ثمّ بالنفي عن المدينة، وإن أفرط شره صادرا عنه بالفعل قطع من أعضائه ما هو آلة للشر. وأمّا القتل فمختلف في جوازه، والأظهر المنع إلّا بطريق القصاص؛ لأنّه تجاسر على الله في تخريب بنيانه. وإلى مَنْ لا يتعدى شره إلى الغير، فيحقرهم ويذلهم ويؤاخذهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمواعظ والنصائح والوعد المرعب، والوعيد المرهب، فإنْ مالوا إلى الخير والصلاح وإلّا بقوا في الهوان والصغار.

وأما القسم الثالث، فيجب إيمانهم عن الرحمان، وتحريضهم على الخيرات؛ لينالوا الكمال بقدر الاستعداد. والقاعدة الكلية في إصلاح الشخص النظر في مصلحة الكل بالقصد الأوّل، ثمّ في مصلحته بالقصد الثاني، كالطبيب في إصلاح العضو.

الشرط الثالث، التسوية بينهم في تقسيم الخيرات المشتركة كالأموال والكرامات وغيرهما عليهم بحسب الاستحقاق والاستعداد. فإنَّ كلّ شخص يستحق قسطا منها، فإذا يزيد في حقّه كان جورًا على أهل (ق90/ب) المدينة وإذا نقص عنه كان جورا عليه. ثمّ محافظة تلك الخيرات عليهم بمنع المتغلبين عنهم لئلا يخرج عن ملكتهم. وإن أخرجت بالغصب والسرقة عن يد بعضهم وأخرجت بالإرادة كالبيع والهبة يعوضه على وجه لا يضر بالمدينة.

ويُمنع الجور بالعقوبة مقدّرة على مقداره وإلّا لكان جورا عليه إن زاد وعلى المظلوم والمدينة إن نقص. قال الله، تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[1].

فهذه شرائط العدالة. ثمّ ليلازم الإحسان في حقّهم بإيصال ما يمكن من الخيرات الزائدة على الواجب إلى مستحقيه مقرونا بالهيبة؛ ليبقى البهاء، وإلّا لبطروا وصاروا حراصا طامعين لا يرضون عنه ببذل الملك كله. وليكلفهم التزام القوانين الحكمية، وتقلّد الأمور الشرعية، فإنّه كما يتقوَّم البدن بالطبيعة والطبيعة بالنفس، والنفس بالعقل تتقوَّم المدن بالملك، والملك بالسياسة، والسياسة بالحكمة والشرع. وإذا أهملت الحكمة خذل الشرع، وذهب بها الملك واندرست المروءة، وزالت النعمة.

ويجب أن لا يحجب أصحاب الحوائج (ق91/أ) عن نفسه ولا يصغي إلى سعاية الساعين بلا بيّنة، ويترك الخلق بين الرجاء والخوف، ويبالغ في حفظ الثغور وأمن الطرق، ولا يقصّر في إكرام أهل النّجدة والشجاعة. وعليه بمجالسة أولي الرأي والفضل والتّحقيق والعقل، ومُداومة التفكر في التدبير وترك اللّذات الخاصّة به، وإلّا لوقع الخلل في النظام، وترخّصت العامّة في الشهوات، وتنازعت أهوائهم، فيحدث الهرج، وترتفع الأوضاع الإلهية، وتنحسم مادة الخير عنهم، ويشتدُّ الافتقار إلى الملك العادل، والإمام المحق لاستئناف التدبير.

وإيّاه وأن يهجس في خاطره أنّه ملك رقاب الناس، ونفذ تصرفه فيهم، فيجب أن يكون أنعم حالا وأفرغ بالا، وأطيب لذة، وأكثر راحة منهم؛ فإنّه أقوى أسباب الفساد، وإرداء آفات البلاد. بل سبيله أن ينقص من أوقات الراحة والطرب، ويزيد في ساعات الفكر والتعب. بل يهاجر الأمور اللهوية الضرورية أكثرها، ويفارق

[1] اقتباس من سورة الشورى، 40/42.

أسباب الدّعة أهمّها كالنوم وغيره إلى تدبير الملك (ق91/ب) واستعمال الرأي. وينبغي أن يجتهد في كتمان أسراره عن ضعاف العقول بأن لا يشاور إلّا ذوي العقل والنبل، وأولي الهمّة وعزة النفس ليقدر على إجالة الرأي، ويأمن المناقضة، ولا يطلع العدو على تدبيره، وإذا صمم عزمه، فليخلط الأفعال الّتي يقتضيها هذا الرأي بنقائضها. ولا يميل إلى أحد الطرفين بالكلية، فيكون طريقا إلى استنباط فكره.

وليعين العيون والجواسيس لاستكشاف أحوال العدو، واستخراج آرائهم عن أفعالهم، فإنّه أعظم أبواب الحزم، وأنفع أسباب الظفر لاستعمالها في وقت الحاجة والاحتراز عنها وقت الاحتياط. وطريق استخراج آراء الملوك هو النّظر في أحوالهم من أعداد الأهبة، وتغيير الأمور المعتادة فيما بينهم كجمع المفترقات وتفريق المجتمعات، وتغييب الحاضرين، وإحضار الغائبين، والإمساك عن بعض ما يقدمون عليه، والتيقظ الزائد على ما كان معهودا منهم، واستعلام الأخبار عن خواصهم، ومَنْ يداخلهم (ق92/أ) خصوصا ضعاف العقول كالصبيان، والمُحادثة مع أخلاط الناس. باب عظيم في استشفاء الأسرار؛ فإنَّ لكل أحد صديقا يستودعه الأسرار، ويتعدّى بطريق العنعنة إلى الضمائر، فيمكن الاستدلال من مكنوناتها على حقيقة الأمر. وما لم تتوافق الأدلة وتتواتر الأمارات لا يطمئن إلى أحد الطرفين. وألّا لخرج عن الحزم، ويجب أن يبالغ في استمالة الأعداء، وطلب الموافقة بما لم يحملوا على العجز ويحتال في رفع المحاربة، بكل ما تيسّر له، ويجعلها آخر التدابير كلها، ولا يميل إليها إلّا عند الاضطرار. فإن اضطر فإما أن يكون هلّيلا أو دافعا. فإن كان الأول، فليكن غرضه طلب الخير المحض، واستقامة الدين الحق ليس إلّا، ولا يقدم عليها إلّا بعد الوثوق بالظفر، وإلّا لكان مخاطرة بالرجال والالآت.

ولا يشرع فيها إلّا مع جماعة اتفقت كلمتهم وإلّا لكانوا عليه لا له، وليحترز عن القتال بنفسه. قال أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام، حين استشاره عمر في خروجه (ق92/ب) إلى قتال الفرس بنفسه كلامًا هذا

بعضه: "مكان القيّمُ بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعَهُ ويضمَهُ، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبدا. إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك يقولوا هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك"[1].

وليجعل أمير جيشه وقائد عسكره مَنْ يتصف بثلاث خصال: الشجاعة والمعتبر شهرته بها، وشمول هيبته لإلقاء الرعب في القلوب، والرأي الصائب ليتمكن من استعمال الخدع والحيل، وأن يكون مقداما على الحروب، صاحب تجارب كثيرة فيها ليقدر على استئصال الأعداء، وتفريق شملهم، واستعمال المكر والحيل كالمكتوبات المزورة وغيرها مِمّا يفرّق كلمة الأعداء جائز دون الغدر لبعده عن المروءة.

وأهم الأشياء نصب الطلائع، والتيقظ الشديد في الوقائع. وأمّا عند المقاتلة فليعبئ العسكر تعبئة يقيم كل أحد فيها بمقامٍ لا يصلح إلّا به. ولا يتّخذ الحصار والخندق (ق93/أ) إلّا عند الاضطرار. فإنّه يجسر العدو. وليبالغ في إكرام مَنْ أقدم على مخاطرة، وتصدى بشجاعة، ومُبارزة بالصلة والمدح والعطاء والثناء تحريضا للشجعان على الحرب، وتنشيطا لهم، وليلازم الثبات والصبر. ويجانب الطيش والتهور ولا يستهين بأمر العدو، وإن كان حقيرا. وليتذكر قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[2].

وإذا قدر على الأسر فلا يأمر بالقتل. فإنَّ فيه فوائد مثل: الرهينة، والسبي، والفداء، والمَن. وإذا ظفر فلا يستنم[3]، ويترك الحزم لكن ليحذر بعده سوء العداوة والقتل. فإنَّ الأعداء حينئذ بمنزلة الرعايا، وإن كان دافعا.

[1] في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 95/9.
[2] اقتباس من سورة البقرة، 249/2.
[3] تسنَّم البعيرَ: ركِب سَنامَه، تسنَّم ذروةَ المعالي: علاها وارتقاها.

فإن قدر على المقاومة احتال في التبييت والمفاجأة على الخصم، فإن مَنْ أوتى في قعر داره غلب، وإلّا فليبادر إلى تدبير الحصون والخنادق في طلب المصالحة ببذل الأموال، وأصناف الحيل والألطاف.

الفصلُ الخامس

في سياسة الخدم وآداب الاتباع

إنّه يجب على مَنْ عاشر الملوك بذل الوسع في النصح (ق 96/أ) سراً وجهراً، وإفشاء محاسنهم وإخفاء معايبهم، والمبالغة في التوقير والتعظيم، ومحافظة الهيبة، والحشمة عليهم في الغاية، وامتثال الأوامر والنواهي بقدر الطاقة. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ فارق الجماعة واستدل الإمارة لقيَ الله لا وجه له عنده»[1]. وإن كان مِمَّنْ يتوجّه عليه حقّ من الخراج وغيره، فليودّه طلقا واسع الصدر. ولا يتعسَّرن على الرعية بذل النفس والمال عند النوائب محافظة للدين، والأهل، والمدينة، ومرضاة للرب، وطلبا للسكينة. ومَنْ لم يتسم بخدمة الملوك فليحذر عن تقربهم؛ فإنّ لصحبتهم غوائل كثيرة وشبهت بدخول النار تارة والبحر أخرى.

أصاحِ اتَّقِ السُّلطانَ لا تَقرَبَنّه ... فما هو إلّا في الحقيقةِ نارُ شعر[2]:

[البحر الطويل].

وما السّلطانُ إلّا البحر قُربًا ... وقُربُ البحرِ مَحذورُ العواقبِ شعر[3]:

[البحر الوافر].

[1] في: أحمد، المسند، حديث رقم (22674).
[2] لم أعثر على شاعر الأبيات فيما وصل له بحثي.
[3] لم أعثر على شاعر الأبيات فيما وصل له بحثي.

وأمّا مَنْ اتفق له، فليوطّن نفسه على الهوان والذلة، وليلازم ما فوض إليه من الأمور مواظبا على ما أمر به والتزامه، وليجعل نفسه بحيث كلّما طلبه المخدوم وجده مُتوسطا في الملازمة المملة والمجانبة (ق96/ب) المحلة. وينبغي أن يكون كثير المدح لما صدر عنه على وجه الصواب، طالبا لجهات وجوه حسن أفعاله؛ فإنّه لا فعل في الدنيا إلّا وله جهتان حسنة وقبيحة. فليستخرج جهة الحسن مدحه بها.

وإن كان مِمَّنْ يُدبّر أمره المخدوم، ويجب عليه تعريف صلاح أموره كالوزير والمشير والمعلم، فليعلم أنَّ رأي السلطان كسيل يجري من أعلى الجبل لا يمكن تصريفه من جهة إلى أخرى إلّا بالتدريج. فيجب أن يتلطّف في صرف ما يتجه له من الآراء الفاسدة إلى الصواب بأنواع الحيل والحكايات، وأمثال السلف في أوقات الخلوات والتنبيه على سوء عاقبة ما يتأدى إليه رأيه، وتقبيح صورته، وتزيين نقيضه إليه ليحصل له بالتدريج ما لا يتهيأ بطريق الأمر والنهي فلا يسلكها. وعليه بالاحتياط في كتمان أسراره بأن يخفي أحواله الظاهرة حتّى يتعوّد الإخفاء، فيسهل عليه حفظ الأسرار، ويعتمد عليه المخدوم عند الوقوف على حاله، فلا يتّهمه عند فشو أسراره. فإنَّ أسرارهم كثيرة الانتشار بسبب توفير الدواعي على نقلها. (ق97/أ) وإمكان الاستدلال من الأحوال الظاهرة عليها لاتصال الخلايا بالخفايا. وحينئذ يقع كل موثوق به في التهمة، ويظن به ظن السوء. وفلا يبحث عمّا لا يطلعه عليه، وليحذر أن يخيل له خرما بوجه وإن كان منبسطا معه، فإن وقع فعل قبيح دار قبحه بينهما احتال في صرف ذلك القبح إلى نفسه وتبرئة ذمة المخدوم عنه. فإذا برئت، فكّر فيما يبرئ به نفسه. أيضا من الأسباب الخارجية الموضحة عذره فيه، وليؤثره على نفسه في كل ما يحبه ونفسه عليه فيما يكرهه. إذ لا شيء أنفع في العبودية من ترك الحظ.

فعلى هذا لو وقعت بينهما تجارة له فيها نفع، فليتجاوز عنه مستخلصا حظ السيد. وليتلطّف في جذب المنافع عنه مُحترزا عن السؤال، والإلحاح مختارا القناعة، تاركا الطَّمع والحرص. فإنَّ الدنيا كالظل؛ تقبل على

مَنْ عرض عنه، فيتبعه ويبعد عَمَّنْ قصده فيحذره. وليستنفع من المخدوم لا منه أي يجب أن يستحصل منه أسباب النّفع كاطلاق اليد فيما يوجب اقتناء المنافع، واكتساب الفوائد (ق97/ب) ليعز عنده لا النفع نفسه فيمل عنه. وليظهر أنّ كل ما ملكت يمينه للسيد مبذولة له بأدنى إشارة منه لئلا يطمع في ماله؛ فإن الممنوع محروص عليه، والمبذول مَملول منه. وليجعل الغرض من ماله وجاهة زينة المخدوم لا تجمّل نفسه مرؤة واستبقاء. ولا يتّخذ شيئا يليق بالمخدوم وبمَنْ في مرتبته من الرؤساء. وإلّا لوقع في معرض الخسار والهلاك. وليتوقَّ عمّا يسخط مولاه ساكنا عند غضبه عن تمهيد العذر والثناء عليه، ريثما سكنت فورة غضبه، وطفيت نار لهبه، ثمّ ليتلطف فيما يوضح عذره، ويستعطف قلبه. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «إذا استشاط السلطان (تسلط الشيطان)[1]. وإن عتب عليه فلا يمسك عنه البتة، ولا يستبطن البغض والحقد، بل ليحيل فيما يرضيه ويعتبه"[2].

وإن ابتلي بخدمة ظالم، فليتيقن أنّه وقع بين خطبين فظيعين. إمّا أن يكون له على الرعية فيخسر دينه ومرؤته، أو يكون لهم عليه فيضيع نفسه ودنياه. فليطلب الخلاص إمّا بالمفارقة الكلّية أو بالمداراة (ق98/أ) والرفق حتّى يُنجيه الله تعالى.

وفي الجملة يجب أن يعلم أنَّ السلطان نسّاءٌ للحقوق المنقطعة، مقطوع الرحم عن كل أحد. فلا يقرر عليه حقّ خدمته بل يجدد الطاعة بحيث يذكر آخرها أولها. ولا يغتر بتقربه منه بل كلما زاد الملك تقريبا، فليزد هو تعظيما. وإذا صار ذلك نزلة عنده، فليقطع الدعوات المتواترة، والتضرّعات المتتابعة؛ لأنّها علامة الوحشة، إلّا في الجماعة فإن التقصير فيها مضر.

[1] في ب: كتبت في الهامش الأيسر رأسيا من أسفل إلى أعلى عبارة: "تسلط الشيطان"، وبجانبه كلمة: "صح". وأشير إلى موضعها في المتن. في: أحمد، المسند، حديث رقم (17628).
[2] لم أعثر للحديث مصدر وفقا لما وصل له بحثي.

ولا شيء في الخدمة أصعب من الوزارة؛ فإنّه يغبطه بمكانه، ويكون حساده أولياء السلطان، يُعاشرونه في الخلوات طامعين في منصبه، منتهزي الفرص لوقعه وحطّه عن محلّه. فليتوق عن مكائدهم بالاستقامة في أمره سرا وجهرا. وإن وقف على سعاية ساع أو مَكْر ماكر، فليظهر أنّه غير مبال به، مُتجلدا متجسرا لا يغضب عليه بحضرة السلطان لئلا يتأكد تقريره. وإن حدث فيما بينهما جدال وشجار، فليحاجهم بالوقار والحلم؛ فإن الظفر (ق98/ب) للحليم. وإذا كلّمه السلطان فليقبل عليه بجوامعه.

وإيّاه ومشارة الغير بحضرته، فإنَّ كل من يشار عنده فيما لم يشعر به غضب لا سيما السلطان. وإن سأل غيره فلا يسرع في الجواب، لأنّه يدل على خصته واستخفافها. وإن أعزّه الملك، فلا يترفّع على مَنْ قدمت خدمته (وطالت عبوديته له، فإن ذلك من أخلاق السفهاء. وكيف يترفع على من ربّما يكون بينه وبين الملك حكم)[1] قديم أو سر أو غير ذلك ممّا لا يمكن تضييعه من الوسائل، فيتوافقان على دفعه ويتصالحان على قلعه.

وليعلم أنَّ لكل امرئٍ، ملكا أو مملوكا، أليفا يؤانسه لمناسبة روحانية، ومشاكلة جوهرية بينهما. وإن كان في الظاهر بين مرتبتهما بون بعيد، فليتفقد أليف مخدومه مكرماً له غاية الإكرام. وإن ارتأى ما يكرهه فليوافقه، ولا يطمع في مساعدته إيّاه، فإنّه السلطان لا هو.

[1] في ب: محذوف بمقدار خمسة عشر كلمة.

الفصلُ السّادس

في فضيلة الصداقة وكيفية معاشرة الأصدقاء

قد تقرّر أنّ الإنسان يحتاج في كماله (ق99/أ) بل بقائه إلى الغير، وكلّ مَنْ كان كذلك لا يسعد بذاته بل بغيره. وذلك الغير لم يكن بينه وبينه مداخلة قوية، لم يمكن من الاستكمال به. فوجب أن يكون بينهما مخالطة ذوقية ومعاشرة شوقية. وتلك لا تكون إلّا بمناسبة ذاتية. والمناسبة الذاتية تقتضي الصداقة. فلا يسعد الإنسان إلّا بها. فأسعد الناس مَنْ كان أقدر على اكتساب الإخوان، وأنفذ للوسع في اتحاد الخلان، مشتركا لهم فيما يتعلق به من الخيرات، بل مؤثرا لهم فيها على نفسه. ليستسعد بهم ويستكمل بمعونتهم، ويلتذ في حياته بلقائهم، ويتمتع ببقائهم دينا ودنيا، فإن اللّذة هي إدراك الملائم.

وليكن سبب صداقتهم الخير المحض والحق الصرف والتذاذه بهم التذاذاً حقيقياً إلهياً لا طبيعياً حيوانياً. ولعمري إنّ وجود هذه الأشخاص أعز من مخ البعوض لشرفهم وعزة الشريف، ليقتصر في اقتنائهم على القليل.

وأيضا قد مرّ أنّ المحبة المفرطة لا تقع إلّا بين اثنين. فالصديق الحقيقي لا يتكثّر بالعدد، بل الاكتفاء بواحد أولى لاستلزام (ق99/ب) الاستكثار منهم إهمال حقوق البعض عند طريان الأحوال المتضادة، أو المتماثلة عليهم في زمان واحد، بحيث توجب موافقة أحدهم مخالفة الآخرين، ويقتضي السعي في فهم البعض التقاعد عن مصلحة الباقين. لكن الخَيِّر يُعامل معارفه معاملة الأصدقاء من حسن العشرة وكرم اللقاء، وإن كان بلا استحقاق لاقتضاء الخيرية طلب الصداقة الحقيقية من كلّ أحد.

واعلم أنّ الإنسان لا يستغني في حالتي البؤس والرخاء عن الصديق ليواسيه في الأولى، ويعاونه في الثانية ويؤانسه فيهما. وكما أنّ الفقير يحتاج إلى صداقة مَنْ يُحسن إليه، فالغني يحتاج إلى مَنْ يستحق الصنيع ليصنع عنده. وأشد الناس افتقارا إليه الملوك؛ لأنّهم يحتاجون في تعرّف أحوال الرعايا والنظر في مصالحهم الكلية والجزئية إلى فضل تيقظ واحتياط لا يكفي فيه مشاعرهم، فيحتاج أحدهم إلى مشاعر جمّة من نفسه وهي لا تحصل إلّا اذا اتحدت نفسه بذات صديق صدوق، وشقيق شفيق يكون معاشره ((ق100/أ) فيجعل به الغائب شاهداً والقاصي دانياً.

وهذه الفضيلة وإن كانت مفطورة في الإنسان، بحيث تبعثهم على الاجتماع في كل أمر، حتى مجرد العشرة (والمداعبة)[1] والملاعبة. لكن ليلقن الأحداث شرفها، وعلو أمرها، وفخامة شأنها، وليقرر حسن صورتها في خواطرهم، وليصور عظم منفعتها في أذهانهم، فإنَّ لازمها خير وكمال، والحياة مع عدمها محال، والعيش على مَنْ حاز الدنيا بأجمعها وفاتها وبال. ولقد حقر قدر مَنْ استحقرها، وأخطأ كل مَنْ استيسر أمرها. هيهات لا (ظن)[2] بل لا شيء أصعب من اقتناء الأصدقاء الحقيقية، واصطفاء الإخوان اليقينية، فإنَّ سهولة تحصيل الشيء وعسره يكون (بقدر)[3] بعد علو شأنه، ودناءة ونفاسة قدره وخساسته. ولا شيء أنفس وأعظم قدرا من الصداقة التامة، والمحبة البالغة. وكل ما يُعدُّ خطيرا ومرغوبا من بلاد الدنيا ومشتهياتها يُستكره عند فقد المحبوب، ويُستنكر مع فراق المعشوق. فلا يوازن شيء من متاع الدنيا وطيباتها لذة (ق100/ب) ساعة من مُلاقاة حبيب يوافقك ظاهرا وباطنا. ولا يعارض نعيم من منافع الدارين راحة لحظة من مُضافاة خليل يُساعدك عاجلا وآجلا. وأي مطلب يشمل الطلبتين ويجمع الاثرتين إلّا الصّديق الصفي. وأي مقصد يفي بالسّعادتين

[1] في ب: كتبت في الهامش الأيسر كلمة: "والمداعبة"، وبجانبها كلمة:" صح". وأشير إلى موقعها في المتن.
[2] في ب: كتبت على الهامش الأيسر بعد حرف لا: كلمة:" ظن "، وبجانبها كلمة:"صح".
[3] في ب: كتبت هذه الكلمة في الهامش الأيسر، وبجانبها كتلت كلمة:"صح"، وأشير إلى مكانها في المتن.

ويوجب الراحتين، إلّا الرفيق الحفيّ، فطوبى لمَنْ ظفر به، وتجلّى عن ملك العالم. وحبّذا من أنضم إليه، وتفرّد عمّا يُعادي ويُسالم.

وأمّا كيفية اكتساب الصّديق فما يجب أن يعلم كي لا يستسمن ذو ورم، فإن الإنسان كثيرا يتكلف ما لا ليس فيه، (ويتطبّع)[1] بما ليس في طباعه.

وقد يتزيّا بالهوى غيرُ أهله ويَستصحبُ الإنسان مَنْ لا يُلائمه شعر[2]:

[البحر الطويل].

ومَنْ طلب هذه الفضيلة بلا تمييز صحيح كان كمَنْ جهل بطبائع الأدوية، وأراد الانتفاع منها فاستشفى تارة بما هو سُم عند تناوله، واسْتَحلى أخرى ببصره ما هو مرٌّ في مذاقه، فوقع في المذاقة فوقع الهلاك والندامة. فلا يغتر بمَنْ يتصنّع ليصطاد الناس، ولا يفتين بمَنْ يتملّق ليفترس (ق101/أ) الآساد. فربَّ شرير جعل حلية الأخيار حبالة مكيدته، وشرك حيلته، ليجعل خير الناس من أكيلته.

وطريق مَنْ أراد اتخاذ صديق؛ أن يتعرَّف أولًا معاملته مع أبويه، ثمّ مع أقرانه وعشيرته. فإن كان عاقًا فليحترز منه؛ لأنّ مَنْ ركب العقوق لا يراعي الحقوق. ثمّ يتفحّص عن معاشرته مع الأصدقاء السابقين، ويمتحن سيرته في شكر النعم وكفراتها لا بالمكافأة لإمكان عجزه عنها بل بالذكر والنية، فإنَّ الشكر من أفضل صفات السُّعداء، والكفران من أرذل خصال الأشقياء. ولا آفة أضرُّ بنعمة الصداقة من الكفران، ولا شيء أنفع لها من التكريم.

[1] في ب: كتبت على الهامش الأيمن وبجانبها كلمة:" صح" ، وأشير إلى مكانها في المتن.
[2] في: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص188. لم أعثر على البيت في ديوانه فيما وصل له بحثي.

ثمّ يعتبر ميله إلى اللّذات والشهوات، وحرصه على جمع المال والمقتنيات، فإنَّ الشهوانيّ (بتلوَّن)[1] أحواله، فلا يتمكن من تخليص حظوظ الأصدقاء. والحريص يتخلّف بنهمته على مدخره عن مراعاة حقوق الأصفياء. وربَّ جماعة بلغت الغاية القصوى في التظاهر و(التظافر)[2] وفرعت الذروة العلياء في التناصح، إذا انتهت (ق101/ب) معاملتهم إلى الحجرين المعلومين، تهارشوا متعاندين وتناوشوا متعادين.

ثمّ يختبر حبه للرئاسة والتفوق؛ فإنّه يوجب استخفاف الأصدقاء. وعدم الانصاف في معاشرة الأودّاء. ثمّ ينظر في شغفه إلى الملاهي والملاعب؛ فإنّه يوجب قلّة احتمال المشاق والمتاعب في موافقة الأصحاب، ومساعدتهم في النوائب. فإن وجده بريّاً عن هذه المثالب منزّها عن هذه المعائب، فليغتنم صداقته فإنّه الصديق الفاضل. وقيل: "لا فخر إلّا بالصديق الفاضل"[3]. وليحترز عن تتبع حقائر عيوب الإخوان، وتفحُّص صغائر لا يمكن سلبها عن الإنسان، وإلّا لم يجد في الناس صديقا حميدا، وبقي مدة عمره فريدا وحيدا. بل عليه بتأمل عيوب نفسه، والإغضاء عن مثلها في غيره. ولمّا حصل الصديق فليبالغ في مُراعاة حقوقه، كثيرها وقليلها، مهتمًّا بمهماته، مُوافقا له في السراء والضراء، عونا في اللأواء أنيسا في النعماء، غير مقتصد على المحبة القلبية والجفاوة (ق102/أ) النفسية.

إنْ كان وُدُّك في الطَّويةِ كامنا فاطلبْ صديقا عالما بالغيبِ شعر[4]:

بل مطلعا إياه على حفيه حبّه، وحقيقة صدقه بإظهار الطلاقة، والبشاشة بطلعته، وإبداء الابتهاج والارتياح بلقيته، ليثق بمودته، ويعتمد على محبته، فيزداد كّل يوم سكينته، وتتأكد كل لحظة طمانينته (صدقا)[5].

---

[1] في ب: كتبت على الهامش الأيسر يتلون صح، وأشير إلى مكانها في المتن.
[2] في ب: كتبت على الهامش الأسفل التظاهر صح، وأشير إلى موضعها في المتن.
[3] لم أعثر على مصدر هذا القول فيما وصل له بحثي.
[4] البيت لجعفر بن ورقاء. ينظر في: الثعالبي، خاص الخاص، ص165. جعفر بن ورقاء هو من أعيان الشيعة، ولد في سامراء في 292هـ وتوفي في سنة 352 هـ. كان فاضلا أديبا مصنفا وكان أمير بني شيبان وله مع سيف الدولة مكاتبات.
[5] في ب: كتبت على الهامش الأيسر ، وبجانبها كلمة:"صح". وأشير إلى مكانها في المتن.

اذاً الاستدلال بالبشر والرواء عند لقاء الأصدقاء على المحبة الحقيقية في غاية السهولة. ويجب أن يستفرغ جهده في هذه الخصال. وكذا في التحية والثناء عليه حضورا وغيبة لا مسرفا فيدان بالملق ولا متكلفا فيشعر بالنفاق. ويستنفذ وُسعه في ملازمة هذه السيرة؛ فإنّ الصديق هو باب محبة الناس. ومبدأ اتصاله بهم يدل معارفه ونظائره عليه بوصفه لهم وكل مَنْ عرفه بحسن العشرة وكرم الخليقة، وصفه لأشباهه وأمثاله وهكذا إلى أن يستجلب حسن شمائله مع الصديق محبة الغرباء (ق102/ب) والبعداء. كما يحرم اختصاصه بنعمه في السراء من المطعم والملبس، والمنزل، والرتبة كالرئاسة والسيادة، بل تجب المقاسمة في كلّ ماله على التساوي بلا مَنّ أو رُجحان في طرفه. فكذلك يحرم انفراد الصديق بنقمة في الضراء من المصائب والشدائد، ويجب المشاركة في جميع ما وقع به؛ فإنّ المساواة في الضراء أدل على الصداقة منها في السّراء. كما قال الشاعر[1]:

دعوى الإخاء على الرّخاء كثيرة بل في الشّدائد تُعرفُ الإخوانُ [البحر الكامل]

وإيّاه أن ينتظر في الحالتين التماسه، واستدعاؤه تصريحا أو تعريضا. وإن أنس قصور أنس أو صدور وحشية من بعض الأحبة، فليزدد في مداخلته ومصافاته؛ لأنّه إن قصَّر لغيره، أو استشعار ذلةٍ انقطعت حبال المودة، وانتقضت عهودها. وعند نفاذ تلك الحالة تحدث خجالته، وتظهر خيانته فيرغب عنه الأحباب. فالأحرى أن يُبادرعلى التلاقي، ويدفع أثرها بحسن التلاقي، (ق103/أ) ويُطلع صاحبه على سبب تلك الوحشة، ومُوجب تلك النزعة ليرتفع الغل عن الصدر ببركة الصدق، فإنّ لسلوك طريق الصدق في كل باب سيما في الصداقة يمنا وأي يمن. ثمّ إن كان الجُرم منه فلينصف من نفسه، وإن كان من الصديق فليعاتبه بالملاطفة، ثمّ ليمحُ

[1] البيت لأبزون العماني، ديوانه، ص133. أبزون العماني: شاعر عاش في سلطنة عمان في القرن 5 الهجري ولا يعرف تحديداً تاريخ مولده أو مكانها. تدل أشعاره أنه كان يتردد على العراق وتحديداً جرجرايا والتي تتبع أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد. بعض المصادر تقول أن أبزون اشتغل بالأمور السلطانية وذلك بحكم وجوده في الحامية العسكرية الفارسية التابعة التابعة للدولة البويهية. لم يجمع أبزون أشعاره في ديوان ولكن جمع شعره رجل يدعى محمد بن أحمد الذي عرف بأبي الحاجب.

أثره عن قلبه بالكلية. وفي الجملة يجب تعهُّده والمداومة على مراعاته في جميع الأبواب من جميع الوجوه. فإنَّ كلّ شيء لم يتعهد إلى آل أمره إلى الفساد وانتفى منفعته. وإذا وجب تعهد ما اختص بنفعه واحدة كالبناء وغيره فكيف بحال مَنْ يتوقع عنه جميع الخيرات والمنافع ويحصل بوجوده أصناف المطالب والمآرب.

والعياذ بالله، إن انقلبت صداقته عداوة، ورجعت محبته مبغضة فإلى خسار، وأردأ من ذلك إذا تلف ما ليس له بدل في التعاسة، وحصل ما لا يوجد مثله في الفظاعة والشرارة؛ لأنّ ضرر نكايته من أعظم الآفات وأخوف المخافات، وليحذر (ق103/ب) المراءاة فإنّه سبب التخالف المستلزم للتباين.

وربَّ مَنْ يبادئ الأصدقاء مدعيا أنّه يشخذ الذهن، ويُصفى الخاطر، فيجادلهم في المحافل والمجامع إلى أن يجاوز الحد، ويؤدي إلى التسفه، حتى ينقطعوا. ولا يشاقهم في الخلوات، وحين يستحضرون المعاني فعل الجبابرة في قهر الأمثال وتحقير الأشباه. وهذا اردأ خصال أهل البغي.

وإياه والبخل عن الأصدقاء في علم اختص به أو صنعة مهر فيها، لأنّ المشاركة في المتمتعات الدنياوية والفوائد المعدية المستلزم انفاقها ونفاذها وانتفاع الغير منها، نقصانها واجبه. فكيف بما لا ينقص بالاشتراك بل يزيد بالاتفاق ويقل بالإمساك؟ وليحذر أصحابه وكل مَنْ يتعلق به عن إزراء ما يتعلق بالصديق فضلا عن نفسه، بحيث لا يمكن أن يطمع أحد منهم في تقبيح أمر يتصل به كناية وصريحا، ولا يجسر على منقصته ما يدانيه جدًّا ..[1]. فإنّ الصديق عين الصديق (ق104/أ) في غيبته وعونه في حضرته، وطليعته وعلى أعدائه وخليفته في رهطه وأمواله، بل هو هو عند التحقيق.

[1] في الأصل والنسخ: غير واضح بمقدار كلمة.

فأين أنت من الرفيق والشفيق؟. وإذا اطّلع على عيب من صديقه فليوافقه موافقة ترشده لا مغضبا عليه؛ فإنّه خيانة، بل سالكا في التنبيه والنصيحة مسلك الأطباء في استعمال الأغذية الدوائية، وخلط الأدوية البشعة بالحلوة عند التداوي، مبتدئا بالحكايات والأمثال المناسبة بحاله ما أنجح بالتعريض، وإن اضطر إلى التصريح، ففي الحقيقة بعد تقديم ما يؤكد العهود ويوجب الوثوق، وتذكير ما يهيج الجفاوة، ويقرّر اطمينان القلب والسكينة مكتتما عن الأحباب والأقرباء فضلا عن الأجانب والبعداء، غير مقدم على مذمته وتغييره على الملأ؛ فإنّ حقه أقوى من ذلك. وليحترز غاية الاحتراز عن الإصغاء إلى النميمة والاستماع إلى أحاديث الوشاة؛ فإنّ النمام يداخل الأخبار في صورة المناصح، يبتدئ بنقل الأحاديث المحرّفة (ق104/ب) كاسيا كل معنى أقبح لباس معبرا عنه بأشنع عبارة، ريثما يتمكن من الافتراء والأراجيف، ف يتسوّل تمويهه عليهم في صورة الصدق، ويزين تزوير الباطل في حلية الحقّ حتى يفرق شمل الأحباب، ويقطع حبل الإخوان. وشبه في فعله بأساس الصداقة بمَنْ يخدش بأظفاره بنيان الجدار المحكم حتى يثلم، فيعمد إلى المعول القوي ويهدم. فالحذار الحذار عن مثل هذه الحالة. وأي ضرر وخسارة أقوى من فقدان مَنْ اخترت مواصلته في جميع الأحوال، وادَّخرت مُعاونته الشدائد، والأهوال ونزلته منزلة روحك، وجعلت لقاءه أعظم فتوحك.

واعلم أن شرح باب الصداقة أهم من ذكر جميع الأبواب والاحتياج إليه أشد من الافتقار إلى الضروريات، وفضيلته أعظم الفضائل لما مرّ من احتياج الإنسان إلى الاجتماع الموقوف عليها وبخصوصها من العدالة التي هي أشرفها؛ ولأن أكثر الفضائل كالحرية والسخاوة يحتاج (ق105/أ) في إظهارها إلى الأسباب الخارجية والمكاسب المالية وتحصيلها لا يمكن إلّا بمعونة الأعوان الصالحين، ومظاهرة الأصدقاء المخلصين. وإذ قد تبيّن توقف الكمال على الائتلاف فأردأ العادات وأذمها اختيار الوحدة والتوحُّش على الألفة والتمدُّن.

وأجود السير وأحمدها ما ينافيه وهو ملازمة المحبة والصداقة الموجبة الألفة والجمعية، فثبت أنَّ التقصير في اقتناء المودة هو التقصير في اكتساب السعادة، ولا يكون الإنسان سعيدا إلّا إذا اتّخذ صديقا.

الفصلُ السّابع

في كيفية معاشرة أصناف الخلائق

يجب على الإنسان أن يقيس رتبته إلى رتبة كل صنف من أصناف الناس. وحينئذ لا يخلو إمّا أن يكون فوقه، فيحافظ على حاله لئلا ينحط، أو موازيا له، فيسعى في الترقي نحو الكمال عنها، أو دونه، فيجتهد للوصول إليها.

وأمّا حاله في المعاشرة فمع الصنف الأوّل قد مضى ذكرها، ومع الصنف الثاني تنقسم ثلاثة أنواع؛ لأنّها إمّا أن تكون مع(ق105/ب) الأصدقاء أو مع الأعداء أو مع مَنْ لا يكون صديقا ولا عدوا. والأصدقاء إمّا أن تكون صداقتهم حقيقية، وقد مرَّ كيفية معاشرتهم، أو غير حقيقية بل مشوبة بالتصنّع والتملُّق، فليعاشرهم بالإحسان والمواساة بقدر الوسع، وليستعمل معهم المداراة والملاطفة، وحسن الخلق بإظهار الطلاقة والبشاشة وكرم السجية بتعهد أقاربهم، وجميع مَنْ يتعلَّق بهم، وقضاء حوائجهم وإعانتهم في الضراء، وأمّا الأسرار فلا يطلعهم عليها، وليكتم عنهم أسباب منافعه، ومقادير أمواله ولا يؤاخذهم بإهمال الحقوق والتقصير في شرائط المودة، ولا يُقدم على مكافأة ما صدر عنهم من الخطايا لتبقى مواصلتهم، فعسى أن ينقلب بعضهم بمرور الأيام صديقا خالصا، وصفيا ومخلصا.

وأمّا الأعداء، فعلى نوعين: قريب وبعيد، وكلٌ واحد منهما إمّا أن يكون كاشحا كالحسود أو ظاهرا كالحقود. والقريب أولى بشدّة التّوقي لإطلاعه على الأسرار. والقانون الكلي في معاشرتهم (ق106/أ) السعي في تحبُّبهم، وإزالة عداوتهم بالمواساة بالتحمل والتلطُّف إن أمكن، وإلّا فالحذر عن الزيادة بالمجاملة والمداراة، والمروءة المتكلفة. فإنَّ دفع الشرّ بالخير خير، وقمعه بالشرّ شر. وفي الجملة يجب الإغضاء والصّفح عن سفاهتهم، والاحتراز عن المناقشة وإظهار العداوة والمنازعة؛ فإنّه يجب تنغيص العيش بكثرة تصوّرها والتفكّر في تدبيرها، وإزالة النعم والكرامات، وشقاوة الآخرة بانصراف الفكر إلى الشرور وقصر الهم على أعمال السوء، فيكون مِمَّنْ خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ومنشأ العداوة الإرادية خمسة أشياء: النزاع في الملك أو الرتبة، أو النفائس، واختلاف الآراء، والإقدام على شهوات تهتك الحرم، فيجب في كل صنف الاحتراز عن سببه، ومن الواجب في الحزم التجسس عن أخبار الأعداء؛ ليطلع على خدائعهم، فيتمكن من دفعها ومعارضتها بالمثل، وإيقاع شكاياتهم في مسامع الناس والرؤساء؛ لئلا يُصغى إلى مزخرفات كلامهم. فلا ينجح مساعيهم في السعاية وغيرها. (ق106/ب) والاطلاع على معايب العدو وإخفائها وجه حسن، فإن أفشاها يوجب زيادة العداوة واعتياده به بحيث لا ينفعل منه، بل الأحسن تنبيهه على وقوفه منها تخويفا وإيعادا؛ ليضعف رأيه ويجبن عن مقاومته خوف الفضيحة. وعند الإظهار في وقته يجب مُلازمة الصدق، فإنَّ الكذب يحول دون كلامه عن القبول، فيكون سببا لغلبة الخصم وقوته. ومِمّا يعين على الظفر تفرق عادات الأعداء ومتعارفاتهم، وما هو سبب ضجرتهم. ومِمّا يطّلع على عثراتهم، ومزال إقدامهم الاختلاط مع خلطائهم وتحابهم. وأفضل التدابير هو السبق عليهم في الفضائل المشتركة فيما بينهم، وإحراز الكمال الحقيقي لينحطوا عن درجته، فيفوز بسعادة نفسه ودفع أعدائه. وأرذل الخصال هو الطعن في أعراضهم، واللّعن والشتم؛ فإنّها لا تضرهم، وتنكى في نفسه لتشبهه بالسفهاء، وتسليطهم على نفسه

بأمثالها. وإياه والشماتة بما يثوبهم من مكروه يمكن وقوعه؛ فإنّه دليل البطر وسيعود إليه. قال النبيّ (ق107أ) صلّى الله عليه وسلّم: «لا تُظهر الشماتة لأخيك فَيُعافيه الله ويبتليك»[1]. ولقد أحسن مَنْ قال:

فَقُلْ للشامتين بنا أفيقوا سَيلقى الشّامتون كما لَقينا شعر[2]:

[البحر الوافر].

وإذا التجأ له العدو واستجاره معتمدا عليه فلا يخونه؛ فإنّه مذموم. قال الله، تعالى: ﴿إِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[3]. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ استعاذك الله فأعذه»[4]. ولتكن السيرة المحمودة من المروءة، وحسن العهد، ومحمدة الناس مخصوصة به، ونقائضها بإعدائه.

وأما دفع ضررهم فله ثلاث مراتب: أولاها، إصلاحهم في أنفسهم إن أمكن، والإصلاح ذات البين. وثانيها، الاجتناب عنهم ببعد الحوار، وأخراها القمع والقهر، وهو مشروط بست شرائط: شرارهم طبعا، بحيث لا يُرجى صلاحهم، ويأسه عن الخلاص منهم بطريق آخر وعلمه بأنّهم لو ظفروا به لقهروه أشدّ من قهره لهم، ومُعاينة سعيهم في إزالة الخير عنه، وأن لا يرتكب رذيلة في قهره كالغدر مثلا، وأن (ق107/ب) يكون عاقبة قهره وخيمة في الدنيا ولا في الآخرة. ولو أمكن مع حصول الشرائط قهرهم بعدو آخر، ما لم يستلزم إليه.

وأمّا الحسود، فليكدر عيشه بإظهار النعم والفضائل والمراءاة فيما يُوجب غيظه ما لم يستلزم رذيلة، وليكن مُحترزا عن شره.

---

[1] في: الترمذي، السنن، حديث رقم (2443)،

[2] البيت للشاعر أبو الفيض الكتاني، ديوانه، موقع الديوان. أبو الفيض الكتاني: ولد في سنة 1290 هـ، فاس وتوفي في 1327 هـ ، سلا. فقيه متفلسف متصوف، من أهل فاس، المغرب.

[3] اقتباس من سورة التوبة 6/9.

[4] في: أبي داوود، السنن، حديث رقم (1994): "من استعاذَكم باللهِ فأعيذوه، ومن سألكمْ باللهِ فأعطوهُ ومن دعاكمْ فأجيبوهُ ومن أتى إليكم معروفًا فكافِئوه فإن لم تجدوا فادعوا لهُ حتى تعلموا أن قد كافأتموهُ".

وأمّا الصنف الثالث، فيختلف معاشرتهم بحسب الاستحقاق. فالنصحاء يجب إكرامهم ومخالطتهم بالبشاشة، وحسن اللقاء، واستماع كلامهم غير مغتر بالأحوال الظاهرة، بل بعد الاختيار، واستخراج مكنونات الضمائر، ليطلع على أغراض الناس، ويفرق بين الحقّ والباطل فيختار الأصوب.

وأمّا الصلحاء، وهم الّذين يتبرّعون بإصلاح ذات البين، فليعظمهم بالثناء، والكرامات متدينا بدينهم متشبها بهم، فما أحمد سيرتهم.

وأمّا السفهاء، فليترك مُحاورتهم ومُخالطتهم، وليعرض عن شتمهم، ومقابلتهم غير متوجّع ولا متألم ولا مكترث بسفههم وإيذايهم. قال الشاعر[1]:

وللكف عن شتم اللئيم تكرما أضرّ له من شتمه حين يشتم[2]

(ق108/أ) وأمّا أهل التكبر، فيعاملهم بما عاملوه به، وإلّا ازدادوا كبرا وغرورا، وتوهّموا إصابتهم في طريقتهم، وحسبوا تعظيم الناس إيّاهم واجبا. وعند الترفع عليهم انزجروا عن فعلهم، ووجدوا قبحه، وربّما امتنعوا عنه. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «تِهْ على التائه حتّى ينسى التائه تيهه»[3].

وأمّا أهل الفضائل، فليستغل بالاستفادة منهم مُنخرطا في سلكهم، مُجتهدا في الاتصال بهم، مُغتنما صحبتهم ومساعدتهم بكلّ ما أمكن له، وليعد القدرة على مُعاونتهم توفيقاً عظيماً.

وأما الجيران، فإن كانوا فضلاء فهم أحقُّ الناس بالمواساة والمساعدة، وإن كانوا شرارا فليصبر على أذيتهم مُداريا إيّاهم بالرفق والمُجاملة، فإنّ الكريم بالنفس أصبر، واللئيم بالبدن.

---

[1] البيت للمؤمل بن أميل المحاربي. لم أعثر على ديوانه. ينظر في: أبو زكريا التبريزي، كتاب شرح ديوان الحماسة، 15/2.

[2] تعذّر وزن بيت الشعر

[3] لم أعثر على مصدر لهذا الحديث عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم فيما وصل إليه بحثي.

وأمّا مَنْ هو أدنى مرتبة منه، فإنْ كانوا متعلمين، فليعزّهم وليختبر استعداداتهم وطبائعهم وأخلاقهم، فإن كانوا مُستعدين راشدين متقين ما بعثهم على طلب العلم إلّا شوق الكمال فلا يمنعنَّ عنهم قطعا بلا حمل منه ومؤنة ساعيا في فراغ (ق108/ب) خواطرهم ورفاع معائشهم، جادا في إساغة غللهم، وإزاحة عللهم بقدر الوسع. وإن كانوا ذوي الطبائع الرزية والشيم الغير المُرْضية دعاهم إلى التحصيل نوع من الشره والجاه. فليبدأ بتهذيب أخلاقهم مُنبهًا إياهم على معايبهم، وليمنعهم عمّا يتوسلون به من العلوم إلى مطالبهم الفاسدة ومقاصدهم الباطلة.

ومَنْ منح الجهّال علمًا أضاعَهُ ومَنْ منع المُستوجبين فقد ظلمْ شعر[1]:

[البحر الطويل].

ومَنْ كان بليدا، فليحجزه عمّا لا يفهم لئلا يضيع عمره، ويحرضه على ما يفيده.

وأمّا العفاة، فليفرق بين المحتاج منهم والطامع، فيعطى المحتاج ويواسيه بل يؤثره على نفسه ما لم يخل به وبعياله، ويمنع الطامع وينهاه عن طمعه. فإنَّ ردّه اصلاحه، وكذا من كان ملحا في سؤاله إلّا إذا كان شديد الفاقة.

وأما الضعفاء والمظلومون، فليرحمهم معينا على مراداتهم ومقاصدهم مظاهرا إيّاهم في مراماتهم ومآربهم، وليعتد إفاضة الخيرات في النية والقول والفعل متشبها (ق109/أ) بالأوّل تعالى، مبدأ الكلّ؛ فإنّه منبع الخيرات ومفيض الجود والبركات.

[1] البيت للشافعي، ديوانه، ص129.

الخاتمة

وإيّاك إن كنت امرءاً ذا جد مُشمرا عن الساق في طلب الكمال منكمش الأزرار في طريق الوصال، مُتَطهرا عن أدناس هذه الطبيعة، مُتحرزا عنها بأسباب القطيعة، مُتحريا بإخلاصك عن أصفادها مُتبريا بقلبك عن أصفادها، ناجيا بنفسك عن هذه الأوحال، قاطعا لما بينك وبينها من الأوصال، أن تتخلّق بهذه الفضائل، وتتطبّع بهذه الشمائل؛ فتغترّ بأن تعد في زمرة الفضلاء، وتحسب نفسك في طبقة الحكماء. فتستلقي على كتفيك، وتمدّ قدميك تقول: قد أحرزت لنفسي الأخلاق الجميلة، وأعددت لحضرة الحق الوسيلة، وها أنا قد برّزت على لذاتي، وتفرّغت عن كمال ذاتي، فتهبُّ في دماغك أعاصير حب الرئاسة، وتَهتاج إلى تكميل الخلق، وتقلّد السياسة، مُتكفلا بإرشاد البرايا، وأنت من غوايتك في بلايا، تهذبُّ الأحداث بحسن الخلق، ونفسك ممنوة بقبح الخرق.

هيهات، (ق109/ب) ما خطر ببالك وهجس في خيالك فإنّها همهمة الحسبان، ووشوشة الشيطان يتلألأ منها مخايل الزور، وينكشف عنها دلائل الغرور، فلا يغرّنك بالله الغرور. وشتّان ما بين محصولك ومظنونك، وما أبعد محزونك من موزونك. بينك وبين المقصد تلال وجبال، أين أنت من إشراق سبحات الأنوار، وألطاف سطوة الجبار، اجهد الآن بمستفسح الخناق قبل التفاف الساق بالسّاق، في أن تتلقّى بوجهك مطلع شمس الكبرياء، وتستشرق مشرق نور الأولياء. إلامَ تستنشق رياح رياض المعشوق؟ فتتساكر بعبقه كأنك مصبوح مقبوق، وختام نسيم غيوم فيوض المحبوب فتتخطَّف ببرقه كأنّك مأخوذ مجذوب، فاصغ مناديه واجب داعيه. واستضئ بنور الله المبين، واعتصم بحبل الله المتين، واصعد الذروة بتوفيقه (ق110/أ) إليه، وادخل الحضرة بتأييده عليه؛ فإنَّ الأبواب مفتوحة والأسداد مطروحة. وهناك ﴿سُرُرٖ مَّرۡفُوعَةٞ (13)وَأَكۡوَابٞ

مَّوْضُوعَةٌ (14)وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[1]، واستنشق غمام رحمته، واستمطر سحاب رأفته؛ لترتوي ذاتك من أمطار الرضوان بأنواء الاستسعاد، وتبتهج من أنوار الغفران باقتضاء الاستعداد، فتصير روحك روضة قدسه، وقلبك قبة عرشه، ويكون مظهر الحق الأعظم، ومتجلى الملك الأحكم يظهر بقدرته عليك أوصافه، ويصدر بحكمته عنك أخلاقه.

إذا ما تجلّي الحق واندكّ طاغوت وبادَ الحَجي والنفس لم يبق ناسوت [2]شعر[3]:

قام مقام الروح وجه منوّر تنور منه الكل وانهل لاهوت

وما الأوّل الذي أنت فيه إلّا لجلية البرهان، وما الثاني الذي أشرت إليه إلّا بعزيمة الإيمان، فاعقد الضمير على مصاحبته ووطن القلب على إخلاصه، إذ هو المؤمن من (ق110/ب) غوائل الطغيان والمبدأه لفواتح الإحسان، وأساس الدّين القويم، ومنار النهج المستقيم. قال الله، تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4].

وإذا كان عندك معتقد صحيح، فقد حصل لك سند فسيح، لكنّه ما دام في التزلزل كان بصدد الزوال. وما بقى في التقلقل كان على شرف الانتقال. فأحكم بنيانه بالثبات والاطمئنان، واعمد أركانه بالوقار والأرقيان؛ لأنّ القلب إذا انجلى عنه هواءه والعز مع عدمه هباء

[1] اقتباس من سورة الغاشية 88/13-16.
[2] تعذر وزن الأبيات الشعرية.
[3] لم أعثر على شاعر الأبيات فيما وصل له بحثي.
[4] سورة الأنعام 82/6.

لا عزم لمن في ظلمات أن سافر حيران ونفسه به قد أمر [1]شعر[2]:

ولا شيء أنفع من الثبات للسامت[3]. قال الله، تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[4]. وكما أنَّ السير بعيره نصب وعناء فهو بلا سير وجوده وعدمه سواء. والسير إذا لم ينشأ من القصد والنية لم يوصلك عوض إلى الأمنية، بل كان خبطاً واضطراباً (ق111/أ) وحركة تشمل مجيئًا وذهابا. فلا تسر إلّا على عزيمة جازمة انبعثت عن داعية لقلبك لازمة، فإنّ الأفعال نسبتها إلى الإقتصاد نسبة الأجساد إلى الأرواح ولا ينعقد بغيرها. قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «إنما الأعمال بالنيات»[5].

ثمّ إنّها إن لم تقارن الصدق كانت خطرة لا تطابق الحق فعليك به لأنّه العروة الوثقى، ومَنْ اعتلق به ظفر بالطريقة الوسطى جادة لا كبوة لعابرها، ومحجّة لا عثرة لسائرها لا يعتبر بدونه تقوى للمتقين. قال الله، تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[6]. وهو أساس ركنه الإخلاص ...[7] لا يتم إلّا بمقارنته. ولا يتميّز عند مفارقته فكل ما قيل ضمن واضمر لا لوجه الله باطل. وكل ما فعل لا لابتغاء مرضاته ما له حاصل. حتى أنّ العبادة بدونه لا تورث اليقين. قال الله ،تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[8]. وهما إذا امتزجا امتزاج الماء بالراح، واعتنقا اعتناق الأرواح بالأشباح، تولد عنهما الإنابة، وأقسم صاحبهما بالإصابة.

---

[1] تعذّر وزن بيت الشعر.
[2] لم أعثر على شاعر البيت فيما وصل إليه بحثي.
[3] في الأصل: كتب على الهامش الأيمن السمت هي العلامة.
[4] اقتباس من سورة إبراهيم، 27/14.
[5] في: البخاري، الصحيح، حديث رقم (2356): "الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ".
[6] اقتباس من سورة التوبة 119/9.
[7] في اصل والنسخ: غير واضح بمقدار ثلاث كلمات.
[8] اقتباس من سورة البينة، 5/98.

والسالك إذا لم ينب (ق111/ب) تجاذبت دواعيه، وتنازعت تشويقات القوى فيه، فتفرقت آراؤه، وتشتت أهواؤه، فرفض جواد الرسل، واتبع مضال السبيل. فينطفئ نور هدايته بزعازع النزوات، وينضب ماء درايته بمالح الشهوات. فتبقى رياض استبصاره دامسة، وحياض استعداده يابسة. وذلك لانسلاكه في سلك مَنْ عصى الله ورسوله. قال الله، تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾[1]. وهي تستلزم التوبة عن المباغي الدنيّة، والأوبة إلى المساعي العليّة. فينتهي بالمكتوبات عن المحظورات، ويتكفّى بالمندوبات عن المكروهات. ثمّ ينصرف عن المباحات المرغوبة، ويترك جميع المرادات المطلوبة حتى الإعراض عمّا سوى الوجه الدائم الباقي. والإقبال على الله إلى يوم التلاقي. فيتبوّء منزلاً رفيعاً. قال الله، تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

وهي تثمر الزهد في غلوائها وتُورث الفقر عند انتهائها. أمّا الزهد، فلقلة اعتداد صاحبها بهذا الحطام، وقوة اعتقاده بالرحيل عن هذا المقام، فصرف عنان همته عن دنياه إلى (ق112/أ) الحضرة العليا. قال الله، تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3].

وأمّا الفقر فلإشتغاله عن قنيتها بجناب الملك العلّام، وانتقاله بالسّرعة عنها إلى دار السّلام. فلم يبق له إلى التحصيل من سبيل. إذ سمع قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[4]. ولم تغله بشيء من نفائسها الفرحة والسرور، لما امتثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[5].

ثمّ إنّه لَيحتاج إلى رياضة تبليه لتمرن نفسه بفطام ما يستحليه، فتنقمع سورة فواعله الجسمانية، وتنقهر شوكة بواعثه الشيطانية، فيكون قد عاند كل مألوف يقتضيه هواه وناوى باقتضاء ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى

[1] اقتباس من سورة الزمر، 54/39.
[2] اقتباس من سورة النور، 31/24.
[3] اقتباس من سورة طه، 131/20.
[4] اقتباس من سورة النساء، 77/4.
[5] اقتباس من سورة فاطر 5/35.

ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (40)فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[1]، ويحدث له طريق الوصول إلى نهاية المنى بحكم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[2].

وهي مبتداه لمحاسبة الأفعال والحركات، ومراقبة الأقوال والآراء والخطرات، وتغليب الحسنات عند الموازنة على السيئات (ق112/ب) حتى استهلاك المهلكات بأسرها في المنجيات. فلا يناقشه الله، تعالى في حسابه حين يلقاه. قال الله، تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[3]. ومنتهاه بتقوى القلب بالتقوى. وتصفى السر عن مقارنة البلوى، فتنجلي مرآة قلبه عن صدايا الرذائل، وينكشف القناع عن وجه عذاراه الجمائل فيكرم نفسه عن معاشرة أهل الأرجاس، ومخالطة أولى الأدناس. قال الله، تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4].

وحينيذ قد تم العزم، وارتفعت الموانع، فيطرأ على نفسه اللوائح واللّوامع. فيضطر بحب الوحدة إلى الخلوة، ويزور عن الخطأاءبالسلوة. وحذاري أن يلهيه الشواغل عن بغيته، ويصرفه المألف عن وجهته، فيغفل عن مراقبة وارديه سهوا. قال الله، تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾[5].

ثمّ يتصدى المتفكر في ملكوت الأشياء، والتذكّر لجلائل النعماء. ينظر في آيات الأنفس والآفاق ويذكر الله بالعشي والإشراق. قال الله، تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ (ق113/أ) جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[6]. فتارة يستبعد المطلوب، وطورا يستقرب المحبوب فيعتريه الخوف، ويتلوه الرجاء. كأنّما

[1] سورة النازعات، 40/79-41.
[2] اقتباس من سورة العنكبوت، 69/29.
[3] اقتباس من سورة البقرة، 286/2.
[4] اقتباس من سورة الحجرات، 13/49.
[5] اقتباس من سورة الأنعام، 70/6.
[6] اقتباس من سورة آل عمران، 191/3.

يتعاقب عليه الداء والدواء. فإن ترجّح الحفوف القاطع للوتين لقوله: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] قابله الرجاء المصلح للمعاد لقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾[2]. فيتعادلان لئلا يحصل اليأس، أو يلزم الأمن من المكر والبأس. فيشكر على كل حال ما يلائمه ويوافقه، ويصبر على ما يخالفه ولا يُطابقه. أمّا الأوّل فلقوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[3]، وأمّا الثّاني فلقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[4]. ولا بدَّ له من هذه الأهوال من الإرادة، لئلا يفتقر في السلوك إلى الإدارة، فيكون ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[5].

لا يوجد أعصى منه لمن يحاول درسه، وليكن غير منفك عن الشوق، وإلّا لتجرّد سيره عن الذّوق، فيؤدّه جهد الطريق، ويذيقه عذاب الحريق. إذا الشّوق يُقرّب الشقة على المشتاق (ق113/ب) ويُخفّف على نفسه ثقل المتاعب والمشاق. وكلّما ازداد في القرب استنار بأنوار المراد، فتحصلت لذّته عن شوب آلام البعاد، فيؤول الأمر لفرط الابتهاج مغبة.إلى أن يصير ذلك الشوق محبة، ثمّ يتضاعف عليه الأنوار، وتوضع عنه الأوزار، فيتحقّق بعض قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[6] ويرتفع الحجاب الذي دونه.

فيعشقُ حين يبهجُهُ الحبيبُ وينسى أنّه رجلٌ لبيبُ شعر[7]:

[البحر الوافر].

ثمّ تحصل له المعرفة عيانا، فيستغني عن الإثبات برهاناً وبياناً، ويتنوّر قلبه بنور العرفان، حتى يبلغ إلى مرتبة الإيقان. فإذا أوتي حظّه من اليقين لم يبال بأن خرج عن أصحاب اليمين. ثمّ يستقيم فيأتيه السكوت،

[1] اقتباس من سورة آل عمران، 175/3.
[2] اقتباس من سورة البقرة، 219/2.
[3] اقتباس من سورة آل عمران، 145/3.
[4] اقتباس من سورة البقرة، 155/2.
[5] اقتباس من سورة الكهف، 26/18.
[6] اقتباس من سورة المائدة، 54/5.
[7] لم أعثر على شاعر البيت فيما وصل له بحثي.

فتثوب إليه الدعة والهدون. فلا يمسه نصبٌ ولا لغوب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]. وهناك يتوكّل على الله فيما يعزم ويدبر، ويرضى بحكمه في كل ما يفضي ويقدر، ثمّ يسلم نفسه إليه، ويخرج عن عهدة ما كان عليه. فيسيل بفيضان (ق114/أ) الأنوار قطرة هويته، وتنصب راجعة إلى بحر ألوهيته. فينزل من الله منزلة الاتحاد، ويحطّ الرجل بمحلة الإنفراد. فهو إذن قد سارع إلى المغفرة وبادر، وامتثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[2].

ولمّا انتفت البينية استغرقت الأنيّة تحصلت الوحدة الحقيقية، وبطلت السيديّة والرقيقيّة. إذ فنى العبد بناسوته، وبقي المولى بلاهوته، فيقرأ سبحانه بلسان ديمومته، وينشد عز سلطانه بيان قيوّميّته: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3]. والحمد لله رب العالمين. والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلّم تسليمًا كثيرا.

أعلقها ...[4] العبد الضعيف الراجي عفو ربّه، وغفرانه ...[5] عند الرحمن، وعند الطاهرين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن الشهرازوريّ عفا الله عنهم. من شهور سنة ست وأربعين وسبعمائة المحروسة إربل[6].

---

[1] اقتباس من سورة الرعد، 28/13.
[2] اقتباس من سورة القصص، 88/28.
[3] سورة الرحمن، 26/55-27.
[4] في ب: طمس بمقدار كلمة.
[5] في ب: غير واضح بمقدار كلمة.
[6] إربل: قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، بناها وعمّر أسوارها وأسواقها الأمير مظفر الدّين كوكبوريّ، وهي اليوم عاصمة إقليم كردستان في العراق. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 137/1.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تحقيق هذه المخطوطة:

– أنّ علم التحقيق علم دقيق ومتعب ويحتاج إلى الكثير من الصبر إن كان ذلك في إيجاد نسخ المخطوطة المراد تحقيقها، وقراءة هذه النسخ، وإعادة طباعة نص المخطوطة بما يليق وبشكل مفهوم للقارئ في هذا العصر. كما أن عملية التوثيق لما في المخطوطة من أقوال وحقائق أيضا عملية صعبة. وخصوصا أنها كانت تجربة الباحثة الأولى.

– أنّ المثقفين في كل عصر يكتبون فيما يخص زمانهم وما يحتاجه. إذ أن القرن السابع الهجري كان مضطرب في بلاد المسلمين وكان الفساد والضعف مستشري، مما قاد المثقفين والوعّاظ للكتابة عن ما حل في المجتمع المسلم من انحلال وضعف في ذلك الوقت والكتابة عن حلول وتعزيز لضرورة التحلي بالأخلاق وعودة الشخص إلى إنسانيته. لذلك خط المؤلف هذه المخطوطة عن علم الأخلاق بذوق صوفي وبتعزيز من أقوال القدوة الحسنة ابتداء بالرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحكماء والشعراء.

– تتمثّل أهمية المقالة الأولى في عنايتها بالرياضة النفسية وأهميتها في اكتساب الفرد الفضائل ونبذ الرذائل كون المجتمع الفاضل يبدأ من الفرد. وكون استطاعة الإنسان تجسيد صورة الله تعالى في الأرض لأقصى درجة يستطيع بلوغها، تُمكّنه من استحقاق استخلاف الأرض.

– تتمثل أهمية المقالة الثانية لما تتضمنه من تجسيد الأخلاقيات وطرق التعاملات الصحيحة بين أفراد الأسرة الواحدة وكل من له علاقة بها، وذلك بسبب سوء الوضع الاجتماعي وسوء التربية ضمن المجتمع في ذلك

الوقت، بما في ذلك أربيل حيث تواجد المؤلف. إلّا أنّ ما تضمنته المقالة من أخلاقيات التعامل مع الزوجة لا يناسب الزمن الذي نعيشه والمستجدات التي حصلت منذ زمن المؤلف حتى يومنا هذا.

- أمّا المقالة الثالثة فتطرح طرق الحكم للمجتمعات الفاسدة وكيفية مسايرة الحاكم للمجتمعات المختلفة مع إشارة طفيفة إلى المجتمع الفاضل وكيفية سياسته ومن يحكمه. إلا أن هذا لا يعطي ذريعة لوجود مجتمعات فاسدة وحكام فاسدين.

وبناء عليه، توصي الباحثة بإعداد دراسات تطبيقية تناسب العصر في التهذيب والرقي الذاتي وتعزيز تطبيقها في المجتمعات العربية والإسلاميّة، وإعداد دراسات تحليلة ونقدية عن المرأة وأحوالها في زمن المؤلف ومقارنتها بما هو حاصل في عصرنا الحاضر، وتحليل ما قدمه المؤلف في المقالة الثالثة عن نوعيات المجتمعات وكيفية الحكم فيها ومقارنة ذلك بما هو قائم في عصرنا، مع توصيف أحوال البشرية اليوم المحكومة من المنظومة السياسية المسيطرة ونتائجها على أرض الواقع.

قائمة المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم.**

- **الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر متى**، 5:17، https://www.enjeel.com/.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ)، **حلية الأولياء**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- البحراني، ابن ميثم (ت679هـ)، **شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين**. قم: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، 1390هـ. المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com/.

-البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ)، **الصحيح**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- برعي، عبد الرحيم أحمد (ت1427هـ)، **ديوانه**. القاهرة: مؤسسة المطبوعات الإسلامية، 1991م.

-البغدادي، اسماعيل (ت1339هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. ط2. استانبول: وكالة المعارف الجليلة، 1951م.

-البغدادي، شهاب الدين (ت626هـ)، **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر.

-البيهقي، أحمد بن الحسين (ت458هـ)، **السنن الكبرى**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- التبريزي، يحيى بن محمد (ت502هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/6907.

- التبريزي، يحيى بن محمد (ت502هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/6907.

-الترمذي، أبو عيسى محمد (ت279هـ)، **السنن**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت430 هـ)، **خاص الخاص**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/7830/159.

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت291 هـ)، **مجالس ثعلب**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/605/93.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1068هـ)، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/33629/2187.

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1068هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت656هـ)، **شرح نهج البلاغة**. ط.1. دار إحياء الكتب العربية، 1378هـ. المكتبة الشيعية، http://shiaonlinelibrary.com/.

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ)، **البيان والتبيين**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/10614/.

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ)، **الرسائل الأدبية**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/10670/182.

- حقي، اسماعيل (ت1127 هـ)، **البيان في تفسير القرآن**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/23612.

- بن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت241هـ)، **المسند**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- الحنفي، راغب والسرجاني، راغب، **بغداد بين سقوطين**. https://midad.com/article/204434/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%B3%D9%82%D9%88%D8%B7%D9%8A%D9%86

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، **مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر**. بيروت: دار الفكر، 2001م.

-أبو داوود، سليمان بن الأشعث (ت275هـ)، **السنن**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- الرازي، فخر الدين (ت604هـ)، **التفسير**، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/23635.

- راضي، رياض، **مكانة التصوف في مجتمع دولة مغول فارس والعراق (656-738هـ) دراسة تاريخية**. مجلة لارك للفلسفة والإنسانيات والعلوم الاجتماعية. م 1 ع(23). 124-163ص.

-الرشيد، محمد بن عبد الله، **الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام**. ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2001م.

-ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس (ت 283هـ)، **ديوانه**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.

-الريشهري، محمد (ت1443هـ)، **ميزان الحكمة**. ط.1. قم: دار الحديث، 1378هـ. المكتبة الشيعية ./http://shiaonlinelibrary.com

- **الزبيدي**، محمد بن محمد المرتضى (ت 1205هـ)، **كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، المكتبة الحديثة https://al-maktaba.org/book/32514/1022

-الزركلي، خير الدين (ت1396هـ)، الأعلام: **قاموس تراجم**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

-السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت983هـ)، **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، المكتبة الحديثة https://al-maktaba.org/book/10488/589

-السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد (ت902هـ)، **المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة**، موسوعة الحديث ./https://hadith.islam-db.com

-السمرقندي، أبي الليث نصر بن محمد (ت375هـ)، **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، موسوعة الحديث /https://hadith.islam-db.com

-ابن سينا، الحسن بن عبد الله (ت427هـ)، **ديوانه**. إخراج: د. حسين علي، مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرون، طهران: مطبعة الحيدري،1957م.

-الشافعي، محمد بن ادريس (ت767هـ)، **ديوانه**. ط1. دمشق: دار القلم، 1999م.

-ششن، رمضان، **مختارات من المخطوطات العربية النادرة تركيا**. استانبول: ايسار، 1997م.

-الصالحي الشامي (ت942هـ)، **سبل الهدى والرشاد**. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1414 هـ. المكتبة الشيعية ./http://shiaonlinelibrary.com

- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الأوسط**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

-الطبري، عماد الدين (ت554هـ)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، مكتبة مدرسة الفقاهة http://ar.lib.eshia.ir/27197/1/51.

-الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، **تهذيب الآثار**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

-طرابيشي، جورج (ت1437هـ)، **معجم الفلاسفة**. ط3. بيروت: دار الطليعة للطباعة، 2006م.

-الطهراني، آقا برزك (ت1390هـ)، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**. بيروت: دار الأضواء.

-الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت743هـ)، **كتاب شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن**، المكتبة الشاملة الحديثة **https://al-maktaba.org/book/32839/3249**.

-العبادي، عدي بن زيد (ت35هـ)، **ديوانه**. بغداد: شركة دار الجمهورية، 1965م.

-أبو العتاهية، اسماعيل بن القاسم (ت213هـ)، **ديوانه**. بيروت: دار بيروت، 1986م.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ)، **تاريخ دمشق**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/

- العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت852هـ)، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/

-العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (ت852هـ)، **تخريج مشكاة المصابيح**، المكتبة الحديثة https://al-maktaba.org/book/8360/6056.

-العكبري، عبد الله بن الحسين (ت1143هـ)، **شرح ديوان المتنبي**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/6908/1059.

-علي بن أبي طالب (ت40هـ)، **ديوانه**. ط1. 1988م.

-خطب الإمام علي ع (ت40هـ)، **نهج البلاغة**. ط.1. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1412هـ. المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com/.

-الغزالي، أبو حامد (ت 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/9472/796.

-الغزالي، أبو حامد (ت1058هـ)، **إحياء علوم الدين**. ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2005م.

-الغزي، أحمد بن عبد الكريم (ت1143هـ) ، **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت774هـ)، **البداية والنهاية**، المكتبة الأسلامية https://www.islamweb.net/ar/library.

-الفارابي، أبو النصر محمد (339هـ)، **مبادئ الفلسفة القديمة**. القاهرة: المكتبة السلفية، 1910م.

- الفتني، محمد (ت986هـ)، **تذكرة الموضوعات**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- الفلاحي، أحمد، **أثر الحياة الاجتماعية في وجهة الشعر في إربل في القرن السابع الهجري**. مجلة جامعة القدس المفتوحة. م1 ع(42) ج1، 167-180ص.

https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/1487

-القاسمي، د. علي، **عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية**. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. م 77، ع(4)، 715- 738ص.

-الكتاني، أبو الفيض محمد بن عبد الكبير (ت1327هـ)، **ديوانه**، موقع الديوان

.https://www.aldiwan.net/poem24483.html

- الليبي، أبو معاذ، **العالم الإسلامي والصليبي قبل ظهور التتار**.

http://www.startimes.com/?t=29724456

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت273هـ)، **السنن**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-

./db.com

-المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (354هـ)، **ديوانه**. بيروت: المطبعة العلمية، 1900م.

-المجلسي، محمد باقر (ت1111هـ)، **بحار الأنوار**. ط.2. بيروت: مؤسسة الوفاء، 1403هـ. المكتبة الشيعية

./http://shiaonlinelibrary.com

-مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، 1625/4، https://al-

.maktaba.org/book/32514/1626

-مرسي، مديحة حمدي، **الألوهية عند عبد الرزاق القاشاني**. مجلة البحث العلمي في الآداب. ع(21)، ج4، 183- ص 228.

-مسلم، بن الحجاج (ت261هـ)، **الصحيح**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

- مصباح، عفاف، **التصوف الإسلامي: مفهومه-نشأته وتطوره- مصادره**. مجلية كليات التربية. ع(14)، 190-212ص.

- مطلك، عبد الستار، وعلي، عبد المنعم، **تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد 656هـ**. مجلة مداد للآداب. م5 ع(55). 482-527ص.

-المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت449هـ)، **سقط الزند**. بيروت: دار صادر، 1957م.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت1031هـ)، **فيض القدير**، المكتبة الإسلامية https://www.islamweb.net/ar/library.

-النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، موسوعة الحديث: https://hadith.islam-db.com/

-الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت 468هـ)، **شرح ديوان المتنبي**، المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/754/188.

-الهيثمي، نور الدين (ت807هـ)، **كشف الأستار**، موسوعة الحديث https://hadith.islam-db.com/.

المواقع الالكترونية:

1. موقع المخطوط في مكتبة جامعة برينستون

.https://catalog.princeton.edu/catalog/9953208123506421#view

2. موقع الرق المنشور

https://app.alreq.com/ar/AuthoredBooks/AuthoredBook/08d90fee-2ced-456b-

.8542-13fd99fa6b2b

3. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ./https://www.neelwafurat.com

4. معجم المعاني الجامع ./https://www.almaany.com

5. مجمع اللغة العربية بدمشق ./http://www.arabacademy.gov.sy

6. الباحث القرآني https://tafsir.app/nathm-aldurar/31/19

7. eshia http://eshia.ir/feqh/archive/text/Daqqaq/Akhlaq/38/390222/Default.htm

8. مكتبة هنداوي /https://www.hindawi.org/books/73717407/9

9. أفدني /https://afid.me/logic

المسارد.

العنوان	الصفحة
صفحة العنوان	
إجارة الرسالة	
الإهداء	
الإقرار	أ
شكر وعرفان	ب
الملخص باللغة العربية	ج
الملخص باللغة الإنجليزية	هـ
المقدمة	1
أهمية الموضوع	1
أسباب اختيار الموضوع	2
منهج البحث	2
خطة البحث	3
القسم الأول: الدراسة	4
تمهيد	4
سيرة عبد الرزاق الكاشاني	6
اسمه	6
شيوخه	6
مذهبه	7
مؤلفاته	7
دراسة الكتاب	9
منهج المؤلف في تأليف كتابه	9
مضمون الكتاب ومحتواه	9
المقدمة	10
المقالة الأولى	11

المقالة الثانية	13
المقالة الثالثة	14
الخاتمة	16
المصادر التي اعتدها المؤلف في تأليف كتابه	16
القسم الثاني: التحقيق	17
التحقق من عنوان المخطوطة ومؤلفه ووصفه	17
التحقق من عنوان المخطوطة	17
التحقق من اسم المؤلف	18
التحقق من نسبة العنوان للمؤلف	19
نسخ المخطوطة	20
وصف نسخ المخطوطة	20
نسخة مكتبة جامعة برينستون	20
الوصف الداخلي	21
الوصف الخارجي	21
نسخة مكتبة الفاتح	22
الوصف الداخلي	23
الوصف الخارجي	23
نسخة مكتبة آيا صوفيا	25
الوصف الداخلي	25
الوصف الخارجي	25
نسخة مكتبة كوبريلي	27
الوصف الداخلي	27
الوصف الخارجي	27
صور من نسخ المخطوطة الأربع	29
منهج الباحثة في التحقيق	45
توثيق آيات القرآن الكريم	45
توثيق الأقوال	45

التعريف بأعلام الأشخاص والأماكن	46
توثيق الأشعار	46
شرح معاني الكلمات والمصطلحات	46
صفحة عنوان المخطوطة: **كتاب الأخلاق المسمّى بتزكية الأرواح عن موانع الإفلاح**	47
المقدمة	52
الفصل الأول: في صدد الرسالة	52
البحث الأول: في بيان توقف الكمال على علم الأخلاق	52
البحث الثاني: في بيان أجزائه	55
الفصل الثاني: في ذكر النفس وصفاتها	57
البحث الأول: في معرفتها	57
البحث الثاني: في بقائها بعد الموت	59
الفصل الثالث: في بيان شرف الإنسان ومعرفة قواه	60
الفصل الرابع: في بيان خاصية الإنسان وكماله	64
الفصل الخامس: في القول الإجمالي في طريق تحصيل كماله ويتضمن بيان السعادة والشقاوة	68
الفصل السادس: في تقسيم السعادة ويتبعه بيان شرف هذا العلم	72
الفصل السابع: في تفصيل الخير والسعادة	74
المقالة الأولى: في المسائل	78
الباب الأول: في بيان الأخلاق بأجناسها وأنواعها	78
الفصل الأول: في تعريف الخلق	78
الفصل الثاني: في مكارم الأخلاق وأجناس الفضائل	80
الفصل الثالث: في الأنواع الواقعة تحت جنس الحكمة	83
الفصل الرابع: في أنواع الشجاعة	85
الفصل الخامس: في أنواع العفة	88

الفصل السادس: في أنواع العدالة	94
الفصل السابع: في أجناس الرذائل وأنواعها	99
الفصل الثامن: في اشتباه الرذائل بالفضائل	103
الباب الثاني: في تدبير النفس بتربية الفضائل	108
الفصل الأول: في اكتساب الأخلاق	108
الفصل الثاني: في حفظ النفس من المشهورات الطبية	110
الباب الثالث: في رد مرض النفس	114
الفصل الأول: في معرفة الأمراض	114
الفصل الثاني: في القول الكلي للمعالجات	116
الفصل الثالث: في علاج الحيرة	118
الفصل الرابع: في علاج الجهل البسيط	119
الفصل الخامس: في علاج الجهل المركب	120
الفصل السادس: في علاج الغضب	121
مطلب في الافتخار	124
الفصل السابع: في الجبن	129
الفصل الثامن: في الخوف	130
الفصل التاسع: في علاج الحرص	135
الفصل العاشر: في علاج البطالة	138
الفصل الحادي عشر: في علاج الحزن	139
الفصل الثاني عشر: في علاج الحسد	141
الفصل الثالث عشر: في علاج أمراض متفرقة	142
المقالة الثانية: في سياسة المنزل	146
الفصل الأول: في بيان الحاجة إلى المنزل	146
الفصل الثاني: في سياسة الأقوات	148
الفصل الثالث: في سياسة الأهل	150
الفصل الرابع: في سياسة الولد	152
الفصل الخامس: في رعاية حق الوالدين وطاعتهما	155

الفصل السادس: في آداب متفرقة	159
الفصل السابع: في سياسة الخدم	163
المقالة الثالثة: في تدبير المدن	166
الفصل الأول: في ذكر الحاجة إلى التمدن	166
الفصل الثاني: في فضيلة المحبة	170
الفصل الثالث: في أقسام الاجتماعات	177
الفصل الرابع: في سياسة الملك	186
الفصل الخامس: في سياسة الخدم وآداب الاتباع	193
الفصل السادس: في فضيلة الصداقة وكيفية معاشرة الأصدقاء	197
الفصل السابع: في كيفية معاشرة أصناف الخلائق	204
الخاتمة	209
خاتمة الدراسة	216
قائمة المصادر والمراجع	218
المواقع الالكترونية	226
المسارد	